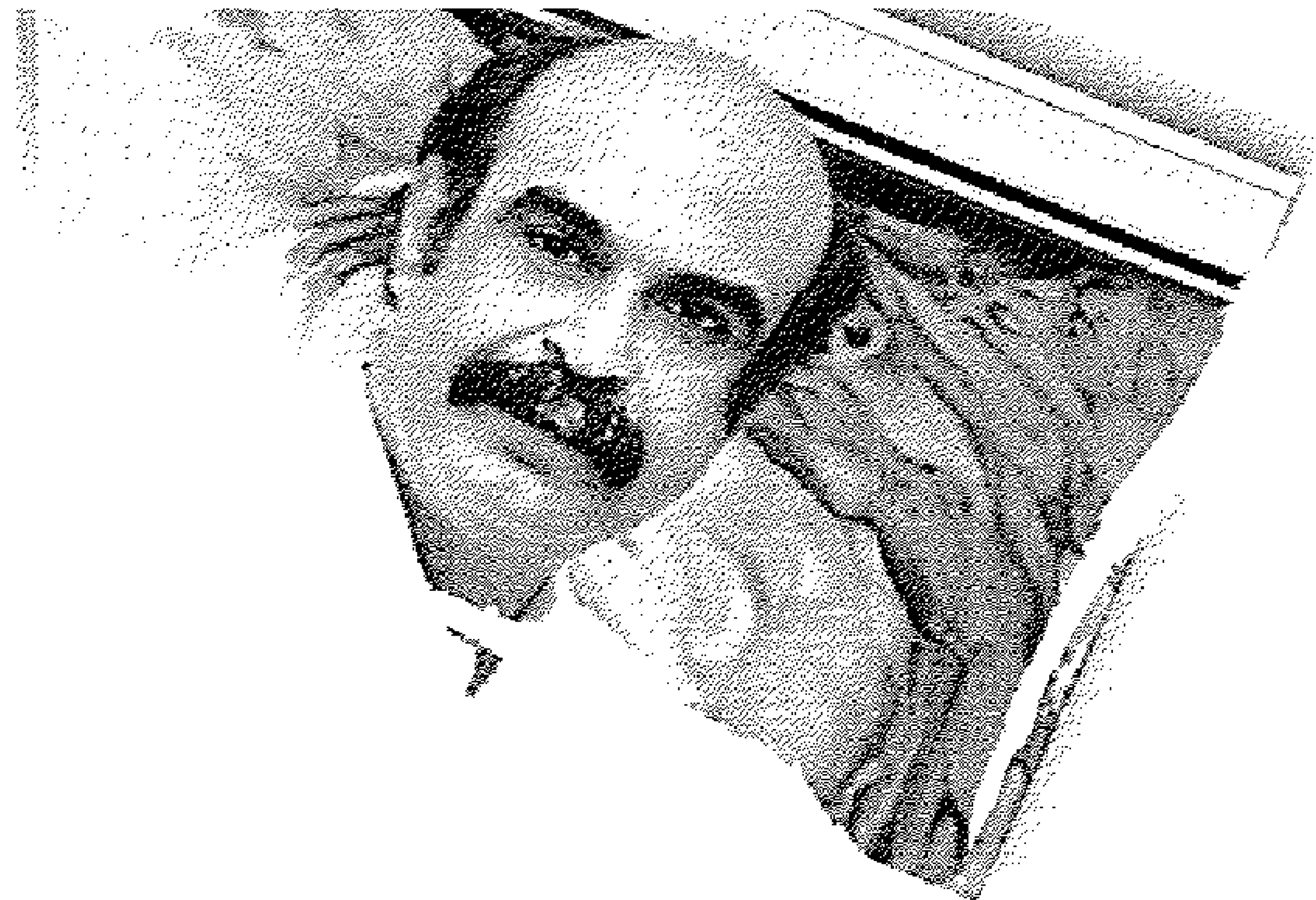
ارفعوا أيديكم عن
جنون

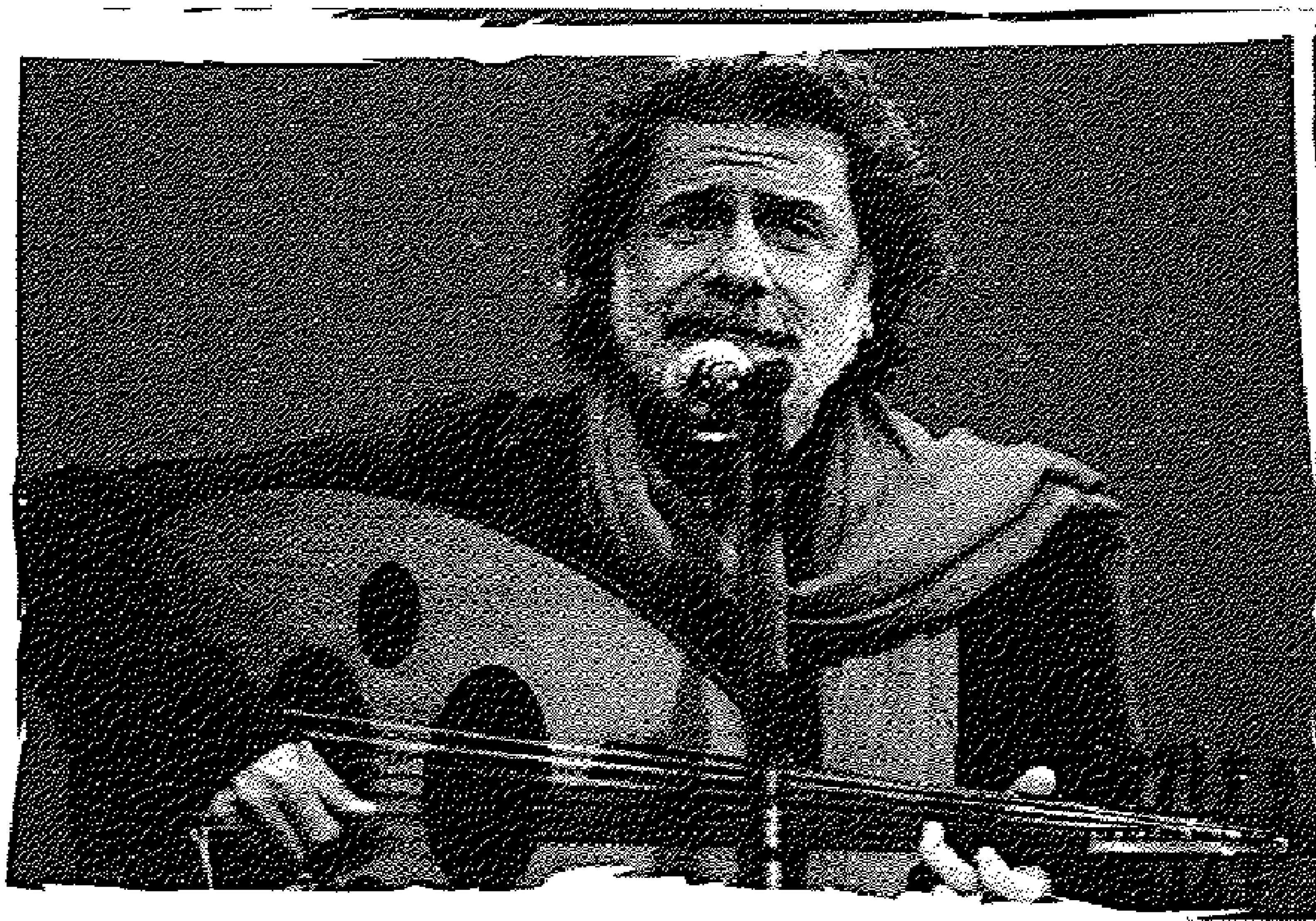
مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة
للثقافة والبحوث





ارفعوا ايديكم عن

حنا جبر ا



اعداد الدكتور

عبدالله المدني

٢٠٠٧

المحتويات

المقدمة

في آذار مارس ٢٠٠٧ كـان البحرينيون المجبولون منذ الأزل على عشـق الثقـافة و الفنون و التفاعل مع مهرجاناتها و إبداعات رموزها على موعد مع فعاليات "ربيع الثقافة" الذي كان قد انطلق للمرة الأولى في عام ٢٠٠٦ ، فأدخل هواء الفرح و الحبور المنعش إلى رئة الوطن الثقافية من بعد طول سكون و جفاف، و صار موسما سنويا يترقبه البحرينيون و جيرانهم في دول الجوار بفارغ الصبر.

غير ان أعداء الفرح و الحب و الجمال ممن لم يترددوا في وصف فعاليات الموسم الأول ب " ربيع السخافة " كانوا له بالمرصاد من اليوم الأول، و قد عقدوا العزم على إفساده و تخريبه و جرجرة تاريخ الوطن الثقافي وصورته الحضارية الزاهية بأميتهم الفاضحة نحو كهوف التعصب و الظلام المغبرة. و بذلك أعطوا لأنفسهم حق التدخل و الحجر و الوصاية على خيارات المواطن تحت ذريعة حماية الأخلاق و التقاليد، بدلا من أن ينظروا إلى المنجز الثقافي و الإبداعي من منظور إنساني شامل و كعنصر من عناصر تنمية و بناء الإنسان السليم الحر.

لقد سل نواب الكتل الدينية و حلفاءهم في البرلمان المنتخب، من فاقدي إمكانيات قراءة الإبداع بمفهومه الأبعد عن التلقي السطحي الساذج، سيوفهم لمحاربة "الربيع" والتحريض ضد برامجه والتشهيـر بالقائمين عليه، متخذين من بضع لقطـات فنيـة تضمنتهـا مسرحيـة "مجنون ليلى" التي صاغها شعرا الشاعر الكبير قاسم حداد وأبدعها تلحينا الموسيقار اللبناني مرسيل خليفة مدخلا للادعاء باشتمال هذا العمل الفني الراقي على حركات وإيحاءات جنسية.

ثم راحـوا، في مشهـد وقف منـه البحرينيون المتنـورون و معهـم دائرة واسعـة من مثقفي و مبدعي العربية الأحرار مذهولين و مشدوهين، يشكلون لجنة برلمانية خاصة للتحقيق في القيمة الإبداعية للعمل و محاكمة أصحابه، هم الذين عجزوا عن فك و حلحلة ابسط القضايا المعيشية للمواطن الذي أتى بهم إلى مقاعد البرلمان. و بتورطهم هذا في مناطق لا يجيدون السباحة فيها و لا يعرفون دروبها و منعطفاتها العصية على فهمهم، اثبتـوا أن همـوم المواطن و حقوقه هي ابعد ما يشغلهم، وان الأولوية في أجنداتهم هي للوصاية و الحجر و قتل الفرح، لتتحـول الديمقراطيـة و الحـريات التي ناضـل البحرينيون من اجلهـا طويـلا إلى أداة للقمـع و التنكيل بذوي التوجهات الحضارية، بدلا من أن تكون أداة للمزيد من المكتسبات و طريقا لنهضة تقدمية تضع البحرين في مصاف الأمم العصرية. و هذا ما وجدت فيه قوى ومؤسسات المجتمع المدني الحرة اعتداء صارخا على الثقافة و الإبداع و مقدمة لخنق حرية التعبير والاختيار المنصوص عليها في الدستور و ميثاق العمل الوطني.

لم تكتف جمعيات و مؤسسات المجتمع المدني بالاحتجاج على هذا العمل الذي عد بمثابة وصمة في تاريخ البحرين تسبب فيها - و يا للمفارقة - من يفترض فيهم الدفاع عن حقوق و حريات المواطن و العمل على زيادة رقعته، وإنما تنادوا للوقوف وقفة رجل واحد دفاعا عن أهم و أغلى ما يميز البحرين و هو تسامحها ودورها الحضاري في التنوير، مستخدمين المتاح من الأدوات الحضارية في الرد، و على رأسها الصحافة المحلية التي جسدت بوقفتها المشرفة إلى جانب "ربيع الثقافة" و بفتح صفحاتها لأصحاب الأقلام الحرة روح البحرين المتألقة وضميرها العاشق للحرية و الفرح.

وسرعان ما تنادى خيرة مثقفي و مبدعي العربية للوقوف إلى جانب إخوتهم في البحرين في معركتهم ضد قوى الجهل و الإقصاء، من خلال عشرات المقالات و البيانات الرافضة لخنق حرية الإبداع و المستنكرة لقراءة الأعمال الإبداعية قراءة مبتورة أو تأويل نصوصها و عروضها تأويلا مغرضا لخدمة مقاصد إيديولوجية و أهداف سياسية.

و جاء بيان الغرفة المعينة في البرلمان البحريني (مجلس الشورى) الذي وقع عليه الغالبية العظمى من الأعضاء ليكمل مشهد الاصطفاف الوطني الواسع مع " ربيع الثقافة"، و تمسك مختلف قطاعات المجتمع بصورة البحرين الحضارية المتوارثة كحضن دافىء للإبداع و المبدعين، و مركز للتنوير و الإشعاع و وطن متسامح تتلاقح فيه الثقافات والحضارات و الأفكار، الأمر الذي عكسته أيضا تصريحات صحفية لاحقة لسمو ولي العهد الذي وقف بجرأة و شجاعة إلى جانب حرية مثقفي و مبدعي الوطن، و ثمن دور "ربيع الثقافة" في الارتقاء بالبحرين.

وهذا الكتاب الذي يحوي بين دفتيه بعضا مما نشر في الصحافتين المحلية و العربية من مقالات و أعمدة و بيانات دفاعا عن "ربيع الثقافة"، واستنكارا لتشكيل محاكم التفتيش و لجان التحقيق البرلمانية ضد المثقفين والمبدعين، نريده أن يكون وثيقة تاريخية تروي للأجيال القادمة كيف ان البحرينيين ذات يوم تمسكوا بحريتهم في الاختيار والإبداع، و انتفضوا ضد المساس بالثقافة و المثقفين، و انحازوا إلى الحب و الفرح و الجمال، مؤكدين بذلك نزعتهم الإنسانية و رقي ضمائرهم و سمو روحهم، و رفضهم للقهر و الوصاية و الحجر على العقول والخيارات، أيا كان مصدره وأيا كانت الذريعة أو اليافطة المستخدمة.

معد الكتاب

المنامة — ابريل/نيسان ٢٠٠٧

جئنا لإعلان الحب

مرسيل خليفة / قاسم حداد

عندما ذهبنا إلى التراث العربي بحثاً عما يضئ حاضرنا، ونستعيد به ما نسيناه وما افتقدناه في حياتنا الراهنة، نعني الحب، جلبنا درّة الحب الخالدة، شعلة الوجد التي لا تخبو جذوتها ما دام هناك عاشق أو عاشقة يتنفسان الحب.

جلبنا حكاية من ذابَ – وقيل من جُنّ- حباً، وقمنا بصقل الحكاية بما تيسر لنا من شعر وموسيقى وغناء ورقص ودراما. وما كان لدينا غير مطمحٍ واحدٍ: أن نحرض الناس على الفرح لا الغياب، على الحياة لا العدم.

كانت غايتنا أن نعبرّ عن العاطفة الإنسانية في أبهى وأنقى تجلياتها، وأن نمجّد الجدير بالتمجيد: الحب.

أبداً لم تكن غايتنا أن ندغدغ الغرائز الأدنى عند جمهور جاء، بكل براءته وثقته وفطنته، ليعرف ويستمتع ويفتح قلبه على سعته، بلا موقف مسبق، بلا ضغينة، ولا أحكام.

جمهورٌ بيننا وبينه ميثاقٌ من الاحترام المتبادل، لا يمكن أن نحط من قدره بتقديم ما هو فجّ ومسفّ ومبتذل.

لكن أبداً لم يخطر ببالنا أن ما نقدمه من عرض نظيف وبريء، ومتجرّد من النوايا السيئة والخبيثة، سوف يتم تأويله –غيابياً- بخلاف ما هو مقصود، وسوف يرى فيه حماة الدين والأخلاق والطهارة عملا فاحشاً ومعيباً، وسوف يرون فيه خروجاً على الشريعة الإسلامية والأخلاق العامة.

إن محاولة نواب الكتل الإسلامية، وأتباعهم، التصدي لعمل "مجنون ليلى"، ولكافة فعاليات "ربيع الثقافة" في البحرين، وتشكيل لجنة تحقيق في ما يسمونه خروجاً على الشريعة، مثل هذه المحاولة لا ننظر إليها بوصفها رغبةً في تصفية حسابات سياسية أو شخصية، بقدر ما ننظر إليها، عمقياً، كمحاولة مقصودة، ومنظمة، لإرهاب كافة أشكال الفكر والثقافة، وقمع كل مسعى إبداعي. الثقافة الحرّة، الرافضة للامتثال، هي المستهدفة.

إنه دفاعٌ باطلٌ، عقيمٌ، مشكوكٌ فيه، عن دينٍ لا يستمد قوته وعظمته واستمراريته من العنف (اللفظي والبدني) الذي يمارسه فقهاء الظلام وتجار الفتاوى، بل مما يدعو إليه من تعايش وتسامح ومحبة. دينٌ، في جوهره، قائمٌ على الحوار والاجتهاد. دينٌ لا يحتاج إلى دم شاعرٍ أو صمت أغنيةٍ كي يحافظ على بقائه، لا يحتاج إلى صراخ وانفعال وتشنج في الدفاع عنه.

إنها دعوة صريحة ومباشرة للانغلاق، لمصادرة حق الآخر في التعبير، لإنكار تعددية الأصوات، والمفارقة أن تنطلق هذه الدعوة من موقعٍ (برلمان) يُفترض فيه أن يكون منبراً لمختلف الأصوات والاتجاهات.

إن مثل هذه الدعوة لا تحتقر الإنسان الحر، الراغب في المعرفة والمتعة، لكنها تحتقر أيضاً بلداً متحضراً ينتمي إلى القرن الحادي والعشرين.

لذا يحق لنا أن نتساءل:

هل يليق بوطن متحضر أن يمثّل شعبه نوّابٌ يتوهمون امتلاك السلطة.. سلطة المنع والكبح والمصادرة؟ نواب ترتعد فرائصهم كلما لاحَ في الأفق قصيدة أو أغنية لا تمتثل لشروطهم فيستنفرون الكراهية والتعصب؟ نوابٌ يرون الشيطان الرجيم يسكن في كل أغنية أو رقصة أو مشهد أو نص؟ نوابٌ يظنون أن الله يبسط، لهم وحدهم جناحَ الرحمة ويعادي الآخرين؟ نوابٌ ليس من مهمات (مجلسهم) أن يعطي شعباً برمته درساً في الأخلاق، ولا لأحدٍ منهم أن يعلمنا الوطنية.

ما يحدث هنا، حدث ويحدث في أراض عربية متفرقة.. بشكل أو بآخر. المثقف العربي متهم دوماً، أو عرضة للاتهام في أي وقت، ما دام يبدع. لذا فهو ليس مطالباً بأن يبدع فحسب، لكن أن يدافع أيضاً عن إبداعه ضد قوى القمع المتربصة به عند كل منعطف.

يحق لنا هنا أن نحيي ونعانق جميع القلوب العاشقة والعقول الحرة، التي عبرت عن تمسكها الجميل بالحب وبالحرية، مسألتان لا يمكن التفريط فيهما كلما تعلق الأمر بالحياة والإبداع. نريد أن نقدر الموقف الحضاري الواضح والجرئ، مطمئنين بأن ثمة مستقبلاً جميلاً لا يمكن لأحدٍ منعنا من الذهاب إليه أحراراً، وبمختلف اجتهاداتنا الفكرية والفنية.

نضم صوت شعرنا وموسيقانا إليكم، لنقول لهم معاً:

ارفعوا أيديكم عن حناجرنا.

مجنون ليلى يواجه مجانين الوصاية الدينية

إبراهيم المصري - مصر

كانت الساعة الثامنة والنصف بتوقيت المنامة عاصمة مملكة البحرين، مساء يوم الخميس الأول من مارس - آذار ٢٠٠٧، ولنتذكر التاريخ جيداً، لأنَّ هذا اليوم أصبح واحداً من أيام الفصل بين أنْ نكون بشراً أو نكون رعايا أو رعاعاً.

وكان المكان مسرح الصالة الثقافية في المنامة، الذي امتلأ هل نقول: حتى الحافة، بجمهور بحريني وعربي وأجنبي جاء ليشاهد عرض مجنون ليلى الذي قدمه ولمدة يومين الفنان مارسيل خليفة مع فرقته الموسيقية والشاعر قاسم حداد صاحب كتاب مجنون ليلى الذي أخذ عنه مارسيل عرضه المؤلف من موسيقى، غناء، شعر، رقص باليه.

إنْ أخذنا بوجهة نظر الذين كانوا داخل المسرح جلوساً على المقاعد أو وقوفاً في الممرات حيث لم يعد ثمة مكان للجلوس، فإنَّ العرض لاقى استحساناً فائقاً، عبر عنه الحاضرون بتصفيق حار وإنصات عميق ومشاهدة مبهجة، وهذا يعني أنَّ من بداخل المسرح في معظمهم على الأقل كانوا يشاهدون أمامهم عرضاً إبداعياً يجتمع فيه الشعر والموسيقى والرقص والغناء ويتجاوبون معه باعتباره "إبداعاً" لا باعتباره فاحشة أو خروجاً على الفضيلة أو هدماً للأصالة والدين. على ما ذهب إليه أوصياء الدين في هجومهم الضاري على عرض مجنون ليلى والتنديد به من على منابر خطب صلاة الجمعة وفي البرلمان البحريني. وهذا يعني أيضاً أنَّ ثمة فئة معتبرة من الناس في البحرين وهذا ينطبق أيضاً على كل بلد عربي، لا يصل بها التشنج النفسي والخلط بين الديني والإبداعي إلى حد اعتبار الإبداع كفراً وهدماً لقيم المجتمع وأخلاقه وأصالته ودينه، لكن ماذا نفعل بمجانين الوصاية الدينية، هؤلاء الذين ما إنْ يرتدي أحدهم عمامة رجل الدين أو يصنف نفسه داعية إسلامي، حتى يمسك بالقلم الأحمر ويبدأ في تخطيط الحدود التي لا يجب على الناس تخطيها، مستنداً في ذلك على ذهان عصبي ومرضي يعطي صاحبه طمأنينة أنه موكل من الله رأساً بهداية الناس إلى الصراط المستقيم.

لقد شاهدت عرض مجنون ليلى في يومه الأول ويمكن أنْ نتحدث فيه من وجهة نظر نقدية وإبداعية وموسيقية، لكن أنْ نتحدث فيه من باب الحلال والحرام ومن باب الحث على الرذيلة وإشاعة الفاحشة، فهذا جزء مما ابتلينا به على يد مجانين الوصاية الدينية بدءا من حسن البنا مؤسسة جماعة الإخوان المسلمين وحتى أحدث رجل دين أو داعية متبطل يرى في نفسه رسول العناية الإلهية لهداية الناس.

لقد انتهى العرض بغناء كل من في المسرح تقريباً رجالاً ونساء مع مارسيل خليفة وفرقته مرددين: قل هو الحب، نعم قل هو الحب الذي يعطي الإنسان والإبداع حضوراً متميزاً في الحياة ويرتفع به فوق خصاله السيئة، لكن مجانين الوصاية الدينية لا يرون في الحب إلا الجنس، وهم في كدحهم هذا يمسكون بالسياط للحفاظ على الفضيلة ولا يجلدون أنفسهم بوصفهم متطفلين يدسون أنفهم في كل كبيرة وصغيرة من حياتنا، ولكن يجلدون الذين يحاولون فتح نوافذ للضوء في هذا الظلام العربي الشاسع. وبعد انتهاء العرض كان الحضور مبتهجاً حقاً وحقيقة، ولم أشاهد أنا على الأقل أي مشاهد تدل على شيوع الفاحشة تلك التي يتحدث عنها مجانين الوصاية الدينية بحماس منقطع النظير، وما من فاحشة في الحقيقة إلا تلك التي يرتكبها هؤلاء الذين ابتلينا بهم.

يجب ألا نخاف، نحن الذين نرى في الدين سماحة إلهية وطمأنينة نفس مع الخالق، وأنْ نواجه هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم وكلاء لله على الأرض، وأخذونا رهينة لأزمة عميقة ومرضية تستوطن نفوسهم بوصفهم بشراً كارهين للحياة والبشر، وإلا ما الذي يدعو نائباً متأسلماً في البرلمان البحريني أو الكويتي أو المصري، إلى التخلي عن العمل الذي من أجله اختاره الناس ليكون نائباً عنهم ويتفرغ لملاحقة الإبداع والفن والسياحة وملابس النساء، بدلاً من الاهتمام بأوضاع الفقراء ومشاريع البنية الأساسية والفساد المالي والإداري ومراقبة أداء الحكومة.

في الحقيقة مجنون ليلى بكل ما يمثله من قيم إنسانية وإبداعية وعاطفية، يواجه مجانين الوصاية الدينية، وكما تخطى مجنون ليلى الزمن بخلوده في ذاكرتنا حتى أطل علينا في القرن الحادي والعشرين من كتاب قاسم حداد وعمل مارسيل خليفة الموسيقى الغنائي، فإنه سيتخطى كذلك مجانين الوصاية الدينية، فالحياة في حيويتها وانحيازها للإنسان تنتصر دائماً، وهذا ليس ضد الدين أو الأخلاق في شيء، لأن ثمة فارقاً حاسماً بين الإبداع والدعوة إلى الفاحشة التي أعظمها ليس أنْ يتعرى رجل أو امرأة ولكن أعظمها أنْ يمسك بخناقنا وبخناق مجتمعاتنا المنكودة بشر من عينة مجانين الوصاية الدينية ونواب التهييج الديني والوعظي ودعاة التبطل من كل عمل إلا الثرثرة على شاشات التلفزيون وفي الإذاعات.

مجنون ليلى انتصر وسوف ينتصر، الحياة سوف تنتصر والإبداع كذلك، أما مجانين الوصاية الدينية فمكانهم محفوظ في مزبلة التاريخ، وبمعنى آخر، بعد ألف عام سوف يقرأ الناس مجنون ليلى ولكنهم لن يتذكروا حرفاً واحداً من مجانين الوصاية الدينية، هؤلاء الذين يكفرون حتى الهواء الذي يتنفسونه، ويرون في كل إنسان مشروع خطيئة لا مشروع حياة وإبداع وإنتاج وحب وسعادة.

لكم ثقافتكم و لنا ثقافتنا

د. عبدالله المدني – البحرين

من لم يقرأ في حياته نصا روائيا راقيا أو قصيدة حب حالمة، و انشغل بقراءة الكتب الصفراء وقصص أهل الكهوف و المغارات و أساطير القرون الغابرة، فحتما ستكون ثقافته الأدبية مختلفة.

ومن لم يحضر في حياته عملا مسرحيا إبداعيا، و اكتفى بعروض مجالس النميمة و القيل و القال و الخوض في أعراض الناس و أنسابهم، فمن الطبيعي أن تكون ثقافته المسرحية مختلفة.

ومن لم يشاهد في حياته من الأفلام السينمائية سوى أفلام الغزوات التاريخية المليئة بقعقعة السيوف و نحر الرقاب و سبي النساء، فمن الغريب ألا تكون ثقافته السينمائية مختلفة.

ومن يحرم الغناء و العزف و ترديد قصائد الحب الملحنة، مكتفيا في أحسن الأحوال بسماع أناشيد الجهاد و الغزو، فمن المستحيل ألا تكون ثقافته الغنائية مختلفة

و من لم يسطر في حياته مقالا علميا أو أدبيا أو سياسيا رصينا ، و حصر قلمه في كتابة مقالات البذاءة و الشتم والتحريض و الإقصاء، فلا بد أن تكون ثقافته القلمية مختلفة.

ومن لم يزر من الأماكن الفسيحة في العالم سوى بيت جدته أو خالته، فلا بد أن تكون ثقافته الجغرافية و معرفته بالشعوب و الأقوام و البلدان و الثقافات مختلفة.

ومن لم ينجز في حياته أي عمل أو بحث أو مشروع إنساني و اكتفى بمراقبة الناس و التدخل في خصوصياتهم وتكفيرهم، و الانشغال "بمثنى و ثلاث و رباع" فلا بد أن تكون ثقافته الاجتماعية مختلفة.

ومن لم يعرف من ثورة الاتصالات و تكنولوجيا المعلومات سوى إرسال رسائل التهديد و التكفير والتشنيع الالكترونية و الدخول إلى مواقع الفتاوي المهدرة للدماء، فلا بد أن تكون ثقافته الانترنتية مختلفة.

ومن لم يكن يتخيل يوما أن يجلس على مقعد المشرع، و ينعم بالتالي بمزايا الجواز الخاص والراتب الضخم والسيارة الفارهة و الحصانة البرلمانية، فمن الطبيعي أن تكون ثقافته القانونية والتشريعية مختلفة.

و هكذا فانه ليس من المستغرب على هـؤلاء إن اعترضـوا مسيرة الثقافة و الإبداع الأدبي و الفكري و الثقـافي والفني و النقدي في البحريـن بهجمة عمياء و ثـورة شـرسـة على الحب و الجمال و الخير و القيم الإنسانية الرفيعة التي يهدف المبدعون، كل في مجاله، إلى نشرها ارتقاء بالذائقة الفنية وتنمية للحس الجمالي و إشاعة للفرح والحبور. فثقافتهم كما قلنا مختلفة، حدودها أزقة "الفرجان" الضيقة و صفحات الكتب العتيقة و مجالس النميمة ومواقع الجهاد و المسيار الالكترونية، و بالتالي لا يمكنهم أن يفهموا نتاج المبدعين أو يقدروا أعمال المفكرين أو يدركوا مرامي الفنانين أو يستوعبوا جهود الأكاديميين إلا من خلال نظارة سوداء حالكة هي نظارة الخصوصية والموروث.

و بطبيعة الحال، فانه لا اعتراض إطلاقا على ما ارتضوه لأنفسهم من خيارات. فهذا شأنهم. بل حقهم المكفول في الدستور و الميثاق. لكن حينما يصل الأمر إلى محاولة فرضهم لتلك الثقافة الضيقة على المجتمع بأسره و خاصة في بلد متميز كالبحرين، و مصادرتهم لحريات و حقوق الآخر المشترك في الوطن و المختلف فكرا و ثقافة و رؤية، و تحريضهم ضد ما ارتضاه هذا الآخر لنفسه، باستغلال المشروع و غير المشروع من الآليات، فان المسألة يجب ألا تمر مرور الكرام. فهناك دستور وميثاق يحرسه عاهل البلاد و يكفل حق الأفراد و الجماعات في التعبير والإبداع والاختيار دون تعسف أو إقصاء أو حجر أو هيمنة.

و من هنـا قلنـا "فلتكن لكـم ثقـافتكـم و لنا ثقافتنا"، و كفـى المؤمنين شـر القتـال، إلا إذا كنتـم تعتبـرون أنفسكم أوصيـاء على البشـر أو تمنحـون أنفسكـم صلاحيـات لا يملكها سوى جلالة الملك.

ديمقراطية إلى الخلف در
د. محمد الرميحي - الكويت

عجيب أمر الديمقراطية العربية أو بالأحرى بعض أشكال ممارستها في بعض بلداننا، يبدو أنها حمالة أوجه إلى درجة أنها تستخدم ضد جذور فلسفتها دون إنذار سابق، كما تغير الحية جلدها. ففي الوقت الذي تُدرس أشعار الشاعر البحريني قاسم حداد في مدارس البحرين، تقوم الدنيا في مجلس منتخب هو البرلمان حول مسرحية قيس وليلى التي هي من أشعاره. اعتبرها البعض خارجة عن " القيم " التي يريدونها، وكأن الشاعر أو الفنان المبدع يجب أن تكون لديه مسطرة ما من اجل أن يقيس بها ما يكتب ويبدع لإرضاء البعض!

الضجة القائمة في البحرين ضجة لا تعني أهلها فقط، بل تعني كل مهتم بكلا الجانبين، التطور الديمقراطي من جانب و تعاطي الثقافة من جانب آخر. ومن نافلة القول أن الصحيح هو أن تقود الثقافة الديمقراطية وتتيح الديمقراطيات حريات اكبر للإبداع الثقافي، فالحد الأدنى للديمقراطية هو عمارة البلاد إلا أن ما يحدث في البحرين على سبيل المثال هذه الأيام هو أمر يخيف المبدعين، ويرعب المطالبين بالحريات والديمقراطية في آن واحد، هو عمل يقمع الإبداع على عكس ما يتوقع العقلاء من الديمقراطية.

ربيع الثقافة في البحرين هو برنامج ثقافي من أفضل برامج الثقافة العربية، متنوع وغني وله رسالة في رفع الذوق العام وتنشيط الحياة الثقافية، وقد أصبح قبلة لمن يريد أن يستمتع بفن حديث تجتمع فيه الموسيقى بالشعر بالمسرح وببقية الفنون ليضفي على ربيع البحرين المعتدل اعتدالا في التعاطي الثقافي متحضر ورفيع المستوى كما انه برنامج معتمد في اغلب نشاطاته على تمويل ذاتي.

حضرت شخصيا فرقة كركلا اللبنانية قبل أسبوعين، وكان الجمهور الذي شاهد العرض ليلتها يقرب في العدد من الألفين شخص رجالا ونساءً، شبابا وكبارا من كل الجنسيات في موقع تراثي تاريخي جميل. شاهد الجمهور واستمتع في إطار من الاحترام الكامل، ولما خرجت من اللقاء الثقافي الدافئ شاهدت كثيرين أتوا البحرين من المناطق الخليجية القريبة للاستمتاع بهذه الفنون الجميلة.

وبعد أيام ثارت الضجة على برنامج آخر عرض في الموسم الجميل نفسه، وكأن البحرين لم تطرب إلى أشعار بن لعبون، ذلك المبدع السابق لعصره، قبل أكثر من قرن، أو موسيقى محمد بن فارس، أو لم تقرأ كتابات عبد الله الزايد قبل أكثر من نصف قرن. كلمات قاسم حداد أصبحت "منكرا ".

في البحرين قضايا سياسية ملحة كان حريا بأعضاء البرلمان الذي انتخبه الشعب أن يتلفت إليها ويقدمها كأولوية قصوى في عمله النيابي، على رأسها الحفاظ على انسجام النسيج الاجتماعي. ثم هناك القضايا الاقتصادية، وهناك إتاحة فرص العمل، وهناك برامج التعليم وهناك التنمية بأشكالها المختلفة.

ويمكن أن ترصد خمسين قضية على الأقل ملحة ولها أولوية لدى الناس قبل الوصول إلى "الحفاظ على الأخلاق العامة" التي ادعى البعض انه يريد صيانتها، وكأن ما حدث في عرض ثقافي مميز هو " خرق فاضح" لأخلاق المجتمع، أنها البحث عن الشعبوية ربما، ونسي البعض أو ربما لم يسمعوا عن قول ونستون تشرشل إلى شعبه "ليس لدي إلا الدم والدموع" في إشارة لقول الحق للعامة لا تزلفهم وإثارة مكامن العواطف الجياشة لديهم، بادعاء خرق الثابت من الأخلاق.

بعض الذين يقدمون أنفسهم للعمل الديمقراطي في بلادنا يسرهم أن يسايروا العامة في اختلاق قضايا بعيدة عن أية قضية حقيقية للتنمية كي يركبوا موجة الدفاع عن "قيم المجتمع" وكأن هذا المجتمع لا سمح الله " بلا أخلاق " أو أن الشعب قد انتخبهم فقط للحفاظ على " الأخلاق الحميدة " من وجهة نظرهم، لا للحصول على خدمات أفضل وبرامج تعليم حديثة، وفرص عمل منتجة ومتابعة الفساد الإداري والمالي، إلى آخر ما يجب أن يقوم به أعضاء المجالس المنتخبة في مجتمعاتنا من أعمال تعود على المجتمع بفائدة.

حقيقة الأمر أن تلك الضجة التي أدت بوسائل الإعلام العربية والعالمية لمتابعتها تفرض التساؤل الرئيسي وهو هل شعوبنا غير قادرة على استخدام آليات الديمقراطية من اجل تقدمها؟ وهل هذه الآليات كما يحدث في مناطق أخرى، هي في النهاية تستخدم بكفاءة لعرقلة خطوات المجتمع في مسيرة التنمية الحقيقية؟ وهل يعرف هؤلاء أن " الأخلاق " نسبية ومتغيرة مع الزمن وشخصية أيضا؟

بدليل انه في زمن ليس ببعيد كان من "غير اللائق أخلاقا" أن تخرج المرأة للعمل أو حتى يسمع صوتها خارج منزلها، وليس من الأخلاق الحميدة أن ينقد الرعية الراعي، وليس من المشروع أن يخالف الابن المتعلم الأب الجاهل!! وليس من الأعراف أن تقود المرأة الرجل!

فالأخلاق عملية صيرورة اجتماعية متغيرة، يبصرها العاقل إن أراد بوضوح دون أن يفرض نوعا متجمدا منها على الآخرين، ففي الزمن الاجتماعي هناك تغير حتمي في القيم والأعراف، وفرض قيم ثابتة هو أولا تعطيل لدور المواطن السياسي كمواطن ناقد واختزاله في " ديمقراطية الأغنام والتبع".

كما أن الانتساب في السياسة هو انتساب إلى الدائرة المدنية التي تقدس الاختلاف، وليس إلى الدائرة القيمية التي تعشق الانصهار تمهيدا لقيادة الجمهور إلى " الصالح" ربما قليلا وكثيرا إلى الطالح. فوحدة الوطن ليست وحدة " الطاعة "، بل وحدة الاختلاف.

المراد من الضجة كما يبدو هو قتل المشروع الثقافي الذي أصبح يسهل لقطاعات كبيرة من الناس أن تعي ما حولها وتتساءل عن ما يجري، وتقضي وقتا ترفيهيا مسالما وتسلية ايجابية. ومن الملاحظ أن تكون القيادة السياسية في البحرين أكثر قدرة على تقديم مشروع حضاري حديث مساير لتطلعات المجتمع ممن أراد أن ينصب نفسه خطأ كونه المرجعية الوحيدة للناس.

لقد اختار النواب المتشددون مجالا لا يوافقهم الكثيرون عليه وقرأوا تطلعات المجتمع بعكس ما ترجوه وتطالب به، فشكلوا تلك اللجنة التي إن هي سارت في طريق حجر الحريات على الآخرين، فهي تخالف في الصميم ما يفترض أن تدافع عنه، وإن حجرت على الآخرين شيء ما في القول، لن تجد من يدافع عنها عندما يوقع الحجر عليها!!

الأصولية و الثقافة في الخليج

د. شملان يوسف العيسى - الكويت

كتبت الصحف البحرينية عن "كارثة ثقافية" في البحرين لأن مجلس النواب البحريني قرر تشكيل لجنة تحقيق بشأن العروض التي قدمت خلال مهرجان "ربيع الثقافة". وقد رفض المثقفون والتجار والكتّاب والفنانون وحتى بعض أعضاء مجلس الشورى البحريني توجهات مجلس النواب، واعتبروها محاولة لتكميم الأفواه.

وكتب الروائي أحمد صالح: إن العقل يقف مشدوهاً ومذهولاً بمنطق عاجز عن فك وحلحلة أبسط القضايا البرلمانية التي من الأجدى لهم أن يسعفوها بشيء من المعرفة والاجتهاد في درس التقدم بهذا الوطن نحو الأمام وليس الخلف. محاربة الثقافة والفن والأدب والإبداع في الخليج خطوات اتخذها مجلس الأمة الكويتي، قبل البحريني، حيث استطاع نواب مجلس الأمة اختطاف الدولة، ووضع قيود صارمة على معرض الكتاب في الكويت، وكذلك وضع شروط شرعية على الحفلات الفنية التي تقام في الكويت. كما نجح النواب، بسبب غياب بعض مؤسسات الدولة وضعفها، في منع حفلات الكريسماس ورأس السنة الميلادية، في الفنادق والمطاعم وكل الأماكن العامة.

السؤال هنا: لماذا تحرص جماعات الإسلام السياسي في الخليج، سواء في الكويت أم البحرين، على محاربة الثقافة ومنع التواصل مع الآخر؟ ما هو هدفها من منع انتشار ثقافة التسامح والمحبة؟ هم يحاربون الثقافة لأنها وعاء للحرية الشاملة، وليس الانغلاق وترويج الأفكار التقليدية التي عفا عليها الزمن.. الثقافة مهمة لكل أمة لأنها تمثل التجربة التاريخية للشعب وتترسخ في مؤسساته، وتشكل توجهاته وتطلعاته نحو العالم.

لماذا يتخوف الأصوليون من الاحتكاك الثقافي والتواصل مع الآخر؟ يتخوفون لأنهم يعون تماماً أن الثقافة قد تتغير مع الزمن. فإخراج الثقافة من الإطار التراثي بكل مخرجاته السمحة إلى فضاء أرحب يناقش الآخر البعيد ولا يهمل الواقع القريب أمر لا يعجب أعضاء هذه الجماعات الأصولية المتطرفة، لأنهم يروّجون لثقافة الانعزال والانغلاق عن الآخر تمهيداً للتطرف والإرهاب، وهذا أسلوب خاطئ على جميع المستويات. الأصولية الإسلامية في الخليج تحاول إجهاض مجهود الدول الخليجية في بناء الإنسان المنفتح على الآخر، والذي يؤمن بالوسطية والاعتدال.

إننا لا نغالي عندما نؤكد أن الحكومات في دول الخليج العربية أكثر ليبرالية وتحرراً وانفتاحاً وتسامحاً من شعوبها. فالنواب سواء في الكويت أم البحرين تم انتخابهم من قبل الشعب.. لماذا اختار الشعب نواباً من " الإخوان المسلمين" والحركة السلفية، والمتطرفين من الشيعة؟ معنى ذلك أن شعوبنا لا تزال غارقة في وحول التقليدية، وتحارب الحضارة والاعتدال والحداثة. لذلك جاءت محاولات دول الخليج لتعزيز الثقافة وفتح بلدانها على الآخرين من أجل أن يرتفع المستوى الثقافي لدى أبناء شعوبها، حتى يتوصلوا إلى الاختيار الأفضل في الانتخابات العامة.

لا ينكر أحد أن جماعات الإسلام السياسي من "إخوان" وسلف وشيعة وغيرهم قد وصلت إلى البرلمان عن طريق الديمقراطية، على رغم ازدراء هذه الجماعات للديمقراطية، وكرهها للحكم الديمقراطي.. لكنها تستغل الحكم الديمقراطي للوصول إلى السلطة، وبعدها يتم فرض نظام الحكم الديني. مرة أخرى نتساءل: لماذا تسعى الجماعات الأصولية الحزبية المتطرفة لمنع المهرجانات الثقافية أو وضع قيود على أنشطتها؟

هذه الجماعات تعي تماماً تزايد دور وسائل الإعلام في ترويج ثقافة الانفتاح والتسامح، وتلمس قضايا الإنسان بشكل عام. فالمشاريع الثقافية والسياحية ومهرجانات التسويق التي اتجهت لها دول الخليج مؤخراً.. واستثمرت فيها الأموال الكثيرة، لا تعجب هذه الجماعات لأن الانفتاح الثقافي معناه القضاء على الانعزال والتطرف، مما يؤدي تدريجياً إلى تغير العقليات المتزمتة، ويفتح المجال للتفاهم والمحبة والسلام مع الآخر.

فالأصولية في الخليج ضد الحياة ومع الموت، وهذا يتناقض مع الفهم الحقيقي للإسلام. إن الإسلام، مثله مثل أي دين، ليس ما تتحدث الكتب عنه، وإنما ما يصنع الناس منه. إذ لا تؤيد الحياة اليومية لغالبية المسلمين فكرة أن العقيدة في جوهرها معادية للغرب ولتحارب الحداثة.

الوصاية الدينية و جوهر الحق
عمران سلمان – البحرين

قرار نواب الكتل الإسلامية في مجلس النواب البحريني بتشكيل لجنة تحقيق في مهرجان ربيع الثقافة، يمثل تجليا آخر لفكر الوصاية المتجذر عميقا في الذهنية الدينية عند مستواها البدائي. وأقول البدائي، لأن هناك مستويات أرقى حتى ضمن الذهنية الدينية، كما نراها عند بعض الطوائف المسيحية ممن تخلصت من النزعة الشمولية والتوتاليتارية في الدين.

وبصرف النظر عما إذا العرض محل الاعتراض، يحوي مشاهد تحمل إيحاءات جنسية أم لا، فالسؤال هنا هو من يحق له تحديد أخلاق المجتمع، بما في ذلك المجتمع الموصوف بأنه مسلم؟

إن مشكلة أصحاب الفكر الديني ذا النزعة الشمولية عموما والإسلامي خصوصا، هي أنهم يفترضون أنفسهم جزءا من هيئة (مصطفاة) مهمتها إصلاح باقي البشر، وأن واجبهم والتزامهم الديني والأخلاقي يحتم عليهم التدخل في تحديد أذواق وعادات المجتمع.

إنهم لا يرون بأن الآخرين يملكون أي حق في اختيار ما يناسبهم من أفكار أو عادات. فالآخرون قاصرون وعاجزون عن ممارسة حق الاختيار، واقل شأنا من أن يتركوا لوحدهم في الحياة. ولذلك يأتي أصحاب الفكر الديني، ليحددوا لهم ما يجب وما لا يجب عليهم أن يفعلوا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا أيضا هو من نصبهم رقباء وأوصياء على النفس البشرية؟

إن عضوية البرلمان، لا تعطيهم مثل هذا الحق، كما أن التزامهم الديني لا يبرر لهم هذه الممارسة، باعتبار أن حرية الاختيار، هي من الحقوق الأصيلة والطبيعية للإنسان (يملكها منذ الولادة)، مثلما هو الحق في الحياة.

والانتماء إلى دين من عدمه هي مسألة مكتسبة وطارئة، مثلها مثل تقلد أي وظيفة، بما في ذلك الوظيفة النيابية، وهي لا ترقى إلى مستوى الحق والأصيل في جوهر الإنسان، ولذلك فهي لا يمكن أن تستخدم سببا أو ترتب حقوقا يمكن بموجبها انتهاك الحقوق الأصلية للبشر.

إن من المفهوم أن يكون القانون الذي توافق عليه الناس، وتنازلوا بموجبه عن جزء من حريتهم للدولة في سبيل قيامها بتوفير الحماية لهم، هو الذي يتدخل في هذه الحالة.

ولكن حتى هذا القانون، إنما يتركز نطاق عمله في تنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع وبما يحفظ لكل فرد حريته وحقوقه، ولا يتعداه إلى تشكيل هذه الحقوق أو المس بها، بل أن هذا القانون من أولى مهامته التأكد من سلامة الحقوق الطبيعية للأفراد.

وفيما يتعلق بالقضية مثار الجدل، من الواضح أنها عرضت في مكان خاص (صالة أو ما شابه) وحضرها أناس وشاهدوها بمحض إرادتهم وحريتهم واختيارهم، مثلما كان هناك آخرون مارسوا حريتهم واختيارهم في عدم الحضور والمشاهدة.

وبالتالي فالمنظمين أو المشاركين في العرض لم ينتهكوا حرية غيرهم، أو يجبروهم على المشاهدة، ولا يمكن للقانون في هذه الحالة أن يتدخل، حيث أن هذا الأمر هو خارج نطاق عمله. كما لا يمكن لأعضاء المجلس النيابي أوغيرهم، سواء بصفتهم التشريعية أو الفردية، وهم بدورهم أفراد مثل غيرهم، أن يتدخلوا في تقييد حرية آخرين مساوين لهم في الحقوق الطبيعية.

لكن النواب البحرينيين، من الكتل الإسلامية والشيعية، تدخلوا بصفتهم "الدينية"، ومارسوا وصايتهم من هذا الباب. وهذه إحدى النكبات التي تعاني منها المجتمعات العربية، وإحدى المفارقات الكبرى في التجارب "الديمقراطية" الناشئة في هذه المجتمعات.

فالأصل أن السلطة التشريعية، ينتخبها الناس للدفاع عن – وحماية – الحقوق الطبيعة للفرد، من تغوّل السلطة التنفيذية، إنما الحاصل هو أن السلطة التشريعة هي التي تحجّم هذه الحقوق وتنتهكها.

وهذا يحدث ببساطة لأن عضو السلطة التشريعة في حالتنا هذه هو في الوقت نفسه رجل الدين، في صيغته الشمولية، ذات المستوى البدائي، وهذا اختراع عربي إسلامي فريد، لم يسبقنا إليه أحد من قبل!

ربيع الثقافة: ربيع النفوق و الأذهان

د. مصطفى حجازي - لبنان

كل عام تقيم مملكة البحرين مهرجانا راقيا ومميزا في الثقافة على اختلاف ألوانها: الشعر، المسرح، الغناء الموسيقي، الاستعراضات الفنية، الرسم والنحت، وسواها من أنواع الثقافة المحلية والعربية والعالمية. ويعيش البحرينيون كبارا وصغارا ومعهم إخوانهم الخليجيون عيدا من الفرح، وغذاء الأنفس والأفئدة والأذهان. يعيشون مع هذه الفعاليات بكثافة حيث يجدون أنفسهم ويحسون بخفقة الحياة بين ضلوعهم، ويخرجون من الفعالية، والارتياح يمتزج بمشاعر السعادة والحماس والتفاؤل والإقبال على الحياة باد على الوجوه، وغامر للنفوس. وما أحوجنا والأمة تمر بهذه الظروف العصيبة، والتحديات المتعاظمة، أن جرعات من الفرح والتفاؤل تمدنا بوسائل التفاعل النشط مع الدنيا.

هذا كله معروف، ولا يضيف جديدا. إنما ما نود طرحه في هذه العجالة هو الحديث في وظائف الثقافة والفنون على اختلاف ألوانهما ليس في الصحة النفسية وحدها، بل في التنمية الاقتصادية والمجتمعية، وتعزيز الهوية والانتماء، وكذلك في تفتيح الأذهان وتعبئتها لمزيد من العطاء وتقديم الإنتاج المميز. والسبب في طرح هذه الوظائف وأهميتها، يعود إلى بروز مواقف مشككة وناقدة، بل وعدائيه تجاه ربيع الثقافة في تغذية النفوس والأذهان، ما يساعد على تصويب بعض المواقف المشككة والرافضة، والتي تستكثر الكلفة المالية (البسيطة عموما) على هذه الفعاليات وتعتبرها تبذيرا بلا جدوى، إن لم يكن تبذيرا يشجع على المفسدة. وقبل أن نخوض في هذه الوظائف، كنا نتمنى لو أن الغيارى على المال الذي ينفق على هذه الفعاليات التي سيتضح مردودها التنموي في السطور القادمة، كانوا يبدون الحماس ذاته والحرص عينه على مدخرات المواطنين في دول مجلس التعاون من دون استثناء، والتي تم نهبها من قبل مافيات المضاربة بالأسهم والأسواق المالية الذين خدعوا الناس وزينوا لهم وهم الإثراء السحري.

والذين كلفوا الاقتصاديات الوطنية مبالغ خرافية من الميزانيات العامة التي كانت قادرة على تحقيق نقلة تنموية نوعية في دول المجلس، لو أنها وظفت لأغراض التنمية. وياليت الغيارى على المال العام وعلى النفوس من المفاسد الأخلاقية التي يتممون الفعاليات الثقافية والفنية بإحداثها، كانوا يوظفون جهودهم لمحاربة فساد قراصنة الأسواق المالية الذين لا هوية لهم سوى هوية الكسب غير المشروع ومراكمة الثروات وتهريبها خارج الحدود، لماذا لا يعترضون مثلا على تحويل القنوات الفضائية الخليجية إلى قنوات أسهم وأسواق مال على مدار الساعة،

سواء من خلال البرامج المتكاثرة حول سوق المال، أو من خلال عرض أخبار البرامج المتكاثرة حول سوق المال، أو من خلال عرض أخبار البورصات والأسهم؟ كنا نتمنى لو أن هذه القنوات كانت تخصص بعضا من وقتها الثمين للحديث عن الجهد والإنتاج والإنجاز والعطاء. وكنا نتمنى لو أن الغيارى على المال وعلى سلامة النفوس تساءلوا عن تكاثر برامج أسواق المال التي تستضيف من يقدمون الفتاوى الدينية التي تحلل عملياتها وتعتبرها ليست من الربى الذي حرم الله.

كنا نتمنى على الغيارى على الهوية والمنادين بالأصالة أن يوجهوا جهودهم إلى الممارسات العمرانية التي حولت مدن الخليج إلى مدن أبراج ومولات استهلاك مدفوعة بدافع الربح وحده. وهي ممارسات لا مكان فيها لأي معلم تراثي، وليس فيها أي مكان لبناء الذاكرة أو التاريخ اللذان يمدان الهوية الوطنية بمرتكزاتها العمرانية. لكن يبدو أن المضاربات العقارية تجد أن الأراضي اثمن من أن يخصص بعضها لبناء بنية تحتية مدنية ثقافية تراثية تربط الناس بأرضهم وتعزز ذاكرتهم الوطنية. كان الأجدر بهؤلاء أن يثوروا على تكاثر المدن الخليجية بلا روح (مدن الأبراج، الزجاجية، والمراكز التجارية، ومراكز اللهو والاستهلاك). حتى اللهو والمتعة أصبحا تجارتين محضتين، ولم يعد فيهما أي اثر للثقافة والذاكرة. كان على هؤلاء الغيارى أن يخشوا من تحول الهوية والأصالة إلى مجرد هوية استهلاك وأسواق مال. ذلك هو الخطر الفعلي والمحتمل والذي يتعين الالتفات إليه وعلاجه قبل فوات الأوان.

بعد هذه الأفكار الاستطرادية، نعود إلى وظائف الثقافة والفنون، والتي جعلها ربيع الثقافة في مملكة البحرين ربيعا للنفوس والأذهان.

بادئ ذي بدء الثقافة والفنون ليسا ترفا أو مفسدة. إنهما مكونان أساسيان من ثقافة كل المجتمعات والحضارات مما يطلق عليهما تسمية الفولكلور وهما مكون أساسي في جميع قراض التاريخ، وبصرف النظر عن مستوى تقدم المجتمع. هل هناك مجتمع أو جماعة من دون تراث من الأزياء والأعياد والأغاني والرقصات والفنون والزينة؟ ان الحرب عليها هي حرب على روح المجتمع ذاته.

فما هي وظائفها إذا؟

أولى الوظائف، إضافة إلى الترويح والتخلص من عناء التعب والعناء والجهد المنتج، مما نجده تقليديا في الاحتفاليات التي تقام بعد مواسم الحصاد، تتمثل في وظيفة استعادة التوازن النفسي وتجديد الحيوية. وهي فيما يتجاوز الترويح تقوم بوظيفة الوفاق مع الذات والكون.

تلك هي وظيفة الجماليات الأساسية والإبداع الجمالي على اختلاف ألوانه، حتى عند الأطفال الصغار. الإبداع الجمالي والمتعة المصاحبة له هي ضرورة حيوية لاستعادة الوفاق مع الذات والكون. لذلك نجد الأطفال الصغار يحبون الرسم ويحبون الغناء والموسيقى حيث يعيشون لحظات من الانسجام الداخلي، والانسجام مع الوجود تلك هي أسباب الشعور بالارتياح حين حضور هذه الاحتفاليات. وهو من مقومات استعادة التوازن النفسي، وبالتالي الصحة النفسية التي تهيئ السبيل إلى تعبئة الطاقات من جديد، والانطلاق في جهود البذل والعطاء والإنجاز والإنتاج. وهذا يقود إلى الحديث عن الوظيفة النفسية التابعة المهمة، والتي تشكل احد شروط الإنتاج والإبداع الأصليين.

تنشط الفنون، كما هو معروف، الدماغ الأيمن، مركز الحلم والخيال والإبداع والوجدانات الايجابية والتناغم مع المكان. وتهيئ بالتالي الدماغ الأيسر، وتمده بهذه الطاقة الايجابية المبدعة كي ينتج كل المنتجات العقلانية التي يتخصص بها. وبالمناسبة وضع اينشتاين نظريته في النسبية العامة من خلال تشغيل ملكة الخيال عنده التي تنشط في الدماغ الأيمن، ثم حولها إلى المعادلات الرياضية المعقدة التي قام بها دماغه الأيسر. ذلك هو أيضا شأن كل الاختراعات التقنية التي نفرط في استهلاكها واستعراضها والفرح بها حين نقتنيها أنها من منتجات الأذهان المبدعة التي تحول الأفكار إلى منتجات تقنية تدر الأرباح الطائلة على اقتصاديات بلاد المنشأ. كما أن الثقافة عموما تفتح الأذهان وتغذي العقول على التنوع والتعدد، وتوسع أفق الرؤيا مما يساعدها على إنتاج النظريات والأفكار والتقنيات التي تشكل مجال التنافس العالمي الراهن، والتي يقتصر خطنا منها على الاقتناء والاستهلاك.

سعادة النواب و المجتمع المدني و شنق الثقافة

د. باقر النجار – البحرين

لا يمكن أن يكون المجلس النيابي سلطة فوق السلطات، أو أن يكون أعضاؤه فوق المسائلة بل و الملاحقة الجماهيرية في مواقفهم و مغانمهم. ولا يمكن للمجلس أن يتجاوز أحد أهم مصادر شرعية السلطة بمفهومها العام: و هو المجتمع المدني. فالشرعية السياسية لأي سلطة سياسية في الديمقراطيات المتقدمة يمثل المجتمع المدني بمنظماته و جماعاته أحد أهم و لربما أقوى مصادرها. و كلنا يعرف، و المتابعون فقط من أعضاء السلطة التشريعية يعرفون كذلك، أن الكثير من السلطات قد فقدت شرعيتها عندما امتنعت منظمات المجتمع المدني عن دعمها أو انقلبت عليها. و رغم الخصوصية المحلية للتجربة الديموقراطية المحلية، فإن المجتمع المدني بمنظماته و جماعاته يبقى يمثل أحد أهم القوى التي عملت و ناضلت من أجل قدر من الديمقراطية و إن تمتع بمغانمها جل نوابنا الأفاضل.

و أجزم و لربما يجزم معي الكثيرين أن من يوظف هذا المصطلح و المفهوم من بعض أعضاء المجلس قد يجهله و لربما يجهل معه تلك التحولات التاريخية التي جاءت عليه حتى أستقر في إطاره المعاصر. من هنا فإن ذلك التصريح الذي أطلقه أحد رموز كتلة الوفاق والكاثر من أسئلتها "منتقداً مؤسسات المجتمع المدني التي استكثرت على النواب ممارسة حقوقهم.... معتبرا أنه لا يحق لتلك المؤسسات مصادرة حق النواب"!!؟..(جريدة الوقت ٢٠٠٧/٣/٢٢) إنما يمثل في أصله إحدى المحاولات الحثيثة و الدؤوبة لبعض النواب و الكتل في بعضها أو جلها تجاوز حق المجتمع المدني و منظماته في الاعتراض و الرفض و تبني المواقف و لربما التأثير عليها، وهو حق مشروع كفله الدستور و اللوائح و الاتفاقيات الدولية و الأعراف. و حجبةٌ عنها بعنوةٍ مجلسا كان يفترض أن يكون في جله ممثلا للأمة بكل تلاوينها و تنوعها و أرائها، فجاء موقفهم مناقضا و بشكل صارخ للديمقراطية كممارسة و مفهوم. بل أن أداء بعضهم و موقفه من الثقافة و زيادة الموقف المتشدد منها ومن الصحافة قد كان في بعضه سلوكا مكابرا " أخذته العزة فجاء سلوكه مخطئا" و لن أقول بالإثم. و تؤكد تجربة الكثير من الديمقراطيات العريقة و الكاملة، أن الديموقراطية لا يمكن أن تختطف بأي حال من الأحوال من قبل أكثرية برلمانية فرضت المعطيات و الظروف أكثريتها. و يمكن القول هنا أنه إذا ما كانت التنظيمات السياسية قابلة في بعضها على تقديم تنازلات سياسية معينة مقابل بعض المكاسب الوقتية أو الآنية، فإن منظمات المجتمع المدني تبدو في مواقفها من قضايا الحريات و التعددية و حقوق الإنسان ذات مواقف أرسخ و مبادئية.

و ليس سرا القول أن تعاطي السلطة التنفيذية مع منظمات المجتمع المدني بدا مبديا قدرا من المرونة في القبول بها و في الأخذ بمرئياتها و لربما أحيانا الأخذ بمواقفها في أكثر من حالة وموقع، في حين كشف المجلس التشريعي في فصله السابق و بعض أو جل مناقشات فصله التشريعي الحالي، عن رغبة جامحة في فرض رؤاه المتشددة على حركة هذه المنظمات و قطاعاتها الفاعلة في المجتمع. و قد افهم خصام حركتي أخوان المسلمين و السلف و تشددهما مع منظمات المجتمع المدني و التي تحمل في طياتها رواسب تاريخية في جانب منها و اعتبار أو اتهام بعضا من أطراف هاتين الحركتين لأطراف من المجتمع المدني بكونها تمثل فسطاط شر والحاد مقابل فسطاط خير وإيمان والذي هي منه. إلا أنني بالطبع لا أفهم هذا الموقف المتشدد من منظمة الوفاق الإسلامية و الغير مبرر بأي حال من الأحوال إلا بكونه موقفا فوقيا وجب عليها تبنيه. وقد أفقد هذا الموقف الوفاق ليس تعاطف قوى وجماعات سياسية و ثقافية و مهنية محلية فحسب و إنما شكل موقفها الأخير دافعا لبعض الأوساط الدولية المعنية بقضايا الدمقرطة و حقوق الإنسان في أن تعيد تصنيفها من حركة ديمقراطية داعمة و مناضلة لمزيد من الدمقرطة، إلى حركة وعظية غير قابلة بالتنوع و التعدد تحت مبررات الدين و الأخلاق، و هو التصنيف الذي تدخل فيه الحركتين السابقتين.

و إذا ما قَدَرت الظروف و المتغيرات المكشوفة و اللا معروفة في أن تمسك المنظمات الاسلاموية بضفتيها بمفاصل المجلس، و أن يمثلوا الغالبية العظمى من نوابه، فإن عليهم كذلك احترام حقوق القوى و الجماعات الأخرى الفاعلة و المؤثرة في المجتمع. و إذا ما كانت القوى الاسلاموية باكتساحها للمجلس قد مثلت حالة جماهيرية، فإن هذا الأمر لا ينفي عن الجماعات و القوى الأخرى حقيقة أنها تمثل حالة سياسية و فكرية مؤثرة في المجتمع. و قد أثبتت خبرة المجالس البرلمانية العربية ذات الديمقراطيات اللا ليبرالية في الأردن و الكويت و لربما المغرب واليمن و غيرها أن القوى الاسلاموية توظف سيطرتها أو تمكنها من الوصول لهذه المجالس في فرض أجندتها الخاصة على الفرد و المجتمع بعيدا عن أي اعتبارات أخرى.

و مع ذلك فمن الممكن القول أن الوفاق قد بدت في مواقفها الأخيرة مدفوعة برغبة في بناء تحالفاتها الجديدة مع المنظمات الاسلاموية المتخاصمة معها في المرحلة السابقة و مع التضامنيات التي تشاركها الآن سكنى قبة البرلمان. وهو أمر قد أجده براعة من القوى الاسلاموية الأخرى في إشراك الجماعة الوفاقية في تحالفات على بنود قد لا تمثل بالنسبة لها، أي الوفاق أولوية وفق ما تقول، و إن كانت بالنسبة للقوى الاسلاموية الوعظية الأخرى: الأخوان و السلف و التضامنيات يمثل قمة أولوياتها، وهو يعتبر دون شك نصرا و اختراقا كبيرا لها. من حيث كونه أمرا قد أعاد جدولة أولويات الوفاق في داخل البرلمان من ناحية و أضر بتحالفاتها

السابقة، و لربما ساهم في انقطاعها عن حلفائها السابقين من ناحية أخرى. وقد بدت البراعة الإخوانية (نسبة للإخوان المسلمين) و السلف واضحة في جر الوفاق لفخ لجنة التحقيق في ربيع الثقافة. ففي حين إن المقترح في أصله سلفي-أخواني إلا أن تبني عمائم الوفاق و أفنديتها لذلك، جعل من الهجوم المضاد على نواب المجلس ينصب في جله على رؤوس الداخلين الجدد في اللعبة البرلمانية من الوفاقيين و ليس على غيرهم، و الذي في بعضه قد يؤكد حقيقة أن قدراتهم التعبوية في الشارع و على المنابر لا تبدو قادرة على إسعافهم في تحسس خطواتهم و مواقعهم تحت قبة البرلمان. تماما كما كانت الشرارة الأولى الرافضة لحفل المطربة اللبنانية المعروفة نانسي عجرم قبل بضع سنوات سلفية الأصل و المصدر، إلا أن أعمال الشغب والرفض على الشارع قد جاءت من جماهير أعتبرها البعض بشكل أو بآخر وفاقية، و تماما كذلك كان الموقف من مقترح قانون الحشمة في الجامعة الذي كان مصدره في الأصل أكثر عناصر السلف في المجلس تشددا، إلا أن القطاع الطلابي المحسوب على الوفاق قد كان الأسبق في الدعوة و التجمع لتطبيقه و ليس التنظيمات الطلابية لجماعتي الإخوان و السلف.

و أعتقد أن غلبة الطبيعة الوعظية العامة لجماعة الوفاق البرلمانية، و لربما توجيهات و توجهات قياداتها ومرجعياتها التي في صلبها وعظية، قد أدخلهم في تحالفات جديدة، قائمة أو دافعة نحو تحقيق التديين القسري للمجتمع، معيدا بالتالي تشكيل سلم أولوياتها البرلمانية: من لعب دور تشريعي إلى لعب دور الواعظ و الحافظ الأخلاقي على المجتمع وهو أضعف الإيمان. فأي جماعة سياسية لأسباب ذاتية في هياكلها القائمة أو في رموز وشخوص قياداتها البارزة، و نتيجة لضعف في الرؤى و الإمكانيات أو نتيجة لضيق الفضاءات المتاحة، فإنها تلجأ نحو تبني البنود الهامشية في أجندتها. و هو أمر تنطبق عليه قصة صاحب الحمار الذي لم يقوى على الحمار فصب جم غضبه على "عدته".

و يبقى المعضل الرئيسي لبعض إن لم يكن جل أعضاء المجلس، هو أن المقاعد التي احتلوها و الأبواب التي فتحت لهم أو لبعضهم و التقاطر الإعلامي عليهم، حتى أن صور بعضهم باتت لا تفارق صفحات الجرائد عابسين برهة و"مكشرين" في واحدة و مبتسمين ابتساماتهم الصفراء والمصطنعة و لربما الحقيقة في أخرى، كل ذلك يعطي بعضهم أو جلهم شعورا بالقوة اللا محدودة أو في بعضها القوة المنفلتة، بل و في بعضها الآخر كذلك قوة "معاندة" راكبة للخطأ كاسرة للحق و العرف. كما ويبقى المعضل كذلك، في شعور بعض أو جل هؤلاء و وهو شعور عكسته ممارستهم/ممارساتهم على أرض الواقع، معضدة منه قوة المرجعيات و التضامنيات و التعاضديات التي أستند إليها بعضهم في الوصول لقبة البرلمان. وهم في واقع أمرهم أقرب إلى تمثيل تنظيماتهم السياسية الاسلاموية التي جاءت بهم إلى المقاعد الوفيرة

والمغانم الجمة. و كلنا يعرف مداخل إستثاراتهم للعامة و المجتمع و القائمة أما على التوظيف السياسي للدين: كفر مقابل إيمان أو التوظيف التعاضدي للدين أو بالأحرى التوظيف الطائفي للدين: سنة مقابل شيعة، أو توظيف أثني عرقي قائم على التعاضديات القبلية و العرقية: عرب مقابل عجم أو أعاجم أو أصايل مقابل بياسر كما هي في عرف التراتب القبلي الكويتي.

أنه في الحقيقة معضل لا يمكن تجاوزه بالتوظيف السياسي أو المؤقت للدين و الأخلاق و الأعراف، كما لا يمكن تجاوزه باعتبار النائب سلطة غير قابلة للمسائلة أو المراقبة. و مع ذلك فإن المجتمع المدني، يبقى يمثل أحد أهم مصادر التأثير ليس فقط في مسائلة النواب عن أدائهم و مواقفهم، و إنما كأحد أهم مصادر حماية الديمقراطية بكونها حق لكل الناس و للثقافة بكونها فضاء أنساني لا يعاش بغيرها. و لنا في مقال أو مقالات أخرى قادمة مناقشة لموقف الجماعات الاسلاموية من الثقافة أو بالأحرى موقع الثقافة في الخطاب الأيديولوجي الأسلاموي كخطاب شمولي: يخضع الفرد و المجتمع لمنطق خطابه، و لنا في التجربة الإيرانية و الطالبانية أكبر مثال. بل لنا في تجربة الأنظمة الشمولية في الإتحاد السوفيتي و أوربا الشرقية سابقا و بعض الدول العربية الشمولية نماذج أخرى دامغة.

أضاعوه .. و أي فتى أضاعوا

محمد البنكي - البحرين

الذين يجهدون أنفسهم اليوم بالتفتيش عن نصوص قاسم حداد،ويجهدون عيونهم بالتدقيق بين سطورها،ويجهدون عقول الناس لإخضاعها للتفسير الذي استنتجوه يبدون كأنهم حاطبو ليل.. يشعلون نيرانهم في الأخضر واليابس ولا يريدون أن يفهموا أن دخان العطب قد زكم الأنوف حتى النخاع!

إن وضع هؤلاء المفتشين المحققين تحت مجهر النقد، خصوصا في هذه الظروف، ديناميت.. ذلك أن بعض الحق في الموضوع قد لا يعجب من يطلق عليهم مشايخ، كما أن بعضه الآخر قد لا يعجب من يطلق عليهم نواب، ولكن لابد مما ليس منه بد، ذلك أن واقع خلط الأوراق الآن يفرض على الجميع التعامل مع الديناميت ومحاولة إبطال مفعوله.

دعوني أشرح وجهة نظري، وأنا أحب أن أكون صريحاً إلى أبعد الحدود.. فبعض الناس الذين بيننا يقومون بدور غريب عجيب.. بعضهم أتاح لنفسه أن يفتي ويوجه أصابع الاتهام ذات اليمين وذات الشمال بينما هو لا يمتلك أدنى مواصفات المفتي.. وبعض آخر رأى في نفسه ناقداً هماماً فراح يحدد لنا مستوى الأعمال الفنية، وأوجه القبح والجمال، دون أن يتوفر على بضاعة تسمح له بذلك.. وبعض آخر فتح الباب على مصراعيه للسب واللعن والولاء والبراء، فمضى يتبرأ من قاسم حداد، ويلعن ربيع الفجور. ولا ندرى كيف سيتوقف هذا الانجراف مع التيار؟!

ولعل من نكد الأوضاع أن بعض هؤلاء يتصور أنه يملك قوة هائلة لمحاسبة الناس ولكنه يمنع الناس من أن يحاسبوه. ومن النكد أنه يظن بأحقيته في انتقاد الآخرين دون أن يسمح لأحد أن ينقده..

إني أقولها بصراحة – وأنا أعتقد أنها ستجلب لي متاعب لا أول لها ولا آخر – إن ساحة إنتاج قيادات الرأي الديني بحاجة إلى فرز و تطهير كبير. لقد كان الابتعاد عن الدين شر مستطير.. هذا صحيح.. وكان التكسب باسم الدين كارثة، وهذا صحيح أيضاً.. ولكن الدعاة إلى الدين كارثة أخرى اليوم.. ويجب الاعتراف بأن عليهم مسئولية كبرى في كل الذي صارت إليه الأحوال، ومثلما يتنادون اليوم،ويصرخون في الآخرين،للتطهير وتدارك الأخطاء عليهم هم أيضاً أن يتنادوا إلى التطهير وتصويب الأخطاء والكف عن الغلط.. تصحيح أخطاءهم قبل أخطاء الآخرين. فالضجة المثارة على نصوص قاسم حداد آفتها من الفهم السقيم.. ولا شيء أكثر!

لقد قالوا بأن قاسم حداد أباح الزنا. وأمعنوا في دعواهم فزعموا أنه شجع على ترك الصلاة.. وجاء أمثلهم طريقة فقال: أشرك بالله وأهان الأنبياء. وكان أن خرجت في الجامعة مسيرة الطلبة المحتقنة: يا من سميتم شعراء.. الإسلام منكم براء.. ملعون يا ربيع الغوى والفجور ملعون..

لقد كنت واحداً من الناس الذين يتصورون أن قاسم حداد كان ومايزال – مثله مثل طرفة بن العبد – مهضوم الحق على هذه الأرض.. فما كان أحرانا أن نحتفي بشاعريته التي وضعتنا على خريطة الإبداع الشعري العالمي في غير محفل من المحافل. وما كان أجدر بنا أن نباهي الأمم قائلين.. وعندنا قاسم حداد. ترى هل يعرف هؤلاء الذين تولوا كبر هذه التخليطات حقيقة ما قاموا به ومداه.. وآثاره؟

أجد السؤال الخطير يفرض نفسه تلقائياً: ما مبلغ علم الذين يتحدثون باسم العلم الشرعي دون مساءلة ؟ هل لديهم في سيرهم العلمية معارفهم الأساسية ما يؤهلهم للفتيا ؟

إن من الاشتراطات التي اتفق عليها المتقدمون، فيمن يتأهل للتصدر بين الناس مفتياً في دين الله: العلم باللغة العربية، ولا عجب في ذلك لأن سلامة ومعرفة أساليبها مطلوبان لسلامة الفهم، فعبر اللغة تستنبط أدلة الأحكام، غير أن ذلك شرط معدوم في أغلب من خاطوا وباطوا بمحاكمة ربيع الثقافة و أخبار مجنون ليلى.. العلم بالعربية يشمل معرفة الأساليب وتاريخها،.. ومستويات اللغة، وطرق الدلالة في كل مستوى، وأنماط انتقال المعنى من مستوى إلى آخر.. والتراث الفكري جميعه إنما يدور على نشاط اللغة في ذلك.. هناك حقيقة وهناك مجاز.. الحقيقة استعمال شائع مألوف للفظ فيما وضع له، والمجاز عدول عن ذلك المألوف الشائع.. استخدام للفظ في غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة.. والأدب يشتغل على المجاز، لذا يجب التفريق بين استخدامين للغة: استخدام التواصل العام واستخدام الفن.. ولا غرو بأن أي عاقل، له حظ قليل من الثقافة، يعرف أن لغة الكلام العادي مهمتها تواصلية، تتم بالمصطلحات والمدلولات الحرفية المعروفة التي اصطلح عيها المجتمع.. أما الأديب فيتحرر من ذلك.. ويتوسع.. ويصوغ الأخيلة.. ويخرج عن الإطار العام الذي يعبر من خلاله الآخرون.. فهو يعتمد على علاقات وتراكيب ودلالات لغوية جديدة..

قاسم حداد لم يفعل أكثر من هذا! لقد نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى غيره، مع وجود قرينة مانعه من إرادة المعنى الأصلي، هي أنه يسبك عبارته في إطار الشعر لا في إطار الفقه والفتوى. وإذا كان سماحة عيسى قاسم أو فضيلة عادل المعاودة أو غيرهما قد فهم إن الاستشهاد التالي هو فتوى فقهية فالغلط في هذه الحالة ليس غلط الشاعر بالتأكيد:

يُروى أن قيساً كان يختلف إلى فقيه يقال له "كلام بن وحش" يستفتيه في ما يأخذ الناس عليه. فعندما كثرت الأقاويل على صلته بليلى، وقف على كلام واستفتاه في ما يزعمون بأن علاقتهما ضرب من الزنا، فقال له: الزنا هو بذل جسدك لمن لا تحب، أما إذا العشق حصل والشوق اتصل فلا زنا فيما قدر الله. وقيل إن كلاماً مال على قيس وأسر له: يا بنيّ، اعشق ما تيسر لك وتمتع بما تسنى ولا تطفئ جذوة العشق بالعرس ما استطعت قيل فلم يفعل المجنون غير ذلك.

في المباحث التي يعقدها القدماء للتدليل على أهمية أن تكون الإحاطة باللغة العربية من مشمولات معارف الفقيه يذكرون جهات يدخل الاعتراض على المفتي من جهتها، وأول ذلك: أن يراعي ما يقتضيه ظاهر العبارة ولا يراعي انتقال الكلام إلى مستوى يتجاوز الظاهر، وكثير ما تزل الأقدام بسبب ذلك. وأحسب أن ذلك مما زلت به أقدام بعض من حاولوا أن يشنعوا على قاسم حداد بقراءة سقيمة فيما أورده نصه المذكور هنا. فالمطلع على تاريخ الأساليب في فنون العربية يدرك أن هناك ظاهرة طريفة عرفها الأدب العربي منذ البواكير وتقبلتها مدونات العربية وآدابها، وتعايش معها فقهاء اللغة، وفقهاء الشرع، وأرباب البلاغة، وأغضى عنها حتى أشد الناس تزمتاً، وتجهماً، وضيق أفق، وتتمثل هذه الظاهرة في نهج الشعراء نهجاً فنياً يقوم على محاكاة العشق للدين، محاكاة استعارية يغيب فيها الدين وتبقى متعلقاته حاضرة في العشق، ويمثل الدين، وطقوسه، ومفرداته، نموذجاً يحاكيه العاشق ويستعير رموزه، ودواله، وعوالمه. فالعشق دين، والعاشق عابد متبتل، وأفعاله التي يتقرب بها للمعشوق تشابه الطقوس الدينية، يحرم للحج فيلبي بإسمها ويتوجه للصلاة فتكون قبلته، وتزهق روحه من أثر الجوى، فيكون شهيداً للحب.. إلخ. مثل هذا التقليد شائع دارج، وكتب التراث طافحة بذلك جداً، سواء كتب الأدب من أمثال الأغاني، ومصارع العشاق، وطوق الحمامة، و الزهرة، و الظرف والظرفاء، أو كتب ودواوين الحب الصوفي كديوان أبن الفارض، وديوان أبي الحسن الششتري، وخمرة الحان، و ترجمان الأشواق وغيرها.

وداخل هذا التقليد الشعري المتبع وجد ما اصطلح عليه، في الكتب التي تتبع تاريخ الأساليب بـ فقه العشق، وهو ليس فقه جاء يدخل في أبواب الكتب الفقهية بل هو شيء من قبيل لهو الشعراء بالجمع بين هذين الأمرين المتباينين: الفقه والعشق، يتساءلون فيه عن الأحكام الافتراضية المتخيلة المرتبطة بالعشق، والموت عشقاً، وحكم مقتول العشق، وديته، وثواب العشق والصبر على تحمله.

وهذا كله مستخلص من التصورات التي تجعل العشق، لون من ألوان الابتلاء التي يتعرض لها الإنسان في الدنيا، هكذا يقول ابن الرومي:

أيهـا العاشـق المعـذب أصـبر
فخطـيـات ذي الهـوى مغفـورة
زفـرة في الهـوى أحـط لـذنـب
مـن غـزاة وحـجـة مـبرورة

وفي إطار هذا اللون من الأساليب قد يعمد بعض الشعراء إلى قلب منطق الإثابة فيعتبرون المتعة بالعشق نفسها منتجة للثواب، يقول الجمّاش:

إذا قبّل الإنسانَ إنسانٌ يشتهي ثناياه لم يأثمٍ وكان له أجرا
فإن زاد زاد اللّه في حسناته مثاقيلَ يمحو اللّه عنه بها وزرا

لقد عمد قاسم حداد إلى باب معروف ضمن بنود هذا الفن الذي يلابس العشق بالدين هو ما اصطلح عليه بـ الفتاوى العشقية، وهو ليس أول من ألف فيه، بل هو مسلك معروف، درج فيه الشعراء، وحالت معرفة الفقهاء ودعاة الدين، المحيطة بأفانين المجاز في اللغة العربية، دون الإنكار عليهم.

فمثلما فعل قاسم حداد في النص الذي دار بين قيس و كلام بن وحش تصور لنا الأخبار لقاءات بين شعراء عاشقين وفقهاء يجيبون السائلين عن أمور دينهم، وقد عقد أبو الحسن علي بن محمد الديلمي فصلا بعنوان الفصل الأول في مقالة التابعين، ومن تبع من الفقهاء وأهل الدين في صفة المحبة والمحبين من كتابه عطف الألف المألوف على اللام المعطوف ذكر فيه شتى القصص التي زعم الرواة أن العشاق رفعوها إلى الصحابة والتابعين والفقهاء. وعن طريق الحوار بين العاشق والمستفتي تحلم النصوص الشعرية بالمصالحة بين المتعة والقانون. وأساس الإباحة في هذه الفتاوى الشعرية هو اعتبار العشق أمرا خارجا عن مستطاع الإنسان، أو كما جاء في نص أخبار المجنون إذا العشق حصل والشوق اتصل فلا زنا فيما قدر اللّه.

هذه إجابة أحد فقهاء المدينة السبعة، "سعيد بن المسيب"، في حكاية من هذه الحكايات التي عرفتها أساليب الشعر كما جاءت على لسان ابن مرجانة:

سألت سعيد بن المسيب مفتي الـ
مدينة هل في حب دهماء من وزرِ؟
فقـال سعيـدُ بـن المسيـبِ: إنمـا
تـلامُ على ما تستطيـع من الأمرِ

وقد نفى ابن المسيب ذلك اللقاء وقال: "والله ما سألني إنسان عن هذا ولو سألني لأجبت"، وهذا يدل على أن الشاعر هو الذي يستنبط اللقاء بالفقيه، ويخضعه إلى أحكام الشعر والهوى، بحيث أن المستفتى يكون شخصية شعرية غير الشخص التاريخي لاسيما أن نص فتواه يصاغ شعرا.

وتذكر بعض الأخبار أن امرأة جاءت إلى الإمام الشافعي ومعها رقعة فناولتها الشافعي وفيها:

سـل المفتـي المـكي هـل في تـزاورٍ
وضمـةِ معشـوقِ الفـؤادِ جنـاحُ

فكتب تحتها:

أقول معاذ الله أن يُـذهب التـقـى
تـلاصـقُ أكـبـاد بـهـن جـراحُ

ومثال ذلك رقعة رفعت إلى الشافعي أيضا وفيها:

ألا فسأل المكي ذا العلم ما الـذي
يحـلُ مـن التقبيل في رمضانِ؟

فأجاب عنها:

يقـول لك المـكي: إمـا الـزوجـةٍ
فسبـعٌ، وأمـا خُلـةً فثـمـانِ

وتصور الأخبار لقاء بين الإمام مالك بن أنس ورجل دخل عليه وأنشده:

سلوا مالك المفتي عن اللهو والصبى
وحب الحسـان المغنجـات الفوارك
يخـبركـم أني مصيـبٌ، وانمـا
أسلي همـوم النـفـس عني بـذلكِ
فهل في محب يكتم الحب والـهـوى
إثـامٌ، وهل في ضمـة المتهـالكِ؟

فسُرّي عن مالك، وقال: لا إن شاء الله.

وفي كل تلك الأخبار لم يرد أن محكمة عقدت، أو أن أحداً من الفقهاء قد حمل هذه الأفانين الأسلوبية من المجاز محمل الجد بحيث حاسب قائلها أو خطب في الناس بالنكير عليه!

ولم يكتف أبو نواس بالحوار بين عاشق وفقيه بل طالت محاكاته طريقة المحدثين في إيراد الأدلة. فقد أقبل يوما إلى مجلس "عبدالواحد بن زياد بالبصرة"، وقد كثر عليه أصحاب الحديث. فقال: ليسأل كل رجل عن ثلاثة أحاديث وليمض، ففعل الناس ذلك، حتى انتهى إلى أبي نواس، فقال: يا غلام، سل أنت، فقعد بين يديه وقال: هاك الحديث، فقال هات، فأنشد:

ولقـد كـنـا رويـنـا
عـن سعيـد عـن قتـاده
عن زُرارة بـن أوفـى
أن سـعـد بـن عبـاده
قال: من ناك حبيبا
فـاز منـه بالسعـادة
وإذا مـات محبـاً
فلـه أجـر الشـهـادة
نيـةُ العاشـق، فأعلـم
هـي خـيرٌ من عبـادة
قد روى ذاك صـوابـا
وأتـانٌ عـن جنـاده

فقال له عبدالواحد: قم، عليك ما عليك، والله لا أحدثك حديثا وأنا أعرف وجهك، فقام أبو نواس وقال: والله لا أتيت مجلسك وأنت ترد الصحيح من الأحاديث!

وعلى تكاثر الشواهد والأخبار، التي لو أوردنا المزيد منها لطال بنا المقام، فإننا لم نسمع على امتداد القرون أن أحدا من أفراد السلطة التشريعية، في هذا الصقع أو ذاك من أصقاع الخلافة الإسلامية، قد عقد لجنة تحقيق، أو طالب بمحاسبة الشعراء، أو سخر المنابر للدعاء بالويل والثبور. لقد كان لهم من أصالة السليقة اللغوية وتشرب أساليب التعبير ومعرفة البلاغة وأفانين تصريف القول ما يحميهم من الوقوع فيما وقع فيه بعض المتحمسين المتعجلين ممن لو سألته عن الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل لحار جوابا، ثم هو بعد ذلك يفتي ويدين الآخرين ولا يطرف له جفن فإلى الله المشتكى.

"مجنون" من يسيء إلى "مجنون ليلى"

عبدالإله بلقزيز – المغرب

من قال إن الإسلام يتعرض للإساءة من خصومه وأعدائه في الخارج أكثر مما يتعرض لها من بعض المنتسبين إليه؟

من يشك في هذا، يكفيه أن يقرأ بعض ما يقال " باسم" الإسلام في هذه المسألة أو تلك من مسائل الدنيا والدين، في هذا المصر أو ذاك من أمصار العرب والمسلمين، لكي يقف بالدليل الاقطع على فداحة فعل الإساءة وخطبه الذي يقترفه في حق هذا الدين نمط من البشر يستسهل إتيان الفتيا على غير دراية وتبين؟ ويرتفع مستوى الخطب والهول في " النازلة" هذه كلما استعار هذا النمط من الناس مفردات الفقه في معرض دور سياسي يؤدونه مضاعفاً: باسم من يمثلونهم في مؤسسات الدولة، وباسم من يدعون تمثيلهم عقديا وشرعيا! فكأنما الناس رعية لهم منقادة وهم عنها مسؤولون في الدنيا والآخرة! من خولهم هذا السلطان وأنزلهم في الناس منزلة الهداة الذين لا يكون سواء مسلك في الدنيا ومذهب في الدين من دونهم؟ من أحل لهم دماءنا وحرم عليهم حريتنا وأوعب لهم بسوسنا على مقتضى نظرهم وتقديرهم الذي ليس فيه شوب " ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"؟

لست أعني بهذا الكلام بعضاً ممن يختطفون الإسلام باسم الجهاد (الذي لا ينهضون بأمره في فلسطين والعراق!) فيغرّمون العرب والمسلمين أعظم الغرامات وأفدحها بجريرة ما يفعلون، وإنما أعني به جمهورا من أهل السياسة دخل إلى السياسة حديثا بعد طول تشنيع عليها ونكير ولكن ممتشقا عدة من "الأفكار" والمفردات شديدة الغربة عن السياسة والمجافاة لتقاليدها المدنية! وسيكون فعلاً شنيعاً من أفعال الخطباء أن يتصرف المرء إزاء ما يقولون ويفعلون بحسبانهم ناطقين باسم الدين أيا كان موقع الواحد منهم في حركته " الدينية" أو أياً كانت مرتبته الفقهية (إن كانت له مرتبة وإن كان بين يديه فقه) قبل الولوج إلى ميدان السياسة، بل الأصوب أن يرى إليهم مثلما هم أصحاب رأي في السياسة وإدارة الشؤون المدنية وإن أتى رأيهم على ألسنتهم بلغة أهل الفقه. فذلك أجدى وأنفع للدين الذي يساء إليه بتعلة " النطق باسمه".

سبق لرجال دين محافظين أن أبدوا رأيهم الفقهي في آراء ونصوص اجتهادية وصل إلى حد التكفير وتأليب الدولة والقضاء ضد أصحاب تلك الآراء؛ وذلك مثلاً عين ما عرض لمفكرين ومثقفين ومبدعين مثل طه حسين (ضد كتابه: في الشعر الجاهلي)، والشيخ علي عبدالرازق (في كتابه: الإسلام وأصول الحكم)، وخالد محمد خالد، وصادق جلال العظم،

وفرج فودة، ونجيب محفوظ، ونصر حامد أبوزيد، ونوال السعداوي، وحسن حنفي، وحيدر حيدر، وحسن الترابي، والصادق النيهوم، وسيد القمني، ومرسيل خليفة (تجريماً " فقهياً" لأغنية " أنا يوسف يا أبي" مرتين متعاقبتين)... لكنها المرة الأولى التي سيجترئ فيها المكفرة على تسخير المؤسسات التمثيلية للدولة قصد تصفية حساباتهم مع الفكر والثقافة والاجتهاد والإبداع!

حصل ذلك في البحرين: بلد الأحرار والديمقراطيين. وكان الضحايا أربعة من أجمل من أثثوا ذاكرتنا الجماعية في الحاضر والماضي: مرسيل خليفة، وقاسم حداد، وقيس، وليلى. والتهمة ضبط " عصابة الأربعة" متلبسين بالجرم المشهود: الحب، والجهر به، والترويج له في أوساط الناس! وقد يقال أن المكفرة ما أزعجهم الحب القيسي الليلائي إلا لكونه اقترف التعبير عن نفسه في لوحات راقصة توحي بشبهة التحريض على " كبائر" الأمور: استثارة الغريزة الحسية من خلال تظهير نداء الجسد. وجوابنا أن التعبير الإنساني والأدبي عن الحب في تاريخ البشر لم يهدر صلة حارة ودائمة بين هذا الشعور الإنساني الرائع (الذي اسمه الحب) وبين الوعاء المادي الذي ظل يصب فيه منذ بدء الخليقة: الجسد. فهل لهؤلاء من سلطان على الطبيعة والخلق حتى يحدثوا إحداثا فيهما فيعيدوا توزيع الصلة بين الحب والجسد على مقاس افتراضي يفك بينهما الارتباط ويهبط بمعنى الثاني إلى حضيض الدلالات وخسيسها؟

قد يصح هذا المعنى الطهراني والعذري والعفيف للحب عند الصوفية المأخوذين بهاجس التطهر النفسي من أدران المادة. لكن المكفرة ليسوا من هؤلاء المتصوفة، لأنهم منغمسون في المادة، بل في أسوأ أنواع المادة المسماة سياسة وسلطة: المادة الحاضة على البراغماتية والكذب والرياء من نوع الكذب على المؤمنين بتصوير الحب لهم وكأنه رذيلة على نحو ما يفعلون اليوم في هذه " النازلة ".

حين يتعلق الأمر بعمل أدبي فني لمرسيل خليفة وقاسم حداد، يختلف التقدير. الرجلان من مدرسة أخرى: مدرسة الإبداع والعقل والالتزام، مدرسة تراقب وتحاسب بلغتها الخاصة (الحضارية)، وتجدف ضد تيار الخلاعة " الفنية" و... السياسية. مدرسة تخيف المتلاعبين بمشاعر الناس وترفع من منسوب هواجسهم من فقدان القدرة على الإمساك بأزمة أمورهم. لذلك، يسوغ للمكفرة أن يصوبوا عليها سهامهم. يختفي المفكرة أحيانا وراء الدين (والدين منهم براء)، وفي أحايين أخرى يرابطون في حصون السياسة. أما المبدعون الأحرار، مثل هذين اللذين حفظا لقيس وليلى حرمة ذكراهما في النفوس، فلا يختفون إلا وراء ثيابهم، ولا يرابطون إلا في حصون الصدق الشفاف مع النفس والناس.

لا أعرف أحداً من هؤلاء المكفرة، ولم أسمع باسم أي منهم قبل هذه " النازلة" . ربما لتقصير مني في المعرفة، وربما لغمور من تنطعوا للإساءة إلى مرسيل وقاسم. لكني أعرف أن لا أحد من العرب العاربة والعرب المستعربة يعرفهم. أما "عصابة الأربعة" (قيس، ليلى، مرسيل، قاسم)، فمعروفون لدى سواد الأمة الأعظم وسيظلون كذلك لمئات السنين. فهل يستوي الذين يعرفون والذين لا يعرفهم أحد؟

ربيع الثقافة تحت مقصلة الإعدام

بدر عبدالملك – البحرين

نطرح سؤالا لعلنا نفتح حوارًا أعمق من تلك اللجنة النابعة من عقلية تنتمي لمحاكم التفتيش، وعن ذهنية المغالين في الإسلام الذين قطّعوا أوصال المعارضين عندما تهيأت لهم الظروف. ها هو التاريخ يعيد نفسه في أقنعة وخناجر مختلفة، في أصوات تتعالى احتجاجًا على "ربيع الثقافة" لكي تمتلك سلطة نفوذ المحاكم التاريخية والعسف. فلماذا وجدت تلك المجموعة النيابية نفسها معنية بحرب فكرية وثقافية خارج مشروعها النيابي والانتخابي بهدف إشغال الناخبين عن موضوعات أساسية ضمن برامجها الانتخابية؟ تعالوا نتوغل بعض الشيء في عمق المشروع الظلامي المستهدف ترويجه في الأرض بحجج كاذبة ووهمية، المهم أن يتم وتنجز الأهداف البعيدة والقريبة.

لقد سعت تلك المجموعة منذ التأسيس إلى بناء دولة إسلامية من نمط طالبان في كل مكان تتحرك فيه ووفق تكتيكات محددة، تارة بالعنف وتارة بالمهادنة الصامتة لكي لا تُمنع من النفاذ إلى معاقل حيوية ومهمة في الدولة والمجتمع، ومن ثم التغلغل ابعد ما يمكن رؤيته لدى أجهزة السلطة.

ومن ضمن تلك المشاريع استلام السلطة بعد إسقاطها، وبما أنهم يشعرون أنهم لا يستطيعون ذلك بسهولة فان اختراق هذا المعقل المحصن بالإمكان التأثير عليه، من خلال دراسة نقاط الضعف وليس الصدامية معه مستحبة أو ممكنة ولكن المهادنة والتقنع أسلوبان أفضل، فالمهم اجتياز المعاقل بهدوء وإبداء أفكار تبدو للسلطة أنها قيم ومواقف تتلاءم معها فيتم المرور من تلك البوابة المخادعة.

وبما أنهم لم يتمكنوا من استلام السلطة فان السؤال الأهم لديهم أين نتغلغل ونؤثر في بنية الدولة؟ وكيف نجعل السلطة الرسمية تغفو عنا بعض الشيء بارتداء قناع الممثل البارع، ويتاح لنا العبور إلى المؤسسات الحيوية. فالإعلام والتربية قلعتان أسهل للاختراق، فهما مهمتان لتشكيل الرأي العام والتأثير عليه كما أن قوة المال عنصر مهم في اجتذاب الموالين والمتعاطفين والأنصار فلهذا استوجب الهيمنة على البنوك باختراقها، وتأسيس مصارف بديلة ومنافسة لتلك البنوك الأجنبية.

من هنا نلمس ظاهرة التأثير على جوانب ثلاثة هي الإعلام والتربية والتعليم والمصارف كانت مفاتيح للغزو الصامت، وكلما سيطر الظلام على عقول المناهج والمعلمين والطلاب فان جيلا كاملا سيتخرج مشبعا بتلك الروح المتشددة ويصبحون جاهزين للقطف والاحتواء.

غير أن الهيمنة على المؤسسات الرسمية لا يكفي فلا بد من اختطاف المجتمع ووضعه تحت مظلتهم، فتم التأثير على قطاع واسع من الناس في حقبة كانت الدولة مشغولة بمشاريع سياسية أخرى، وما على قوى الظلام إلا المشي عند الجدار والاحتماء بالصمت والمراوغة، فالمهم عندها هو التغلغل في أعماق المؤسسات الرسمية والمجتمع، وبعد تحقق كل ذلك اتسع

المشروع الداخلي بالتعاون مع الخبرة الخارجية بإعداد الكادر ومحاولة خلق ثقافة دينية متشددة لكونهم لم يتمكنوا من اختراق معقل من أهم معاقل المجتمع التنويرية، على الرغم من قدرتهم في التأثير على الأفكار والتسلل إلى العقول والنجاح في تأصيل التفكير الديني عند قطاع واسع من الناس، خاصة الجيل الشاب والنساء، ولكنهم عجزوا عن الاقتراب والاختراق والخطف لمجالات الإبداع.

فهناك نمط من الثقافة الإبداعية المرتبطة بنمط من التفكير والخلق والأسئلة الكونية حول الإنسان والوجود والحرية، فلا يمكنهم خلق مسرح عبثي أو واقعي، ولا يمكنهم تشكيل لوحات سريالية أو واقعية وتكعيبية والمزاوجة بين التراث والمعاصرة والنبش بالتراث من خلال المغامرة الفنية، كما لا يمكنهم أن يقتربوا من الموسيقى فكل شيء فيها شرير وفاحش، فما بالكم كيف ينظرون للرقص، فهو في نظرهم إغراء وإثارة للغرائز وعمل من أعمال إبليس الرجيم، لهذا عجزوا عن اختراق تلك القلعة الحصينة كما لم يستطيعوا خلق قوة ثقافية موازية، لهذا ينبغي تحطيمها ومحاربتها فهي القوة الوحيدة التي شعروا إزاءها بالضعف بعد عجزهم من اختراقها. بينما نجحوا في خطف المؤسسة التشريعية كمجلس النواب، مما يتيح لهم تكبيلها كما هم في حربهم الخفية والمعلنة ضد الصحافة، فحرية الرأي في الصحافة توأما لحرية التعبير في الثقافة، وهما ينسجمان معا من اجل تعميق الحريات وتكريسها وتعزيز مشروع الديمقراطية في عهد الإصلاح.

إن الهروب للأمام لكتلة الظلام ومن يقف معها ليس إلا هروبا عن مناقشة القضايا الرئيسية في المجلس الوطني والانشغال بقضايا جانبية وفتح معارك شكلية، والتضخيم بموضوعها لكي يبدو النواب الأفاضل هم التعبير الحقيقي عن إبداع الشعب واهتمامه بالثقافة كقوة خارج سيطرتهم، ولا بد من محاصرتها في المعركة القائمة، فإذا ما نجح المشروع ينطلق المناهضون للثقافة لما وراء ربيع الثقافة؛ فهناك مشاريع لتقييد كل العقول والمبدعين في وطننا وتكميم الأفواه فيما بعد، لمناهضة حرية التعبير والتفكير فتخلو الساحة لهم بعد تيئيس الناس والمثقفين من الدفاع عن حقهم في الوجود.

إنها معركة امتحان فعلية بين الحرية والظلام والقمع، بين السجّان والمبدع، بين الحياة والموت، وعلى كل المثقفين والمبدعين والناس الشرفاء والغيورين على الثقافة والحرية والرافضين للإقصاء في مملكتنا أن يرفعوا شعار الأسبان ضد الفاشية في الحرب الأهلية، " لن يمروا" ضد اللجنة العدوانية التي تقرأ الثقافة والإبداع بنظارتها المثقلة بالعتمة والتشاؤم والانتحار لتقدم الوطن تحت حجج واهية ومكررة، ولن يتوانوا عن اجترارها في كل مناسبة يرون فيها الناس سعداء وفرحين بالربيع فما بالنا أن ذلك الربيع ربيع ثقافي ومفتوح لجميع الناس.

بيان الحب

عصمت الموسوي - البحرين

" عندما ذهبنا إلى التراث العربي بحثا عما يضيء حاضرنا، و نستعيد به ما نسيناه و ما افتقدناه في حياتنا الراهنة، نعني الحب، جلبنا درة الحب الخالدة، شعلة الوجد التي لا تخبو جذوتها ما دام هناك عاشق أو عاشقة يتنفسان الحب".

بهذه المقدمة استهل مارسيل خليفة و قاسم حداد بيانهما المشترك ردا على تلك الأصوات و الاحتجاجات التي تعالت و استدعت تشكيل لجنة برلمانية لمحاكمة الفن و الثقافة و الجمال و الإبداع. " جئنا نحرض الناس على الفرح لا الغياب، على الحياة لا العدم، و لم تكن غايتنا أن ندغدغ الغرائز الأدنى عند جمهور جاء بكل براءته و ثقته و فطنته ليعرف و يستمع و يفتح قلبه على سعته بلا موقف مسبق و بلا ضغينة و لا أحكام".

تذكرت هذا البيان أمس و أنا أجيب على أسئلة مراسل إحدى الفضائيات العربية تعليقا على السجال الدائر في البحرين هذه الأيام بين نواب البرلمان و بين " ربيع الثقافة". قلت له أن لجنة التحقيق ستحاكم لقطة عابرة و منقضية، جاءت في سياق عمل فني راقص يتغنى بالحب، و قد يواجهون بإشكالية تتعلق بمدى مسئولية المنظمين للفعالية عن هذه الحركة العابرة و كيف تتم المحاسبة. و لو عدنا إلى تراثنا العربي الذي استلهم منه قاسم و مارسيل عملهما المسرحي لاستدعى الأمر ربما محاكمة طويلة و متشعبة لكل الرموز الإبداعية التي تجرأت و تناولت مواضيع الحب و العشق و الغزل بشكل جريء و مغاير للمألوف.

ارض الحب و الخلود كما رآها جلجامش يراد اليوم تحويلها إلى ارض يباب، سوداء، و حزينة و غارقة في الخوف و الملل و السام و الرتابة. سعدت عندما تصدرت إعلانات ربيع الثقافة الشوارع و الطرقات، و أبديت هذه الملاحظة للشيخة مي آل خليفة رئيسة قطاع الثقافة الإعلام. فمنذ شهرين و البحرين متلحفة بالسواد إحياء لمناسبة ذكرى استشهاد الحسين. و قد أخذت المناسبة حقها بالكامل سوادا و عزاء و بكاء و احتلالا للشوارع و الأمكنة دون اعتراض من أحد.

إن للمواسم الثقافية أيضا ناسها و روادها و منتظريها، و قدر البحرين ماضيا و حاضرا أن تتعايش مع اختلافاتها و تنوع مشارب أهلها و أذواقهم المتعددة، و هو أمر ينسجم تماما مع جوهر الفكرة الديمقراطية التي ارتضيناها جميعا عندما ولجنا زمن الإصلاح السياسي.

إنها الديمقراطية و حرية الرأي و التعبير المنصوص عليها في الدستور الذي اقسم النواب عليه، و هي ما أوصلتهم إلى مقاعد البرلمان .. الديمقراطية التي تقتضي توسيع مساحات الفعل الديمقراطي و الحريات جميعها و قبول الاختلاف و عدم احتكار الحقيقة أو فرض الرأي و الفكر الواحد الذي يفترض أننا خلفناه وراءنا.

سؤال أخير: لماذا الفرح و الحب و الإبداع في مجتمعاتنا إما محاصر أو مستحيل؟

خط الدفاع الأخير عن الحريات

بقلم: إبراهيم علي – البحرين

إذا افترضنا أن لهجمة قوى الظلام على الثقافة و الفنون و الإبداع حسنات، فان الحسنة الوحيدة تكمن في ما أحدثته من هبة لدى مؤسسات المجتمع المدني الحرة – نأمل أن لا تكون مؤقتة – للوقوف صفا واحدا في وجه طوفان الظلام، الذي لا نعتقد انه سيهدأ أو سيتوقف أو سينحسر، لسبب بسيط هو أنه لم يستكمل بعد أهدافه ومراميه البعيدة و المتمثلة في المصادرة الكاملة للرأي الأخر وفرض الوصاية التامة على مؤسسات الدولة والمجتمع.

ولاشك أن ما أبدته مؤسسات المجتمع المدني مؤخرا من تلاحم ، تجسد في قيامها بإصدار بيان الدفاع عن الثقافة والإبداع ، كان عملا مباركا ورائعا. ولكن سيظل السؤال الذي يطرحه الجميع هو: وماذا بعد البيان؟ و بعبارة أخرى، ماذا تبقى في جعبة جمعيات و مؤسسات المجتمع المدني من أدوات و وسائل غير بيانها التضامني مع المثقفين والمبدعين ومساندتها اللفظية للتعددية الثقافية والفكرية في المملكة؟

لقد اتضح اليوم ، من خلال إقدام مجلس النواب فعلا على تشكيل لجنة للتحقيق في "ربيع الثقافة" ، أن الكتل النيابية المعادية للمثقفين والمبدعين ماضية في هجومها المخطط والمبيت من أجل فرض رأيها على المجتمع بأكمله ، بعدما نجحت في اختطاف النظام الانتخابي والديمقراطي الذي لا تؤمن به أصلا ، بحسب أقوال أحد كبار رموزها قبل خمسة أعوام.

فمجرد تشكيل هذه اللجنة بالغالبية العظمى من الأصوات، يوضح لنا مدى استهتار الكتل النيابية المتشددة، وتحديها أولا لمؤسسات الدولة باعتبارها هي الراعية لمهرجان ربيع الثقافة من مجلس التنمية الاقتصادية وإدارة الثقافة بوزارة الإعلام، و تحديها ثانيا للمجتمع البحريني ذي التاريخ الطويل في التسامح والتعددية الثقافية والتنوير ، والذي دلل على تأييده لربيع الثقافة بالحضور الكثيف لمختلف فعالياته و برامجه، و تحديها ثالثاً لأكثر من ٥٠ من مؤسسات المجتمع المدني السياسية و المهنية و الثقافية و الحقوقية والنسوية و الممثلة لقطاع عريض من خيرة رجال و نساء البحرين الأكثر علما و بذلا و مساهمة في بناء الوطن و تنميته.

وعليه، فان كل الشرائح الاجتماعية في هذا البلد معنية اليوم بمواجهة هذه الهجمة الشرسة وهذا التحدي الصارخ من قبل نواب التشدد الذين يبذرون اليوم بيتنا بذور الحرب الأهلية.

و بالمثل ، فان مؤسسات المجتمع المدني مدعوة أكثر من أي وقت مضى لإبداء قدر اكبر من الوحدة و التماسك فيما بينها، و إسدال الستار نهائيا على تشرذمها و انقساماتها العبثية، بغية حماية أهل الفكر و الفن و القلم والدفاع عن حرية الإبداع ما أمكن إلى ذلك سبيلا. إذ لا يمكن بعد اليوم أن نعول فقط على أن الحريات و الحقوق مكفولة بنصوص دستورية، و نجلس في بيوتنا دون تحرك فعال أو تأثير حاسم في مجريات الأمور. فخط الدفاع الأول والأخير عن الحقوق و الحريات هو مدى قوة المجتمع المدني و حركته و اضطلاعه بمسئولياته و دوره في التغيير نحو الأفضل، على نحو ما أثبتته تجارب الأمم الأخرى.

أما الدولة فتقع عليها هي الأخرى مسئولية كبيرة، بل يجب التعويل عليها كثيرا لجهة وضع حد لهذا العبث الذي تمارسه قوى الظلام و التشدد ضد مستقبلنا و حرياتنا و تاريخنا الناصع و مكتسباتنا الحضارية، على اعتبار أنها حامية للدستور و الميثاق المؤطرين للحقوق و الحريات العامة و الفردية. و هي قادرة على الحسم لأسباب عديدة، منها أنه ما كان لمعظم هؤلاء النواب المتشددين أن يصلوا إلى مقاعد التشريع الوثيرة إلا بفضل و دعم الدولة، وبالتالي فالأخيرة قادرة على لجمهم إن أرادت. و منها أن التجارب المحلية و العربية علمتنا أنه ما من مشكلة إلا وحلها بيد الحكومة و ليس الشعب أو ممثليه، على اعتبار أن الحكومة تملك من أدوات السلطة و النفوذ ما لا يملكه غيرها. و منها أيضا أن الكثير من نواب الشعب المنتخبين في دولنا العربية والإسلامية يتشددون ويعارضون ويشاغبون الحكومة من أجل الوصول لمآربهم ومصالحهم الشخصية و ليس المصلحة الوطنية العليا.

هؤلاء .. خطرون
عادل مرزوق - البحرين

لا تقف مسألة التحقيق في مهرجان ربيع الثقافة عند الحدود الاعتيادية لما ألفناه مسبقاً من ضغوط دينية أو نيابية أو حتى اجتماعية تجاه أي من فعاليات البحرين ذات العلاقة بقطاعي «الثقافة»و«الفنون». لكنها - دعاوى التحقيق - تعتبر فرصة مناسبة للاستعراض الذي يبحث المستعرضون من ورائه إلى تأكيد سطوتهم الكهنوتية، والتي ستأتي من وراءها على البحرين تبعات وتبعات.

هؤلاء خطرون، لا لأنهم يحاربون الثقافة فحسب، بل لأنهم في الوقت الذي يجعلون فيه من البحرين مكاناً آمناً للمطلوبين في مصر والولايات المتحدة بقضايا الإرهاب هاهم يحاولون صناعة حاكمية اجتماعية جديدة لدينا. وهي حاكميتهم الاجتماعية وحدهم من بين شتى الحاكميات الأخرى، والتي تعودت على التجاور والتصالح في البحرين دون أن تطغى واحدة منها على أخرى.

هؤلاء خطرون، لا لأنهم يحاولون تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ولا يزايدن أحدً على الأخر في الدين. بل لأنهم يسيرون بالبحرين نحو مفهوم «الإمارة الإسلامية» التي شربوا حليبها في طفولتهم وفق نظام تعليم إسكولاستيكي خرف.

نحن في البحرين لسنا في ولاية أو إمارة، إن هي إلا مملكة دستورية، فمن أراد البقاء فليبقى، ومن أراد الرحيل فليرحل.

هؤلاء خطرون، لا لأنهم يخافون من هدر المال العام في فعاليات ثقافية كما يدعون، فهم أنفسهم قبل أشهر من الآن من فُضِحَ أمرهم إذ كانوا يرصدون الملايين من الدنانير في مشروعات «إقصائية» ضد الوطن نفسه. فالمال في حساباتهم المجنونة ممنهج لمشاريع السيطرة والتحكم بالبلاد والعباد.

هؤلاء خطرون، لا لأنهم ينتقدون مؤسسات الثقافة في البحرين، بل لأنهم لا يتجرأون على مؤسسة ما بالنقد والمهاجمة إلا أن تكون طموحاتهم قد تمت سلسلتها لتنتهي بالسيطرة على ما يهاجمونه من مؤسسات. وإذا ما دخل هؤلاء لمؤسسات الثقافة في البحرين أو سيطروا على زمام الأمور فيها فإن أسطورة في ثقافة الرجعية والتخلف في البحرين ستبدأ معهم.

هؤلاء خطرون، لا لأنهم ينتقدون الفنان مارسيل خليفة أو الشاعر قاسم حداد أو المفكر محمد أركون فحسب، فحرية النقد مكفولة. بل لأنهم يسعون إلى أسطرة مفكريّ الظلاميّة والرجعيّة في البحرين والوطن العربي أملاً في إتمام عملية التغليف وصناعة الجهل المؤسساتي، بتعبير محمد أركون.

هؤلاء خطرون، لا لأنهم يمسكون بزمام المبادرة نيابياً بدعوى الأغلبية. بل لأنهم لا يدركون حقوق «الآخر المختلف». فهم أحاديون واحديون، لا يقيمون للإختلاف أي اعتبار، فإما أن تكون معهم أو أن تدفع – صاغراً – مقررات الجزية. ولعمري تبدو جزية الثقافة باهضة، تقترب أن تساوي شعباً بأكمله.

هؤلاء خطرون، لا لأنهم يمسكون بحق التأويل والإفتاء وتأطير المجتمع البحرين تحت دعاوى الأخلاقوية المتأخر بل لأنهم – أنفسهم – أكبر خارق للأخلاق وشتى مقتضيات الأنسنة. هم يشترون كل شيء، ذمم الناس، أصواتهم، وحتى كراماتهم التي لا يقيمون لها وزناً إن لم تكن وفق أجنداتهم السريّة.

هؤلاء لن ينجحوا، فالبحرينيون الذين قدموا للبحرين أنفسهم وأيامهم قادرون على التصدي لدعاوى الانزياح للوراء، قادرون على تقبل المزيد والمزيد من أعداء الإنسانية والثقافة، فهم أهلها، والأولى بها. وإن كان للشر جولة ينتصر فيها، فإن للخير والحب والإنسانية الحقة جولات.

المجنون و الحب
رجاء عالم – السعودية

من الطائرة المحلِّقة في أنشوطة على الخليج تمهيداً لهبوطها في المُحَرَّق استقبلنا الضوءُ، فالقمر الذي كان في خسوف ليلة البارحة هاهو الليلة (بلية) مدورة ساقطة في السماء بحُريَّة، (حتى القمر يسقط على البحرين ليستريح).

قالت ضياء يوسف: "ألم تلاحظوا، الوقت في البحرين بطيء." و صَدَمَتني العبارةُ، أدركتُ للتو البؤرة التي سقطنا فيها بتحليقنا في دائرة بقلب الخليج، إذ ورغم تصريح أهل البحرين بأنهم لا يسهرون وغاية سهرهم العاشرة والنصف فإن الكثير يحدث في هذه الجزيرة:

كنتُ اليوم أُعِدُّ نفسي لزمن البحر الأحمر، متوقعة أن يسرقنا الوقت ولا ننجز شيئاً، لكن حدث أن الصباح امتد حتى أنجزنا الكثير، بين تعليق اللوحات واستقبال القادمين المبكرين، ثم ومن الثانية ظهراً كنا قد أنجزنا الكثير من التسكع والحوارات الصحافية، والاستحمام، وغفوة قصيرة والاستعداد للافتتاح، كل ذلك والساعة لم تتجاوز الخامسة! كنتُ أرقب الساعة بيقين أن خللاً بعقربها، ولكن بشكل باطني كنا واعين بهذا الإيقاع الكثيف للزمن حولنا، ولم أتمكن من صياغته في كلمات قبل الآن، يؤكد يوسف يوسف: "قدمنا في حافلة من الرياض للبحرين، حين تَلَقَّتنا الصحراءُ شعرنا بأننا نغرق في المسافة التي بدت غير قابلة للقطع مهما داس السائق على دواسة البنزين، ظللنا نحن والحافلة والمكان لا نتحرك، كنا لا نقطع شيئاً، بينما الوقت يسرع حولنا، قال سائق الحافلة مطمئناً: لا تقلقوا سنكون في البحرين قبل التاسعة والنصف ليلاً. قلنا: مستحيل. وتراهنا على علبة بيبسي. وبالفعل، ففي اللحظة التي عبرنا فيها للجسر الممتد بين السعودية والبحرين توقف الوقت فجأة، وصرنا نتحرك نحن والحافلة في المكان بينما الوقت واقف. وبالفعل وصلنا وربح سائق الحافلة الرهان."

"عرفنا الآن أن الوقت يركض في كل الأرض ويجيء البحرين ليلتقط أنفاسه ويستريح.. ربما هذا هو المكان الذي يجب أن أكتب فيه ولا يُسابقني الوقت."

"لكن ما السر ؟ أهي الجزيرة ؟ تُذهِلُ الوقتَ حولها، يطوف ولا يدخلها ؟ يُحوِّطها عازلُ الماء دون الوقت ؟"

صغيرة هي البحرين مثل قلبٍ يسترخي يتشمس على مياه الخليج، وتُحييه هذه العاصفة الربيعية (ربيع الثقافة٢)، محتضنة لتجارب ثقافية من كل مكان، تجارب موسيقية وشعرية وفنية ومنها تجربة شادية في عملها التركيبي (أسلاك رحيمة) بصالة عرض (البـارح) هذا

العليل الذي هبَّ بنا لقلب تلك الدوامة، الذي بدأ بصور التقطتها لقطرات مطر على أسلاك شائكة، ومنها توالدت الرؤى، حيث شكّلت قطرةُ المطر المحور أو العين التي أعادت خلق الأسلاك وتحويلها من حاجز في المكان لتجاوز، من (منع) لبوابة خلق، حيث دخلت الأسلاك في سلسلة من التحورات، لتُشكّل اللوحة التركيبية (النافورة) و(المكان هو اللون)، وأخيراً مُجسَّم (قطرة مطر، من قمع بلاستيكي على تركيبة أسلاك) في بساطة واختزال يقول لنا أن كل ما حولنا يتضمن الجديد، وحامل لمالا نهاية له من التحولات، على نظرتنا أن تتجدَّد وتتسع وتفتح أبواب الدهشة التي تحبل بها كلُّ لمحة وكل عادي وبسيط. إذاً بالنهاية فإن العادية هي في العين حين نسمح لها بأن تتسطح وتموت، لا موت إلا في العين، وفي النبضة التي نفشل في استقبالها والسماح لها بالتغير وبتغيرنا.

وربما لم تُتح لنا رؤية البحرين عمرانياً، لكن بوسعنا القول بأننا قد جالسنا روح البحرين (قاسم حداد، أمين صالح، عباس يوسف، وخالد الرويعي، وناصر اليوسف ممثلاً في ابنه جلال النحات، وفي التجارب الفنية والشعرية التي تتجدد بإصرار)

مبكراً استقبلنا الضجيجُ الذي أثارته تجربة (المجنون) في البحرين قبل وصولنا مباشرة، حيث قرأنا هذا الخبر في جريدة الوطن (مارسيل خليفة الذي يريد أن يُري الناس أن الحب باستطاعته أن ينتصر على كل شيء، وقاد الجماهير إلى ريتا وأحمد العربي قاد جمهور الصالة الثقافية عشية افتتاح موسم "ربيع الثقافة٢" إلى "قل هو الحب" لقاسم حداد الذي كان يروي وترافقه أميمة الخليل بصوتها المعهود).

هنا ربما لا شيء يشيخ، ونص " المجنون" يكبر ويزداد عنفواناً، ولقد بدأ مع الفنان العراقي المقيم بلندن "ضياء العزاوي" حين اختار "الحُبَّ" موضوعاً للتداخل مع شعر كل من أدونيس، ومحمد بن نيس في نص طوق الحمامة، حتى إذا جاء الحب لقاسم حداد أيقظ له أسطورة مجنون ليلى.

في صباح جاليري البارح، حيث تعرض شادية، يرشف قاسم حداد قهوته ويقول:

"كنا قد التقينا أنا والعزاوي لأول مرة في البحرين، وحين طلب مني العمل على موضوع الحبُّ رجعتُ لنص المجنون في كتاب الأغاني، اكتشفتُ أنني قد سبق وكتبت تهميشات قديمة على النص، مما يدل على أنه كان هاجساً أصيلاً لي، ولقد لفتَ نظري أنه بخلاف ثنائيات الحب في تاريخنا العربي فإن مجنون ليلى أقرب للأسطورة، أي غير مرتبط بسياقٍ تاريخي أكيد كغيره، مما حرَّض توقي لإطلاق هذا النص في أُفق حديث حر"، فمن يقرأ شعر المجنون لايسعه إلا اليقين بأنه صادر عن كيانٍ خاص تجربةَ الحب كاملة، وأن العذرية ما هي إلا قراءة مفروضة رقابياً للإيهام بأنه: هكذا يكون الحب، وعذرياً فقط !! راودني أن تصديق هذه القراءة أو الخضوع لها يُهددنا كجنس بشري بالانقراض (يضحك). من هنا جاءت قراءتي لهذه الأسطورة في سياقها الحي الجسدي."

التجربة التي احتضنها ربيعُ الثقافة ٢ في البحرين انطلقت في ثلاثية بديعة من الفنان مارسيل خليفة الذي وضع موسيقى النص، رافقتها قراءة جسدية راقصة للقصائد، مرافقة لتلاوة قاسم حداد التي بلغت ذروتها في خطاب ليلى ليلة زواجها من ود.

استعانت الشيخة مي آل خليفة راعية ربيع الثقافة بالمصمم المبدع عمّار الذي قام بإعداد البهو بمدخل المسرح كمعبد بياضٍ تثيره ضربات فسفورية وكرات نور لعرض لوحات العزاوي (المجنون)، لتسري على أرضيات البياض لوعة المجنون شعراً صاعداً للقواطع متسلقاً للجدران لتتصدره لوحات العزاوي بألوانها القوية الصارخة من ماء ونار، في انعاكسات تتجاوب وتضيء حدة الصرخة في اللون وفي الكلمة.

وافتتاحاً تخرج الفتيات الصغيرات بسلال يوزعن (هدايا المجنون) أعدّها قاسم حداد من رقع قماش صغيرة مُحوَّطة بكتابة لمقاطع من شعره، وتَصرُّ بداخلها تركيبةً أسطورية (ريشة جناح مهيض، خوف، خرزة لازوردية مثقوبة بخيط، حبة هال، قلق، قطعة قند، جلد خرج قديم).

نتساءل أهي تركيبة جنون استغرق إخراجها ما يزيد عن العام أم مئات الأعوام منذ الغدير الذي التقت عنده غنم قيس وليلى، نقف بما في هذا الإخراج من تحريك للساكن وتقليب الرماد على صفحة الغدير. إذ بوسعنا القول إن المجنون في كتابٍ بقصيدة ولوحات كان وجوداً أولياً يأتيه من يرغب في التوغل والكشف، بينما المجنون على خشبة المسرح أو مقروءاً بأجساد الراقصات وشحنة الشغف في موسيقى مارسيل وغنائه وإلقاء قاسم حداد وحواره العلني مع ليلى، كل ذلك ولادة حقيقية للمجنون فينا، خروجه من الورق للأضلاع، هي شحنة صادمة كان من الطبيعي أن تثير دوامة ردود الأفعال المتضاربة تلك. هذا التفاوت الذي يُشكِّل اختراقاً للمسكوت عنه والمهمل والمطموس في الطبيعة البشرية العاشقة: أو كما يقول قاسم: (هو نفض للغبار عن الجسد) ونستحضر كيف أن جويل عساف المؤدية لدور ليلى قالت: " أدائي لهذا النص أخرجني من بوتقة، فجّر شحنته في علاقتي الخاصة بزوجي، اكتشفنا هذه الطاقة داخلنا على الحب."

أو كما قال جوني بشارة الذي لعب دور قيس: "كانت الآلات ترقص معنا، وكان الموسيقي يرقص مع آلته وقيس يرقص مع ليلى والشاعر يرقص مع شعره."

قالت فنانة تشكيلية شهدت العرض: "رجعت لمرسمي لأطلق ريشتي بحرية أكبر، بأفق أوسع من أفقي الحر..."

هذه النصوص المتحاورة شعراً ورقصاً وغناءً وموسيقى وإضاءة، هذه التجربة، شكّلتَ صدمة، حررت موجةً من الإعجاب وأخرى من الشجب، قالوا:

"هي أفق جديد للبحرين، خرجنا محمولين بنشوة "

وقال البعض: "هو تعبير لا يليق بالبحرين."

ليجيب قاسم: " أظننا قادرين على أن ندافع عن حبنا أكثر من مزاعم الآخرين بالدفاع عن حروبهم... لكي نوقظ عقولنا لابد وأن يكون هناك قدر من الجنون لتبدو الحياة جميلة... فالإنسان لا يبدع بدون هذه الحريات التي تبدو مجنونة للوهلة الأولى... "

هذا الأخذ والرد، هو تمهيد مساحةٍ يتواجد فيها للحوار الرأي والرأي الآخر والمحايد بينهما، هي حراك للساحة الثقافية والاجتماعية على السواء، إذ لم يحرك الوقتَ في البحرين كما حركته ليلة المجنون.

مثل تلك المساحات (للتنفس والحوار) هي ما نحتاجه لإحياء ساحتنا العربية التي تميل للمهادنة والغياب وللمرور غير المرئي، بينما نتعلم من البحر ألا مرور بدون إثارةٍ للأمواج.

هذه الطاقة التي تشعر بها في الهواء ربما ناجمة عن الحراك الروحي الذي تُثيره الفعاليات الثقافية التي تقف وراءها إرادةٌ عليا لجعل الثقافة ملمحاً وطنياً متأصلاً ومن تباشير الربيع. إذ لا نختلف على أن الأفراد هم من يصنعون الحركة الثقافية، وأن تَحقُّق المبدع هو في دوامه خارج الرعاية كما غناها مارسيل عن ليلى: (ستبكي حسرة فينا إذا غفروا)، وهو أمر ناضل لتحقيقه المبدعون البحرانيون، لكن تحتاج الحركة لرعاية عليا تنقل نتاجها لقاعدة التلقي الأعرض، ليكون الإبداع ملمحاً يومياً وممارسة، تخرج من بيتك لتنتقل في القريحة البشرية، تأتي المسرح الذي أُغلقت أبوابه وامتلأت مقاعده فتأمر الشيخة مي آل خليفة بفتح الأبواب وإدخال الجميع ليفترشوا الدرج والأرضيات فلا يبقى من موطيء لقدم.

"قلب الخليج بدأ يتسارع نبضه" الإعلان الذي يلتقيك في المطار عن سباق السيارات (الفورميلا ١) والذي يبدأ في البحرين بمنتصف إبريل، يُعَبرٌ عن النبض الذي تُحاول البحرين بثَّه في الخليج. تُلخصه أيضاً العبارة الشخصية التي قدَّم لنا بها كُتيبه النحاتُ اللبناني نبيل بصبوص الذي ينحت خشب الزيتون، والمدعو من قبل المتحف الوطني للمشاركة في سمبوزيوم النحت مع نخبة من النحاتين العالميين، كَتَبَ: " ليبقى الفن منارة الحضارة في البحرين."

استدراك: الشيء الوحيد الذي يسرع في البحرين الأذان، يتلاحق النداء للصلاة ليسكت فجأة ويترك النهار طويلاً أمامك للصلاة أينما ذهبت وبأي عمل أتيتَ، تماماً كما عَبرَّ موظفُ خدمات الركاب بالمطار مازحاً: " الصلاة معي بستين ألف صلاة."

إلا .. الثقافة

عيسى الشايجي - البحرين

البحرين بلا ثقافة هي حتماً ليست البحرين التي نعرفها حق المعرفة ويعرفها العالم كله مشعلا ومنارا للثقافة والعلم والحضارة العربية في الخليج العربي امتدت بتأثيراتها على المنطقة كلها وساهمت في رقيها وتقدمها.

نحن لا نتصور أنفسنا يوما بلا ثقافة ولا قراءة، فهي كالدماء تجري في شرايين هذا الشعب الذي جبل على حب المعرفة وطلب العلم والتزود بالمعارف.

هذا إذا كان يوما، فما بالنا إذا كان ربيعا كاملا من الثقافة، جاء ليسد نهما وجوعا لدى الكثيرين الذين يتوقون لرؤية الأشياء الجميلة وينتشلهم من واقع قائم يريد الظلاميون أن يقحموهم عنوة فيه.

فمن منا لا يعرف شاعرنا المتميز قاسم حداد ولا الفنان العربي الكبير مارسيل خليفة اللذين قدما في افتتاح ربيع الثقافة تجربة متميزة ولوحة فنية راقية مزجت بين الشعر والموسيقى.. مارسيل وقاسم مقالان راقيان للفن والشعر الملتزم.. هكذا نعرفهما وهكذا يعرفهما العالم، إلا البعض الذين لا يعرفون ولا يدركون، لأنهم لا يستوعبون الفن أصلا!! فهي مادة صعبة الفهم عليهم، سيرسبون فيها حتما وسيظهرون على حقيقتهم ومدى ضحالتهم!!

لماذا هذا الهجوم المقيت والمحموم على ربيع الثقافة ومحاولة تصوير الأمور وكأنها «جنس» و «جسد».. فقط؟! أهذا فقط حدود مخيلتكم؟! إن الأمر لم يتعد لوحات تعبيرية راقية تجسد الحب الحقيقي في حياتنا، هذا الشيء الجميل الذي تريدون أن تسلبوه من قلوبنا أيضا!!

لذلك فإننا نقول للظلاميين وأصحاب العقول الفارغة:

إلا.. الثقافة. ارفعوا أيديكم عن الثقافة ولا تقتربوا منها، فهي خط أحمر بالنسبة لنا، سندافع عنها بكل ما أوتينا من امكانات وقوة حتى لا نمكنكم من قتل هذا الشيء الجميل فينا، كما قتلتم أشياء أخرى جميلة في هذا البلد.

كفوا أيديكم و ألسنتكم عن الثقافة، فأنتم أبعد من فهم تلك اللوحات الفنية الجميلة وتلك النصوص الراقية، فهي ما لم تستوعبه عقولكم ولن تراه عيونكم التي لم تتعود على رؤية الجمال.

ماذا تريدون؟!

أصبحتم تقحمون أنفسكم فيما تفقهون ولا تفقهون في كل صغيرة وكل كبيرة، تريدون إدارة البلد حسب هواكم وتفصيل كل الأمور حسب مقاساتكم والتي هي قصيرة دائما!!

وقمة السخف والضحالة والجهالة أن يصف البعض الثقافة بـ "السخافة"، فهؤلاء حتما لا علاقة لهم بالحياة!!

لا تفرضوا أنفسكم أوصياء على الناس وعلى أذواقهم، فكلنا مسلمون ونعرف الحلال والحرام، ونقول إن ما تفعلونه انتم بهذا البلد هو عين الحرام!! دعونا وشأننا نستمتع بربيع الثقافة.. بنسمات الفن.. بالكلمات.. بالموسيقى.. بالحب، فهي التي تنقي العقول وبها تصفى القلوب!

عيب (1)

سوسن الشاعر – البحرين

أما وقد صممتم على تشكيل محكمة للتفتيش عن الآداب العامة في الثقافة فلا يمكن إلا أن نصر على أن تكون هناك معايير خاصة لأعضاء هذه المحكمة، فلا ينصب أحد نفسه قاضياً دون معايير تتناسب ومهامها، فمن يحقق في الفساد المالي على سبيل المثال لابد أن تكون ذمته المالية بريئة، ويثبت ذلك علناً وبشفافية، مثلما تقدمتم بقانون إبراء الذمة المالية، وفرضتم كشف إبراء الذمة المالية لأعضاء السلطة الرقابية التي سيناط بها محاسبة المسؤولين على صرفهم المالي، لابد إذاً لمن سيحقق في الذمم الأخلاقية للناس أن يقدم كشفاً بمدى التزامه هو بالآداب العامة وبذمته الأخلاقية، ليس هو فحسب.. بل هو ومن هم في ذمته من أقارب من الدرجة الأولى، فإن كانت مي الخليفة ستحاسب على التزامها بالآداب العامة، فليحاسب كل من النواب إبراهيم بوصندل وإبراهيم الحادي ومحمد المزعل و عبدالحليم مراد وناصر الفضالة و عادل العسومي أدبهم العام وذمتهم الأخلاقية!

فمن سيفتش عن التزام الآخرين بالآداب العامة عليه أن يثبت مدى التزامه هو بتلك الآداب في السر والعلن، وأنه بلا خطيئة حتى نعطيه حق رمي الآخرين بالحجارة حين إدانتهم، ليس هذا فحسب بل لابد أن يكون أعضاء اللجنة التي ستحاكم المثقفين أصحاب مؤهلات أكاديمية تتناسب وهذه المهمة كي يكونوا أهلا لهكذا تحقيق، وليدخل القراء على الموقع الإلكتروني لمجلس النواب ويطلعوا على تلك المؤهلات، أما نحن فلا نريد نشرها لأن الله حليم ستار!

مشكلتنا مع الجماعات الإسلامية ليست خصومة حتى نفجر بخصومتنا تجاههم، وليست شخصية مع أفرادهم الذين نكن لهم كل المودة، مشكلتنا معهم هي الاختلاف حول تحديد الخطوط الفاصلة بينهم وبين الآخرين.

هم يحاولون أن يفرضوا خطوطهم الخاصة بالآداب العامة بالنص النظري الديني، في حين أن الآداب العامة رهان متغير بتغير الزمان وبتغير المكان وبتغير أهواء وأمزجة الناس، والالتزام بالنظرية لا يمكن أن يكون واحداً عند البشر، واصطدامكم مع الناس هو حين تحاولون أن تفرضوا النظرية على واقعهم، فتخترقون حدود الآخرين.

فبعض شعوب أفريقيا العراة لم يتعروا لجهلهم بقوانين الحشمة، والسيدة الهندية الفاضلة لا تظهر بطنها لأنها قليلة أدب، وأمهات الكثيرين منا لم يكونوا غير ملتزمين بالآداب العامة حين كانوا يلبسون أزياء الخمسينات والستينات، والتاريخ الحضاري الإسلامي حافل بتراث مكتوب لو أعيد إحياؤه فيما كان يجري في قصور أمراء المؤمنين لشاب ما تبقى من شعر في رأسكم ورأس ولدانكم، فلكل مكان وزمان وشعب سماته من حدود الآداب العامة بغض النظر عن اقترابه أو ابتعاده عن المفروض وما يجب من النظرية.

وللعلم رغم شديد احترامي لقاسم حداد كشخص،وأعرف مدى رقيه كإنسان وأدبه الجم، إلا أنني لا أستسيغ الشعر النثري، ولست من هواة مارسيل خليفة، ولم أحضر العرض وأرى في اللقطات - التي كان لدعاة اللجنة شرف انتشارها!! مبالغة في التعبير الحركي عن جنون قيس وليلى، وللعلم فإن قصيدة مجنون ليلى تدرسها مدارس وزارة التربية والتعليم، ولكن أن أخضع الأستاذ قاسم ومارسيل وعشاقهما لذوقي الخاص ولرؤيتي الخاصة بالآداب العامة فذلك خارج نطاق المنطق، ولا يمكن أن أتهم مبدعين كقاسم حداد ومارسيل وكل القائمين على عرض مجنون ليلى بأنهم لا يحترمون "الآداب العامة"، وبالتالي هذه الفزعة من الشعب البحريني لهم صحافة ومؤسسات مدنية أتت من جميع الأذواق لأننا لا يمكن أن نسمح بمحاكمة هؤلاء القمم ورؤاهم الإبداعية من خلال لجان تفتش على أخلاقهم.

هذا مرفوض كمبدأ حتى لو كان هذا هو العرض الوحيد الذي اعترضتم عليه، المبدأ الذي نرفضه أن تقرر لجنة ما أو أفراد حتى وإن كانوا نوابنا - مع الأسف - إن كان قاسم حداد أو مارسيل أو الشيخة مي الخليفة يقيمون وزناً أو لا يقيمون وزناً "للآداب العامة" فذلك عيب،عيب على البحرين إن قبلته، عيب على الحكومة إن سكتت، عيب على الوزير إن تبرأ منه الآن، و ذلك فتح لأبواب لن تغلق ستسلط الضوء على ذممكم الأخلاقية والتزامكم بالآداب العامة، فالأخلاق والآداب وفقاًلمسطرتكم وقانونكم كل لا يتجزأ وبذات القانون ستحاسبون، فهل أنتم على استعداد؟!

عيب (٢)

سوسن الشاعر – البحرين

بعد أن تتصّل وزير الإعلام د. محمد عبدالغفار من ربيع الثقافة وهو الذي لم يحضر عرض مجنون ليلي فحسب، بل حضر بعده بأسبوع عرض فرقة كركلا، وعلى فكرة هناك لقطات كثيرة في هذا العرض لو جرّدت من سياقها والتقطت من وزايا معينة مثلما فعلتم لما قل تأثيرها عن مجنون ليلى. فقد حمل الراقصون الراقصات على أكتافهم، وجلست الراقصات ونمن على المسرح وتقلبن عليه، وكان الوزير حاضرًا يصفق وخرج وهو مبتسم ومستمتع بالعرض (يالله خل نشوف شبتسوون؟) بمعنى أنه لم يستنكر ما عرض في مجنون ليلى، وأنه تابع حضور فعاليات المهرجان، بل وظهر في التلفزيون وهو لابس بشته يشكر القائمين على المهرجان، ويشكر المؤسسات الخاصة التي رعت المهرجان ومولته، بل طالب بأن يلقي بكلمة في الافتتاح!

الآن يجيب على أسئلة النواب (بلا أدري) ؟! ماذا نقول؟ هل يستحق الكرسي أن يتنصّل الإنسان من قناعاته؟ ويستحق بأن يقبل أن يقال عنه بأنه وزير عاجز وبأنه بلا حول ولا قوة، وأن مي هي الشيطان الأكبر؟ أمن أجل كرسي فليقال عني ما يقال المهم أن احتفظ به!! ثم ماذا عن الدولة، الحكومة، النظام؟ نريد أن نعرف توجهها، رأيها، موقفها، هل هناك سياسية ثقافية للدولة؟ ما هي؟ هل كل وزارة وكل مسؤول له ليلاه التي يغني لها؟

النصُّ المحاكَم مجنون ليلى تدرّسه وزارة التربية في مدارسها منذ ست سنوات، وقاسم يزور المدارس ويحاضر عن النص، ربيع الثقافة تحت رعاية مجلس التنمية وهو جزء من النظام، فما الذي تغير؟

لم تتفرج الحكومة دون حراك ودون موقف واضح؟ الآن مجلس التنمية لا يمثلها؟ هل نحن أمام صراع للفيلة من جديد، هل هناك أكثر من حكومة وأكثر من نظام؟ أين الموقف الرسمي؟ هل هو بهذا التخاذل الذي ظهر على وزير الإعلام وعلى وزير الدولة لشؤون مجلسي الشورى والنواب؟ وزير يتنصّل ويختبئ في مكتبه ويقبل أن يقال عنه إنه عاجز ووزير يقول: "يوجد خطأ لكن ..."؟! هل هذان الموقفان يمثلان موقف الحكومة؟

وهذا يقودنا أو يذكرنا بموقف الحكومة من اللائحة الداخلية للنواب، التي تصر فيها الحكومة على الاستجواب في اللجان، ليس لأن هناك نواباً يستعرضون في الجلسات ويزايدون فحسب – وهذا صحيح –، بل لأنها تعرف أن العديد من وزرائها ضعاف لا يقوون على المواجهة.

وهذا يقودنا من جديد للتذكير بوزراء يرفعون الرأس، ولا يخشون في الله لومة لائم، لا يهمهم بقاؤهم في الكرسي، ومستعدون للدفاع عن قناعاتهم وسياساتهم، ولا يهزهم تهديد بألف استجواب، ولديكم في الدكتورة ندى حفاظ وزيرة الصحة دليل، وفي مي الخليفة أيضاً دليل التي تركت كرسيها سابقاً حين مست قناعاتها، وعلى استعداد لتركه من جديد، وليحكه مصيرنا من سمّى الثقافة "سخافة وتفاهة وزبالة"!

لا تعتقدوا أن كبش الفداء سيكون مي في هذه الحالة، كبش الفداء هم شعب البحرين الذي سيقدَّم قرباناً لهذا التحالف الثنائي القاتل.

الخريف لا ينام جيدا
شعر: علي الشرقاوي – البحرين

ربيعيون

في دمنا البذور تنطُّ من طينٍ إلى نسغٍ

ومن نسغٍ إلى غصنٍ

تشكّلُ بالنهار طفولة الأزهار ربيعيون

في أحلامنا الأرقى من السحب المضاءة كالبراءة

في خلايا الكون ترقص زهرة الكيمياء، شاهرةً توهجها

كبرق الخضرة الحمراء في تفاحة الأسرار

ربيعيون

في انساغنا الأنقى من الظلمات حيث تئن في ترواحها نواجه بالمحبة أحلك الأحجار

ربيعون

لا طعمٌ لنا لا نكهةً

دون التأجج و التوهّج في النهى

دون الشرارة لا تضاء الروح بالأنوار

هل ورد الحديقة غير خطوتنا

وغير مسار ذبذبتين للأعلى

تهزان الفضاء و تمنحان الأرض

معنى أن يكون النبض موسيقى

وأحلام المجرة للمحبة في السكون حوار

ربيعيون

حين تهز رائحة القبور صلاة العشب

تهمر الحروف الخضر من أقصى خلايانا

تصيح بقطعة الشطرنج

في ألعابها المفضوحة الأسرار

للأطياف أن تنهي ربابتها إذا صلى بنا الأبيض

وللأحلام أن تنهض

ربيعون

إذا قطعوا مياه شرارة الأنهار في شريانها البحري
نقدر أن نكون الماء في حجرٍ تنفس زعفران العزف
نقدر أن نصوغ الحلم في سعفٍ صحا كالنسر
في شجر البلاغة أو ظلال الحرف
إن منعوا الطيور عن الغناء وراء ليل الجو
نقدر أن نهز الكون عبر خيالنا الطفلي
إن الرقص بالكلمات يعني مهرجان الحب
إن الضحك فوق الماء يعني مهرجان الحب
إن الكون في أولى مشاعره المراقة في ندى الأوتار
يعني أن تكون الأرض في دورانها شمساً مقعرةً لروح الحب
ماذا تنفع الدنيا إذا مات التسامح في خلايانا
وما تعني الشهامة أن تدمّر في زنازنها وميض القلب ؟
ما تعني الكرامة أن يظل الليل يشرب من خلايا النور ومض نهار ؟

ربيعيون

حيث نكون
تربطنا الحياة بضحكة الأطفال
نقفز كالتوقع في ملامحنا
وإن سرنا إلى المعنى
تعمّدنا بساتين البراءة بالخيال وكل خصوبة المعنى
و تنثر عطرنا الأممي في أحلام موعودين بالأجمل

ربيعيون

داخلنا قناديل الوجود تقود أصغرنا لرقص الريح
للتسبيح للكوني
للمشكاة في ما ليس تعرفه النهاية
إن من غزلوا النهار بميسم الخلجات
أكبر من كراسي الجالسين هنا على حفرٍ
يسميها البغاث خريطة الجدول

ربيعيون مثل العطر يبني في الحجارة ماء
ربيعيون مثل تدفق الأنهار في عرسٍ
أغانيه تهز صلافة الصحراء

ربيعيون

قد تسّاقط الأزهار من فرع
فيخرج غيرها ليأصل الحلم الصّبي
ويرسل الموجات مثل حمامة الطوفان
إن الحب أن نحيا كعطر اللون في الدنيا
يحولنا نخيلا في مشاعرنا
نحوّله جميلا كالتوهّج في صلاة الصبح

ربيعيون

قد تسّاقط الأوراق من ضلع
فيسطع غيره في الرأس
يشعل بالحديقة ما تبقى من رذاذ الجرح

ربيعيون

في الكفين والكلمات أو في النبض
لا كتل الخريف تمشّط الأنهار في أحلامنا
ولا قميص الموت يوقف طاقة الأشواق
عن فعل الخصوبة في نهار الأرض
نسقي روحنا طيبا
وننشره على الدنيا كتنفس موجة
خرجت إلى مستقبل الشارع
ربيعيون مثل تنفس الآيات في الساحات و الجامع
ربيعون سوف نعيش عطراً سيداً في عالم
متنوّع متعدد شاسع
خريف السحت
قد يمتد في شبق الرعونة
في صدى شهواته بالموت
أو يشتـد
يمتلك الطري من الشتاء
وقطرةً صيفية الأرداف
لكنـــا
ربيعيون في مشورنا الزمني
لنا تهيدة الأنغام ترتكب الإضاءة
هل مشاعرها سوى صيف الصقيع و جمرة الكلمات
بين شهيق ذبذبتين ترتشفان أنسام التسابيح العظيمة في الندى الكوني

ربيعون

في دمنـا نقسّـم صحـوة الأوتـار

مرتعشين في كل الجسوم

ونترك رعشـة لأطيـار ترتشف العذوبة من عواطفنا

لماذا كلما عقد الربيع زهوره تتابح الأشواك.

لماذا كلما فاضت عطور حياتنا شتموا المودة أو كذبوا الأفلاك ؟

لمـــــاذا.....

إن من يرمي هواء الحب بالأحجار

لن يسقي الطبيعة غير حقد الروح

هل تتآلف الأرواح إلا من صدى الأرواح؟

إن كنا سكتنا عن غبارٍ ما

فلا يعني السكوت قبولنا بالموت

إن كنا سكتنا عن حوارٍ ما

فلا يعني السكوت قبولنا بالسحت.

ربيعيون

نرفض أن نخون رهافةً في جلنار الحلم

نرفض أن نكون اليتم بين موائد الكرسي

سوف نصون وردتنا

كما صان التراب فطيمة الإخلاص

وسوف نصون جذوتنا

كما صان العباب خريطة الغواص

وسوف نظل مشكاة السؤال

وحلم من رفعوا سفينة سيد الإخلاص

نعـرف

مـوال الخـريـف ينـام في رعـبٍ

يخاف .... من الزهـــــور

يخاف .... من لغة الطيـــور

يخاف .... من جسد العطور

يخاف .... من ولـع السمـاء

بـأرخبيـل الحلـم

ربيع الثقافة و ابتسامة السكين
سيد ضياء الموسوي – البحرين

لسنا من دعاة إشعال الحرائق في بيت أي طيف بحريني، وليس دورنا إطلاق الرصاص على عباءات الأحزاب أو استهداف مضاربهم الحزبية. لسنا من دعاة سكب الزيت الحارق على برامجهم، أو على أطروحاتهم، فهم يطرحون كل شيء، ما يمكن سماعه وما لا يمكن تصوره، ورغم ذلك لن نصادر أحداً ولم نعلن حالة استنفار كبرى، لم نعلن حظر التجوال في أي مدينة أو قرية، ولم نوزع أوسمة تقوم على الاتهام والضرب تحت الحزام، ولم نقبل بمصادرة حرية أي أحد، لإيماننا أن الإبداع يكون بالتنوع وأن الرأي الواحد والفكر الواحد هو الذي يفجر المجتمع.

إن النسخ المتكررة للمجتمع تعني الموت الحقيقي واللون الواحد يقتل البلاد، ولذلك آمنا بالفكر رغم أن بعض الحرائق الفكرية وصلت إلى دار الجميع، وبدأت تأكل ثياب الجميع، بسبب انتشار الميليشيات العقائدية وشرطة العقيدة، التي تصطف على أدمغة المجتمع عند كل الأطياف لتطعن الحرف وتصادر الكلمة.

لم نطالب بمحاسبة الشرطة العقائدية في أي محكمة عسكرية ثقافية، لإيماننا أن الثقافة ضد المحاكم العسكرية وأن العدو اللدود للثقافة هو المسدس.

على طول التاريخ ومنذ محاربة جاليليو والحلاج إلى طعن نجيب محفوظ وغيرهم، ونحن نشهد مشانق الإبداع تنصب في الساحات العامة لاغتيال الحروف الأبجدية وعدم قبول سماع الصوت الآخر.

منذ زمن بعيد ونحن نشهد سيلاً في الزهور تتفنن في اقتطاع الأشجار والدوس على الورود وتخريب الحديقة الإنسانية الجميلة، لكن في نهاية المطاف الصوت المعتدل هو الذي ينتصر لذلك بقيت الثقافة وحرية الثقافة متربعة على سفوح المجد، تحارب لون الزهرة سيف التشدد وسكين الإقصاء. إن سنة الله في الأرض أن يكون هناك اختلاف، ونحن نبحث عن الاختلاف التكاملي، الاختلاف الذي تتبرعم على كتفه زهور أمل الإنسانية في الخلاص من التزمت والعصبية والعدمية والإلغاء، الاختلاف التكاملي الذي يضع ضياءه في نفق الانغلاق الذي أكل الدين وشوه الدين عند العالم بأسره باسم الجهاد. الدين الجميل، الذي يتلمس الرحمة في القلوب، والذي يزحف على صحراء الهمجية ليزرع قنديلاً بدلاً من الرمح وزهرة مكان الخنجر. إنه دين الرسول (ص) الذي نبذ العصبية والطائفية وقال لمن رددها غاضباً "الجاهلية وأنا بين أظهركم، اتركوها، إنها منتنة".

نحن عبر ربيع الثقافة لا ندعي الكمال، ولم نكن نمتلك نية سوء بحبنا لهذا الموسم الجميل، بل كل الهدف هو تحريض الشمس على البقاء مدة أكثر على كتف المنامة لتبقى البحرين ملونة بأشعتها الذهبية شاهدة على قوس قزح الحضارة.

أراد القائمون أن يغسلوا بمطر ربيع الثقافة الأدران السياسية التي تراكمت لسنين طوال لتبقى النخلة شامخة وتحبل الحياة بولود كريم اسمه الثقافة. إن البحرين ولسنين طوال هي قلعة الثقافة، ولازال صوت نزار قباني يبعث الأمل وهو يرتل أجمل قصائده لهذه الحسناء الجميلة التي وزعنا ثوب عرسها في المزادات السياسية، مازال صوته وهو يردد "إن بحراًمن العشق يغرقني فكيف لي أن أواجه عشق البحرين فهاأنذا قد جئت لأنام على ذراع المنامة". مازال صوت أمين الريحاني وهو يغسل وجه البحرين بألوان أدبه الجميل ومقولاته في حقها باقية في الذاكرة.

إن بحرين الثقافة لا يمكن أن تموت أمام طلقات الرصاص العشوائية التي احترفت قتل الغزلان باسم الخوف على الدين. إن البحرين قلعة التنوع الحضاري، يزينها صوت الأذان الجميل، وتلون سماءها أصوات الكنيسة الإنجيلية والبيت المقدس، يلون سماءها المأتم حيث يشمخ أسد كربلاء ويلون سماءها مسجد الفاتح.

قدر البحرين هذه التشكيلة الجميلة المتكدسة على ربوع التسامح في المنامة. فلا نقبل لوناً غير هذا اللون. قدر البحرين أن يمارس الجميع نشاطه بالقانون. لهذا نقول سيبقى ربيع الثقافة موسماً نغتسل من خلاله مما علق بالثوب من تناقضات سياسية.

خنقنا التسييس فما عدنا نحتمل مزيداً من استعراض العضلات. لن نقبل بالمصادرة ولن نسكت فلا وصاية بعد اليوم. كما للآخرين صوت لنا أصوات، بل لنا ألف صوت وصوت وألف قلم وقلم وألف خطاب وخطاب، نكتب في الداخل والخارج وعبر كل القنوات لأن الرصاص لا يمكن أن يلغي الصوت الجميل وقديماً قيل: بإمكانك أن تعتقل إنساناً، ولكنك لن تستطيع مصادرة الحلم.

حلمنا أن نعيش سوية كإخوان متحابين بلغة حوارية عصرية بعيداً عن ترهيب السيف أو ابتسامة السكين.

ربيع السخافة أم سخافة "الربع"؟

عقيل سوار – البحرين

قبيل المشروع الإصلاحي المبارك بقليل، وقعت فاجعة طيران الخليج المشهورة، وحين حاول بعض الصحافيين تغطيتها عن قرب كما يفعل أي صحافي يكسب قوته بالحلال، تقدم منهم أحد " الربع " المدججين بالأوسمة والمنوط بهم حفظ النظام وأمن الدولة، وسألهم ، بترفع مارد، من شناق بن عناق ، على حفنة شاردة من يأجوج ومأجوج: من تكونون ؟!.. قالوا: صحافة، فرد: اغربوا من هنا، بلا صحافة ولا سخافة؟

قبل أيام، جرت حادثة ربيع الثقافة التي يجري مثلها الكثير يومياً هنا وفي كل أمكنة العالم ولا يكاد بيت هنا أو في غير مكان، يفلت من مشاهدة مثلها عبر شاشة التلفزيون أو صفحة جريدة أو كتاب، فلا تستثير رؤيتها في الناس البالغين، غير همة جنسية – ربما – موتورة بأقواس الكبت أو الشعور بالذنب، الذي حين لا يعالج بنفس الداء، يخلق المزيد من الهمم الموتورة، كما ينبئنا فرويد.

حين جرت الحادثة، سئل بعض"الربع " المدججين بأوسمة العمل الوطني والخيري.. سألوا: ماهذا ؟ فقيل لهم، ثقافة ! فرد ثلاثون منهم داخل المجلس، ومثلهم خارجه، ممن أوصلناهم إلى مواقعهم "بتخالفات سياسية فذة!"، وأنطنا بهم مهام تشريع الأنظمة وحفظ أمن المجتمع ورفاهيته .. قالوا بصوت واحد: بلا ثقافة ولا سخافة، وزادوا على هذا بأن نصبوا محكمة تفتيش، للبحث في ضمير أبو الكلام البحريني الشاعر قاسم حداد، لينكلوا بضميره وضمير كل ما يتصل به من مسرح ومسرحيين وفن وفنانين، وشعر وشعراء، بأكثر مما نكل بهم سلفاً بطل حادثة طيران الخليج وربعه، إبان أمن الدولة الذي استوى هؤلاء النواب والوعاظ والمتفقهين على كراسيهم ومنابر خطابتهم، من ربع تنكيله بقاسم حداد وأمثاله ممن أفنوا أعمارهم في خدمة البحرين، حين كان هؤلاء الربع الأطياب، يصمتون على ضيم أمن الدولة، إما بتلفيق عن حرمة الخروج على ولي الأمر، أو حرمة الخروج على دولة بني أمية، لأنها تبطش! .

ثمة قواسم وأجراس مشتركة تقرعها الحادثتان، فإضافة لرنين السجع الكامن بين مفردات السخافة والصحافة الثقافة والربيع والربع، فإن هؤلاء بصدفة تواقع الطيور على أشكالها (!) حققوا إجماعا منقطع النظير في أيامنا هذه، خصوصاً أن هؤلاء تحديداً هم من شتتوا إجماع الناس على أي شيء خير إطلاقاً، فهم لا يتفقون سائر أشهر أي سنة قمرية، على موعد هلال الشهر لأن في الاتفاق عليه فرحاً للناس جميعاً، أو على موعد شروق الشمس وغروبها لمجرد أن بعضهم لا يطيق سماع صوت البعض الآخر، ولا أدري من أين لهؤلاء أن يطيقوا سماع صوت قاسم حداد أو أي صوت جميل آخر!

القاسم الأكبر والأهم، هو أنه يخطئ الذين يعتقدون - وما أفدح ما ندفع نظير خطئهم - أن علتنا كانت في قانون أمن الدولة الذي جاء المشروع الإصلاحي، وصاحبه، ليعمل على أن لا تقوم له قائمة، فبالغ بجسارة تاريخية نادرة تحسب لصاحبه، في نزع أظافر سدنته وأطلق الحريات، وسوى غير قليل من المظالم، التي خلفها أمن الدولة فينا، فإذا نحن نكافئه بتسخيف عطاياه، تسخيفاً يومياً، لا أظن تسخيف ربيع الثقافة أوله، أو آخره، لسبب بسيط هو أن السخافة ليست في الربيع، ولكنها في الربع!.

المعركة تاريخية بين المسدس و رقاب العصافير
سيد ضياء الموسوي - البحرين

عجبي يزداد من كل هذه الهجمة الشرسة على ربيع الثقافة ومن كل الأطياف الدينية، وأرى أن بعضهم قادرون على اصطناع الغضب.

عشرات المواسم التي تقام في البحرين من كل هذه الأطياف على شتى أشكالها ، ويتم جلب عشرات الشخصيات المتوترة طائفياً ومن كلا الطرفين حتى نشهد معارك كلامية في البحرين وبعضها داخل في الجدل الطائفي على القنوات ولم يتحرك أحد ضد ما طرح.

لو فتشنا الأدبيات لوجدنا العشرات من الثغرات التي تشكل إشكاليات قانونية من حيث إثارة الطائفية، ومن حيث استعداء الآخر ولم نر مثقفاً واحداً استنكر ذلك، محافل تصل إلى درجة السباب والشتم المتبادل ولم نقل شيئاً.

في فترة الانتخابات مورست الوصاية الدينية بكل أبعادها من ترهيب وتخويف، ومن أغلب الأطياف الدينية وصمتنا ولم نقل شيئاً رغم يقيننا أن ما يطرح ليس من الإسلام، فالإسلام أكبر من دكاكين الفتن ومن الأحزاب العصابية ورغم ذلك صمتنا، يحرضون الناس على أي رأي مستقبل ويتم تفخيخهم بالإشاعات ويتحول الإنترنت إلى شتائم وصمتنا ليس خوفاً وإنما حفاظ على جمالية مناخ الوطن ولم يقدر ذلك.

يتم جرجرة الشعارات من الخارج، والصور السياسية ،وشهدنا صوراً لكل رموز الطرفين في المظاهرات وصمتنا.

بل نجد الاصطفاف بلغ أوجه بين مؤيد لشعارات إيرانية وشعارات أفغانية أو عراقية حتى وصلت العملية إلى مجلس النواب السابق في جرجرة الفلوجة والنجف إلى البرلمان، ومن جرجر أدبيات إيران إلى البلاد، ورغم ذلك صمتنا رغم خطورة وضع المنطقة وتوتر الوضع ولم نتدخل ولم نطالب قانونياً بأي موقف، أيهما أخطر على البحرين ربيع الثقافة أم ربيع الأدبيات الإيرانية والأفغانية؟ أيهما أشد خطراً على الأمن القومي في وضع إقليمي قابل للانفجار بين أمريكا وإيران.

الأمر قد يصل حتى إلى المناهج التربوية وتعليم الأطفال من كلا الطرفين في مخيمات ومعاهد ومدارس وإلخ وصمتنا. عشرات القضايا التي تمر ونمررها لأننا نريد الخير للبحرين، ولم نقل شيئاً وبعد ذلك يتم الاصطفاف لأجل ذبح ربيع الثقافة على مسلخ الأيديولوجيا فهذا مالا يمكن السكوت عنه.

من منطلق المسؤلية الدينية والثقافية نقول: لن نقبل إيقاف ربيع الثقافة ويجب عدم اختزال البحرين عند فكر خاص أكان سنياً أو شيعياً. لكم أن تبدو كل تحفظاتكم على ربيع الثقافة، لكن أن يغتال المشروع بأكمله بحجة الخوف على الدين فهذا مالا يمكن قبوله.

إن مثل هذه الأدبيات المغلقة هي التي فجرت العالم. إن التشدد ومحاربة التعددية هو الذي ذبح العراق وراح الشباب المسلم يفجر إخوته في العراق بسبب اللغة المتشددة باسم الخوف على الدين. لكم أن تبدوا آراءكم لكن أن تكمموا الأفواه، وتقطعوا الأصابع باسم الخوف على الدين فهذا مالا يقبل، على كل مثقف متنور ألا يسكت ولنبدأ بالكتابة وعدم السكوت فنحن أيضاً بحرينيون من حقنا أن نمارس حريتنا دون وصاية الجبة أو زعيق النكتاي.

الذي أضعف الإسلام هو التزمت، هو التطرف هو العنف والإرهاب.

الذي أربك الواقع الإسلامي هو تعبئة الشباب سيكولوجيا ضد بعضهم البعض في احتكار الحقيقة وفي الشتم المتبادل للمقدسات حتى بات إسلامنا الجميل غريباً في هذا العالم. نعم قولوا إن في ربيع الثقافة خطأ بنسبة ٣٠ في المئة أو ٤٠ في المئة لن نختلف معكم ،هذا حقكم. أما أن تلغوه بأكمله، فهذا مالا يمكن قبوله، سيعود أدونيس للبحرين ليغرد على كتف المنامة كعصفور يحلم بعودة الربيع، سيعود مظفر النواب وأتمنى من جمعية وعد أن تتحفنا بزغردات مظفر، سيعود محمد أركون لنناقش معه مشاريعه، نقبل بعضها ونرفض بعضها، لكن لنا أن نحترم معرفية الرجل وقيمته الأكاديمية ونتمنى من كل متحفظ أن يجلس معه على طاولة نقاش لا أن يشتم بالمنابر.

هناك من يروج ويرسخ في عقول الشباب ولاية الفقيه وصمتنا، وهناك من يروج لولاية الأمير في تورا بورا وعودة الخلافة وصمتنا ورغم ذلك يراد أن يذبح حتى هذا الصمت؟ نحن نرفض أي أدبيات لتقسيم المجتمع الجميل في البحرين. نحن نقبل كل هذا الصياح وكل لجان التحقيق، لكن هل لنا أن نطالب بلجان تحقيق في مصروفات الخمس والزكاة ؟ هل من كشف حساب في ذلك؟هل لنا أن نعقد لجان تحقيق عن البوسترات لزعامات تدول بل ودعوات للاصطفاف؟ هل هذه الدول تقبل رفع صور زعماء من دول أخرى في بلادها؟ نرفض لبننة البحرين أو أفغنتها. لا أحد يستطيع احتكار قرار البيت الشيعي أو السني في أشخاص.

حتى لا يزايد عليّ أحد طالما كررت أن أتحفظ على أي خطأ أخلاقي إذا ما حدث في ربيع الثقافة، ولكن ليس لأحد أن يلغي كل المشروع لخطأ هنا أو هناك والسؤال:هل احتفالات المواسم الثقافية من قبل المحتجين بلا أخطاء؟ الأرشيف موجود ولنا أن نقيم لجنة وسنكتشف حجم الكوارث ورغم ذلك صمتنا.للأسف كنا نتمنى لجنة للخبز والفقراء وإذا بها تتحول إلى لجنة لمحاكمة الثقافة!

مسكين أيها المواطن الفقير طارت الطيور بأرزاقها وكل سنة وأنت طيب، أدونيس أيها الشاعر الجميل، إن معركة السدس مع رقاب العصافير معركة قديمة، ولن تنتهي بسقوط العصفور، فلابد أن تنتصر الرقبة على السدس، وأن عصفوراً واحداً كأدونيس يغرد في صباح ربيع الثقافة في البحرين كفيل بعودة الربيع، إن استدعاء محاكم التفتيش من التاريخ الكنيسي وزرعها في البحرين لن تميت البحر ولن تهزم الطوفان.

"ربيع" الحب و خريف "التحقيق"
سهير المهندي – البحرين

بالحب بدأ الربيع وكنا نتمنى أن ينتهي على الحب، لكن يبدو أن البعض أراد له أنه ينتهي على لجنة تحقيق.

منذ اللحظات الأولى التي نزف فيها المجنون حبه لليلى صفقنا بحرارة، كبيرنا وصغيرنا، هللنا لإرهاصات الحب التي حملها مارسيل وقاسم وبشرت بـ ربيع عامر، حب مزج بين إبداع الفنون كلمة وموسيقى ورقصاً فأثمر لوحة مبهرة لامست الشغاف. أزهار من كل لون، من مشرق الأرض ومغربها اجتمعت في ربيع استبشرنا به خيراً ورأينا فيه فاتحة سياحة نظيفة تستمد قوتها من قوة الثقافة والحب والجمال، لكن نوابنا الأفاضل رأوا فيه تدميراً للأخلاق ومحاربة للدين، وكان عليهم من منطلق وصايتهم عليهم أن يقفوا موقفاً حازماً ضد الربيع، وضد الثقافة

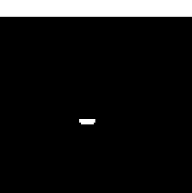
إن لزم. وتبدو هذه الصورة منطقية جداً من حيث أن للنواب حقهم في أن ينظروا إلى الأمر كيف شاؤوا، ومن جهة أنهم يمثلون الشعب، لولا أن عيباً جوهرياً يشوب الصورة، بل يمزقها، ويتمثل في سؤال تغافل عنه كثيرون منهم وهو: من الذي نصب نوابنا الأفاضل أوصياء على الدين والأخلاق دون غيرهم من مكونات المجتمع البحريني الثري بتنوعه، والغني بمكوناته؟! أين حملتكم بوصلتكم حتى تتركوا جبلًا من القضايا والمشكلات التي انتخبكم الشعب لحلها، و تتشعلقوا بعرض غنائي فيه فقرات لم تعجبكم؟!

عندما أراد البعض في لبنان محاكمة مارسيل خليفة بسبب أغنية، تداعى المثقفون اللبنانيون والعرب لوقف المحاكمة، ليس نصرة لمارسيل وأغنيته، وإنما لخصوصية لبنان الثقافية وحرية التعبير والإبداع فيه، بغض النظر عن موقفهم أو موقفنا من الأغنية. لسنا كلبنان ولا نريد أن نكون مثله، فلنا خصوصيتنا الثقافية التي لم تتكون بقرار ولم يصدرها مجلس النواب بقانون، إنها خصوصية تكونت عبر تاريخ طويل وأصبحت جزءاً من هويتنا، وميزتنا حتى عن محيطنا القريب، وثبتت مبدأ الانفتاح على الآخر وقبول ثقافته والتعايش بين الأفكار المختلفة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ولن يستطيع مجلس النواب أن يصادر هذه الثقافة بقرار ولا حتى بلجنة تحقيق.

الثقافة في معناها الأعم بوتقة تنصهر فيها العادات والآداب والأخلاق والتجارب التي عايشها شعب على مدى تاريخه، ومصادرة الثقافة بهذا المعنى مصادرة للمجتمع وتحويله إلى لون واحد من نمط واحد، وهذا ضد الحياة وعكس طبيعة الأشياء.

ربما لم يكن صدفة أن يطلق اسم ربيع الثقافة على المهرجان، إنه ربيع الحب والبسمة والفكر في زمن يكاد يكون خريفاً دائماً في ظل ما نشهده اليوم من صراعات ومخاوف، فلماذا يريد البعض أن يستمر الخريف، لماذا يقف ضد الطبيعة في تحولها وصيرورتها؟ لماذا يمانع ثقافة الحياة؟ له أن ينظر للحياة كيف شاء وأن يجهر برأيه كيف شاء، وأن ينظر للدين والأخلاق بمنظاره المتشدد أو المعتدل، لكن ليس من حقه أن يستغل ثقة الأصوات التي اختارته ليصادر المجتمع وثقافته، هذه هي القضية.

الثقافة كالهواء، والشعب دون ثقافته أرقام مكررة ليس لها أي خصوصية، فهل يستطيع أحد أن يسد الهواء، هل يستطيع أن يقص أجنحة الكلمة واللحن والفكرة؟ لا أظن. فلتسدوا منابع الشمس كيف شئتم، ولتشكلوا اللجان التي تحلوا لكم، لن يكون الربيع إلا ربيعاً، وما بدا به الربيع كان دعوة للحب ورسالة رفعت ممثلة في قصة الحب "ليلى والمجنون". لتكون الرسالة كطائر الحمام وريشه الأبيض في صفاء النية



الثقافة في مواجهة الجهل

د. احمد عبدالملك - قطر

كانت الثقافة دوماً مُعبِّراً أساسياً عن كينونة الإنسان، وقيمة أساسية من قيم التعبير عن كرامة الإنسان وانتمائه لبقية البشر عبر مكونات الاتصال والإبداع، التي تسعى لتطوير مُقدرات الفرد الفكرية وإخراجها من شرانق التابوهات الاجتماعية والتقاليدية والثيوقراطية.

ولقد جاء إعلان "مكسيكو" عام ١٩٨٢ ليعبرُ تعبيراً صادقاً عن مفهوم الثقافة، ونصّ الإعلان على ما يلي:

"الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة، والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي. وعن طريق الثقافة نهتدي إلى القيم ونمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرّف على ذاته والبحث -دون مَلل- عن مدلولات جديدة وحالات إبداع".

ولقد ربطت الدولُ المتحضرة الثقافة بالتنمية وحركة التغيرّ في المجتمع، وقامت الثورات الإصلاحية في أوروبا على أيدي المفكرين والعلماء الذين أثروا الثقافة في مناحيها المختلفة، وكان لهم سبق المواجهة مع الكنيسة التي كانت تهيمن على قرار الإنسان بمساندة الحكومة.

والثقافة هي التي تؤكد قيم الحرية والمحبة والجمال في نفوس أفراد المجتمع، وهي التي تأخذ بيد الفرد الممثل لبقية الأفراد، والمبدع الذي يقول ويشكّل ما لا يقوله ويُشكله الآخرون من قيم قولية وكتابية ومسرح وسينما وفنون تشكيلية، تهدف نحو التغيرّ إلى الأفضل، ومحاربة القيم السلبية في المجتمع، ناهيك عن رسالة الصفاء الذهني والروحي التي تبثها الثقافة في المجتمع.

لكننا في العالم العربي -المسكون بالكثير من مظاهر الجهل والتخّلف- حوّرنا قيم الثقافة، وشوهنا معانيها السامية، عندما حصرنا هذا الفضاء الجميل المُسمى "الثقافة" في حفلات قصّ الأشرطة الحمراء، والتنطُّع بالعبارات الرّنانة في المناسبات الرسمية، وجَيَّشنا بعض "الإنكشاريين" في الصحافة، كي يؤطروا لنا الثقافة داخل المفهوم الرسمي " المزاجي"، الذي لا يعترف بفضاءات الثقافة إلا عبر " الفرمان" الصادر من جهات تخالف الدساتير أو القوانين التي تعاقد عبرها الشعب مع النظام.

ومن هنا يأتي الاختلاف حول مفهوم ومقاصد الثقافة بمملكة البحرين، بعد طلب مجلس النواب تشكيل لجنة تحقيق بمهرجان ربيع الثقافة. ولقد استفز العرض الافتتاحي "مجنون ليلى" -الذي وضعه الشاعر قاسم حداد وقام بتلحينه الفنان مارسيل خليفة- مشاعر بعض أعضاء مجلس النواب، وقامت كتلة " الأصالة" - سلفيون سُنّة- بتشكيل لجنة تحقيق حول المهرجان.

ولقد أصدرت جمعيات ومؤسسات المجتمع المدني في مملكة البحرين بياناً دافعت فيه عن الثقافة والإبداع، انطلاقاً من مواد الدستور الواضحة، التي كفلت الحريات، ومشروع ملك البحرين الإصلاحي. ولقد تضمن البيان دعوات لدعم التعددية والفكر الحُر وقيم الحرية والديمقراطية، كما تضمن استنكاراً لمحاولات بعض القوى السياسية خنق مناخ الحريات والإبداع المكفولة في الدستور والميثاق.

نحن لا ندري إلى أين نحن ذاهبون في مسرحيتنا الديمقراطية؟ فإذا كان مجتمع الخليج قبل خمسين عاماً، يتقبل المسرح والغناء، ويسمح حتى لدور " زقرت" - أماكن تجمعات أهل الفن الشعبي- بممارسة نشاطاتها الفنية، فكيف يحاول البعض العودة بنا إلى قمع الإبداع، وكسر الآلات الموسيقية، وإغلاق المسارح التي تُنمي الذائقة الجمالية، وهدم دور السينما التي كان آباؤنا يُقبلون عليها وهم أقرب من هذا الجيل إلى الصلاة والعبادة.

إن مجتمع الخليج مارس التعددية بتلقائية، ودون ديمقراطية أو دساتير ضامنة لتلك التعددية، وكانت مدارس التربية والتعليم من أشد المنابر التي ساندت قيام الحركة المسرحية في الخليج، ولم يُنظر لتلك المسارح على أنها مخالفة للقيم أو ناشرة للكفر أو ملامح الفجور بين أفراد المجتمع.

ماذا يريد الظلاميون في هذه المنطقة من العالم؟ هل يريدون إغلاق المدارس أيضاً، لأنها تعلم الطلبة القراءة وفك الخط؟ هل يريدون إغلاق محطات التلفزيون والإذاعة وإشعال النار في دور الصحف لأنها تخالفهم الرأي، بل وتنشر التنوير في المجتمع مقابل حملات التجهيل التي يمارسها البعض؟ وهل من المعقول أن نجمع كُتّابنا ومؤلفينا وشعراءنا ومخرجينا وفنانينا التشكيليين، والسينمائيين، وفنيّي التلفزيون والإذاعة، ومهندسي الإنترنت، ومهندسي الأقمار الاصطناعية ونضعهم في حفرة ونشعل فيهم النار؟

هل يريدون أن تُلغي الدول كل برامج التنمية، والتعليم والسياحة ويغلقوا بوابة المدينة بعد صلاة العشاء، استناداً إلى ظروف دولة الخلافة الأولى؟ وهل يريدون أن تلغي الدول شركات البترول والطيران وتهدم الفنادق والجسور، وتحظر استيراد ورق الطباعة، وإكسسوارات التجميل والعطور الجميلة، والكمبيوترات، ومعارض الكتب ومهرجانات المسرح، ومعارض الفنون التشكيلية، من أجل حماية المجتمع، أو المحافظة على قيم المجتمع المُسلم؟

نحن نعيش إشكالية كبيرة بين "استغلاق" فهم الدين، وبين المعاصرة ومتطلباتها. وفي ظرف كهذا لابُد أن نحتكم إلى المرجعيات القانونية، ولا نضيع في فوضى الديمقراطية أو ديمقراطية الفوضى.

أسئلة ناصر الخيري

سعيد الحمد - البحرين

عندما جاء علينا و حل بنا زمن بحريني آخر أصبحت فيه الثقافة المستنيرة " تهمة" تستحق التنديد من على المنابر، و تستدعي تشكيل لجنة تحقيق برلمانية لإثبات " التهمة"، استذكرت و استحضرت شخصيا حكاية ناصر الخيري و أسئلة مجموعة نادي " إقبال أوال" التي حررها و كتبها ناصر بنفسه و رفعها إلى صاحب مجلة "المنار" الشيخ رشيد رضا. كان ذلك قبل ما يناهز القرن من زماننا هذا.

ففي صيف عام ١٩١٢ (أي قبل ٩٤ عاما) يقرر مجموعة من أعضاء أول و أقدم نادي ثقافي في البحرين القيام بأداء فريضة الحج. و بدأ بينهم نقاش و حوار حول المناسك، حتى قرروا أن يرفعوا أسئلتهم إلى صاحب المنار ليحسم حوارهم و نقاشهم. تصدى ناصر الخيري قبل ٩٤ عاما لتحرير و كتابة أجرأ أسئلة حول مناسك الحج و بعثها إلى المجلة المذكورة و شيخها رشيد رضا يطلب الرأي و المشورة حولها باسم مجموعة النادي.

عدت إلى تلك الأسئلة و قرأتها بتمعن، فاستوقفتني طويلا جرأة العقل البحريني آنذاك أي قبل ما يناهز القرن، و تساءلت بحزن حقيقي: كيف كنا؟ و أين أصبحنا؟ و كيف كان سيبدو الوضع مرعبا في ردة فعله لو أن ناصر كتب تلك الأسئلة في زماننا هذا، و قرأها نوابنا و أولئك الذين يقفون خلفهم حراسا على العقل و الضمير و التفكير الحر المستقل؟ ماذا سيكون حكمهم؟ و كيف سيبدو موقفهم؟ و إلى أين ستصل حملتهم على ناصر و مجموعة نادي إقبال أوال، لو أنهم طرحوا تلك الأسئلة الأكثر جرأة في يومنا هذا؟

ألا يؤلمنا و يؤسفنا أن نقول و نستنتج بأن ناصر الخيري و مجموعة ذلك النادي كانوا أسعد حظا منا، لأنهم عاشوا في مطلع القرن الماضي، و لم يعيشوا و يعايشوا مثلنا مطلع القرن الجديد؟ هل نحسدك ناصر لأنهم اكتفوا يومذاك بإغلاق النادي و تهديد قاضي القضاة الشيخ قاسم بن مهزع لك، و لم ينالك شيء مما نالنا من التكفير و التأثيم و التشكيك في صحة إسلامنا، مضافا إليها ما لا يعد و لا يحصى من الشتائم و السباب و القذف العلني من فوق المنابر و من خلال المواقع الالكترونية و بعض المجالس التي تخصصت في كيل السباب؟

هل نحسدك ناصر أم نبكي حظنا العاثر؟ لن نفعل هذا و لا ذاك. فأنت و صحبك بذرتم بذرة التنوير الأولى في مطلع قرننا الماضي، و هي البذرة التي امتدت جذورا قوية مكينة لن تقلعها الرجعية و هي تؤسس و تسعى حثيثا للقضاء على ذلك الفضاء الذي فتحتم فيه ثغرة فأصبح أفقا مفتوحا يميز البحرين برحابة فكرها و ثقافتها. إن هذا هو ما لا يريده البعض لها ممن أصبحت لهم السطوة فقرروا إطفاء الجذوة لتعم الظلمة في العقول، فتعادي كل ما هو جميل و مبهج و مبدع، و تغلق كل تلك المساحات الثقافية النيرة التي عرفت بها البحرين يوم

عرفتم طريقكم إلى حوار الثقافات و تلاقح الحضارات، فأسستم لنا وعيا بحرينيا لا يكره الآخر، ولا ترعبه الثقافة الأخرى، فانفتح كما انفتحتم في بدايات القرن الماضي على صحف عصركم و ثقافته، فكانت " المنار" و " المؤيد" و " المقتطف" و "العروة الوثقى" .. مجلات تقرأونها و تراسلونها و تتحاورون معها. بل لم يمنعك زمانك يا ناصر من دخول المدرسة البروتستانتية عام ١٨٤٩ لتتعلم فيها لمدة ثلاثة أعوام اللغة الإنجليزية، فيما كان أقرانك يرتادون يوميا المكتبة البروتستانتية التي كانت موجودة بفريج الفاضل عام ١٩٠٦.

ذلك كان زمانكم يا ناصر، فهل تسأل أحفادك عن زمانهم هذا؟!

آخر أخبارنا إننا شكلنا لجنة تحقيق برلمانية في الثقافة بعد أن أصبحت الثقافة المستنيرة التي أسستموها " تهمة". ستعمل اللجنة بكل طاقاتها لإثبات هذه التهمة و تقديم أصحابها إلى اقرب مخفر للشرطة لتوقيفهم و سجنهم حتى يتم البت في أمرهم و أمر الثقافة المستنيرة نهائيا بحسب توصيات اللجنة. هذه أخبارنا يا ناصر، فهل تريد المزيد؟

و ما بين كابوس الحلم و ظلام الواقع، تراجع ناصر و هو يهمس: " قلبي على وطني".

بئس ما تحاكمون

سعيد الحمد - البحرين

حتى أكثر المتشائمين تشاؤما لم يكن يتصور أن يأتي يوم أغبر على البحرين تحاكم فيه الثقافة، و هي وطن الثقافة و وطن الإبداع و وطن الفن و وطن الانفتاح منذ الأزل .. منذ أن قطع طرفة بن العبد ما بين بحرها و نخلها ليغني لجماها و جميلاتها و لفضائها المفتوح حبا و تسامحا و ثقافة وفنا.

ماذا جرى في البحرين؟ وماذا جرى للبحرين؟ هكذا كان السؤال الذي يواجهنا به الإخوة في المنطقة ممن عرفوا وممن خبروا البحرين منارةً للثقافة في الخليج، و ممن غرفوا من نبع روافدها منذ عشرات السنين.. فإذا بها في مطلع الألفية الثالثة تقيم المحاكم وتنصبها لمحاكمة الثقافة. ماذا أبقيتم لنا أيها السادة، يا من شكلتم لجنة تحقيق برلمانية لتحاكموا وتحاسبوا وجهنا الثقافي الجميل، بعد أن حاصرتم كل الوجوه المبدعة وصادرتم كل الطاقات الثرية فكرا والثرية ثقافةً فأرهبتموها وجعلتموها تعيش حبيسة الصدور.

أيها السادة النواب يا من شكلتم لجنة تحقيقكم، وبسرعة خاطفة لم يسبق لها مثيل في تشكيل لجانكم البرلمانية، لقد صدمتم المواطن البحريني البسيط صدمة عظيمة وهو الذي انتخبكم لتشكلوا اللجان وتفتحوا ملفات قضاياه المعيشية اليومية الملحة والضاغطة والمعلقة، وتحققوا في قضايا انتم اعلم الناس بأهمية التحقيق فيها، وبأهمية تشكيل لجان التحقيق لمباشرتها ومتابعتها ومحاسبتها ومساءلتها في البرلمان، لتكونوا عينًا وتكونوا رقيبا وطنيا مخلصًا على المال العام، والمصلحة العامة، المرتبطة تماما بالقضايا المعيشية والحياتية اليومية لمواطن بحريني بسيط حمّلكم الأمانة، وأولاكم ثقته، لا لتحاصروا وتصادروا الثقافة التي هي جزء لا يتجزأ من تكوينه ووجدانه.

لقد حمّلكم المواطن الأمانة لتراقبوا وتحاسبوا الهدر في المال العام، وتحققوا مع المختلس إذا اختلس، ومع الفاسد إذا افسد، ومع المتجاوز إذا تجاوز، أيا كان موقعه وأيا كانت مسؤولياته. فهذا واجبكم الاوجب، وهذه هي الأمانة التي في أعناقكم تجاه الوطن والمواطنين. فأين انتم عنها وأين هي لجان تحقيقكم، وأين هي تحركاتكم لمتابعة قضايا المواطنين؟

أية حسرة نتحسرها، وأية خيبة نشعر بها، وأية سخرية تأخذكم يا نواب الشعب عندما تطلقون على لجنتكم اسم " لجنة التحقيق في ربيع الثقافة". بالله عليكم أي ربيع أبقيتموه للثقافة وانتم تحاكمونها بهذا الأسلوب الذي لم تعرف البحرين طوال تاريخها مثيلا له. لكن لا بأس أيها السادة النواب، لقد سجلتم سبقًا ودخلتم التاريخ من أبوابه الخلفية بوصفكم أول لجنة برلمانية تحاكم الثقافة، وتشق صدرها، وتفتش عن المخبوء في ضمائرها، فهنيئاً لكم مثل هذا السبق " العظيم" الذي نصبتم فيه محكمتكم، والتهمة" ثقافة"!!

وعندما يأتي زمن علينا نحن في البحرين تحديدًا، تتحول فيه الثقافة إلى " تهمة" ويتحول ربيعها إلى "متهم" خطير يتفرغ له نواب البرلمان، ويؤجلون بأسباب محاكمته كل الملفات وكل القضايا الحياتية واليومية الضاغطة والملحة .. نقول عندما يأتي مثل هذا الزمن فهو من علامات الغاشية الظلامية الجديدة التي لن تكتفي بذبح الثقافة من الوريد إلى الوريد، ولن تكتفي باقتلاع ربيعنا الثقافي الوحيد، ولكنها ستمضي في مشروعها.

ولا تستغربوا ولا تستبعدوا غدا أو بعد غد أن تشكل لجنة تحقيق برلمانية أخرى للتحقيق مع العصافير والبلابل لأنها تغرد كل مساء وكل صباح بما يبعث فينا الحب.. والحب ممنوع في زمن القمع والقطع. وعندما تجفف ينابيع الحب ويطارد الجمال وتلاحق البهجة، وعندما تصبح الثقافة تهمة.. فإننا نخون تاريخنا.. فهل ستصمتون؟؟

مناهضة الثقافة و ثقافة البذاءة

بدر عبدالملك - البحرين

تطرق بعض النقاد في الغرب ذات يوم، لأهمية دراسة الأدب الرديء كما هو الأدب الجيد والإبداعي، باعتبار أن الأول هو تعبير عن اتجاهات ثقافية ومجتمعية، ويمثل ظاهرة لمستوى من مستويات الثقافة السائدة، وواحد من اتجاهاتها، ولا يمكن مقارنة الأدب الجيد في ظل غياب تقييم الأدب الرديء، وبات تصنيف الجيد معادلة غير مكتملة موضوعيا.

يقودنا هذا الحديث إلى أولئك الناس في مجتمعنا الذين يكنون عداءً ظاهرا ومستبطا إلى حد الكراهية لكل ما هو جديد ومعبر عن روح المجتمع وتقدمه وإبداعه الفكري والروحي، فلا يرون في الثقافة إلا "سخافة"، مما يجعلنا نفهم تلك العدائية الثنائية لثقافة الحياة، وتمسكهم الدائم والمستمر لثقافة الموت والتدمير، كجزء من ثقافة معادية للحضارة بكل تجلياتها المادية والروحية، فتنهمر مفرداتهم اليومية في تلك الثقافة البذيئة التي تعكس مكونات نفسية وروحية لظاهرة تسمى النيوفوبيا (neophobia) ، فهي تعبير عن الخوف من الجديد، وهذا الاتجاه يناقض اتجاه تلك المجموعات الاجتماعية الذين يميلون إلى التجديد والحداثة والميل والانجذاب إلى كل ما هو عصري ومتجدد وهم دعاة النيوفيليا (neophilia).

بين هذين النقيضين يتصارع المناهضون للثقافة والمولعون برفع شعار ثقافة البذاءة الذين يهتمون في خطابهم بتحريم كل شيء، ومعاداة كل ما هو يخالفهم، فلا يرون في صورة المجتمع ذلك التنوع محاولين استنساخ الثقافات الرديئة ونسيان الثقافة وتعدديتها وذوقها وتلونها وتجددها على طريقتها، محاولين إرجاع عجلة التاريخ نحو الوراء متشبثين بالسلف الصالح وكأنما حركة التاريخ لا تتقدم نحو الأفضل، فلا ترى في صورة العصر وثقافته ومنجزاته المعرفية والإنسانية العظيمة إلا ذلك الساق العاري والجسد المكشوف، فتبدأ لعنتهم وينهمر ويتطاير صراخهم. وكأنما ذلك الصراخ بصوت عال أمام سلطة الصحافة ودورها تعبير عن نزعة مناهضة للحريات وحق التعبير والاختلاف في ظل الشرعية للجميع.

فهناك خطوط وقيم ينبغي على الجميع احترامها ومعرفة حدودها ولا يجوز أن يسود مكان التسامح روح العداء والكراهية، خصوصا إزاء الصحافة والثقافة باعتبارهما المسرح الواسع للتعبير عن جوانب الإنسان والمجتمع؛ الأول يدافع ويتابع مشاكله بأدواته الخاصة، والثاني يعكس تلك الروح بأدواته الفنية والإبداعية. فلكل أشكال الثقافة والتعبير صيغها وأساليبها التعبيرية فلا يجوز أن ننظر بذلك المنظار العدائي لهما.

من يحاولون " تجريف الثقافة" من جذورها كما فعل الطاغية صدام حسين مع نخيل الدجيل، ينسون أن الثقافة لها جذورها الأعمق في روح الإنسان بل هي الإنسان وثنائيته الكونية، فلا يستطيع احد الوصول لها ولن ينجح احد بتدمير تلك الغابة الجميلة إلا بالقضاء على الإنسان من كوكبنا. ومن دون الموسيقى والشعر والرواية والمسرح والغناء والرقص والسينما وكل عناصر الإبداع المتجددة في عالم الثقافة، لا تستقيم الحياة أو تزدهر، ولا يمكن

للقوى الظلامية من تجريفها واستئصالها حسب رغباتهم، كما لا يمكن اجتثاث الفرح ولحظته لدى الناس وهم يعيشون سعادة ربيع الثقافة محاولا الآخر بأشباحه تكريس خريفه الأبدي على ضمائر وعقول الناس وتعتيم حياتهم للأبد بذلك الكابوس اليومي المناهض للحريات والثقافة وحرية التعبير.

ترى ما الذي تعلمه الفارس من تلك الصحراء إن لم يكن الحب والشعر والموسيقى والحداء، وذلك المدى الرحب والأفق الواسع والتطلع للسماء الممتدة بحثًا عن الأسئلة والمغامرة والماء والحياة والمرأة والحب؟ لهذا لم يكن مجنون ليلى إلا عاشقًا من طراز رفيع لا يفهمه رجل متعطش للعيش في خيمة التخلف ومناديًا بالعودة للوراء من مفهوم ضيق الأفق ولصحرائه الجرداء الخالية من الحب، ومن مفاهيم متكلسة حول معنى قيم التطور والثقافة والتحرر، وفي مقدمتها تحرير العقل من حجارة وكهوف الموت وثقافته السوداء.

لماذا يطارد الموتى بروحهم العصافير وهي تغني؟ لماذا تتهمر مفردات البذاءة لجمالية الرقص التي قال عنها دياجليف مصمم رقص "الباليه" بأن الرقص تعبير عن فلسفة الجسد؟ ولكن دعاة البورنو بمخيلتهم لا ينظرون للجسد إلا بمخيلة مريضة. من يحرمون الموسيقى لا تشدهم في الكون إيقاعات الفرح ولا يستوعبون معنى نشيد الإنشاد لشيلر أو بتهوفن، ولن تحركهم تلك الطبول العميقة في الغابات الأفريقية أو قاعات الحداثة للكونغا الكوبية، فكل ذلك في مفاهيمهم مجرد ثقافة سخيفة ومنحطة، لأن موت الروح لا يمكنه أن ينتج ثقافة راقية وخطابا مجتمعيا متقدما. فهم بمناهضتهم للثقافة يحاولون تصدير ثقافتهم الصفراء وأوراقهم المهترئة وتأبيد خطابهم المقبور وبكائياتهم المكررة.

من لا يحبون الثقافة التي تخترق عالمنا لا يرون أن حركة التاريخ لا يمكنها أن تتقدم من دون الثقافة مهما انطلقت سيوفهم القديمة عبر الصحراء، فقد كان للقلم قبل السيف، والشاعر قبل الجلاد تعبيراتهما الأبدية والمتجذرة في حضارة الأمم والشعوب. ترى من هو خير جليس في الزمان كتاب التنوير أم خطاب البذاءة والعداء والكراهية لكل ما هو جميل يشدنا نحو الحياة؟ فأنت جميل تحب الحياة فكيف عبادك لا يعشقون؟ ما الذي يحرك الكون وجمالياته في تلك اللوحات والتعبيرات الجسدية الراقصة والأشعار والأغنيات والسلالم الموسيقية؟ فالغناء سر الوجود، أما سلالمكم فستقودنا نحو جحيم أسوأ من جحيم دانتي؟!

يا لله لَكَم الحياة كاسدة وفاسدة وقاحلة من دون الثقافة، وكم هي سجن رهيب ومحاكم تفتيش عصرية حينما تتحول الصحافة ورجالاتها إلى مفردات مختزلة في لسان لم يتحصن كلاميًا قبل أن يتحصن برلمانيا. من يحبون ثقافة الحكمة بالضرورة عليهم قراءة نهج البلاغة للإمام الخليفة علي بن أبي طالب، الذي قال " الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به وإذا ما تكلمت به كنت أو صرت في وثاقه" . فهل نتحاشى ثقافة البذاءة ونحترم ثقافة الإبداع والحياة والتقدم والتعبير والنقد وتقبل السلطة الرابعة، باعتبارها الصوت المدافع عن الشارع السياسي والمجتمعي بكل مستوياته؟

من يجرؤ على محاكمة الثقافة؟

عيسى الشايجي - البحرين

في وسط هذا الخليج الثري الذي يسبح على بحر من النفط، ماذا يملك الإنسان البحريني؟! حتماً هو لا يملك نفطاً ولا ذهباً ولا حتى نحاساً!! ولكن الإنسان البحريني يملك الثقافة والفن والحضارة والمعرفة وهذا الوطن الجميل، وهي أغلى وأعز ما نملك.

وفي مقابل الثقافة والفن والمعرفة التي يتميز بها الإنسان، يقف الجهل والأمية والعتمة والظلام والغباء، وهي مصدر كل الفواحش والرذيلة والأمراض والإرهاب!! لذلك فقد كانت صدمة كبيرة لنا وقاتلة لهذا الوطن الجميل إقرار مجلس النواب تشكيل لجنة تحقيق في ربيع الثقافة، هذه الثقافة التي يريد البعض أن يهدر دمها على مذبح الحرية والديمقراطية وباسم الدين والإسلام والأخلاق!! وبالطبع سوف نتقبل القرار لو كان يتعلق بتشكيل لجنة تحقيق في فساد أو اختلاس أو رشاوى أو إهدار المال العام، لكن أن يتم التحقيق مع الثقافة فهذا أمر لا يستوعبه عقل الإنسان. تصوروا الثقافة متهمة في وطن الثقافة والحضارة والحريات!

إن مجرد تصور ذلك هو أمر مرعب تقشعر له الأبدان، فمن يجرؤ على محاربة ومحاكمة الثقافة، هذه المحاكمات التي تجاوزها العالم منذ القرون الوسطى؟!! إن لجنة التحقيق هذه لو تم تشكيلها فإنها سوف تلطخ سمعة البحرين الثقافية في العالم وتعصف بكل منجزاتها الحضارية، وهو أهم مكسب حققته البحرين في تاريخها، فلا تتصوروا الأمر بهذه البساطة!!! إننا سنكون أضحوكة العالم عندما نبدأ محاكمة الفنان القدير مارسيل خليفة والشاعر المتميز قاسم الحداد وبتهمة ماذا!! "الخلاعة"!! أي مصيبة حلت علينا؟!! بعد كل هذا العمر الذي أفناه الفنان مارسيل خليفة في الارتقاء بالفن وخدمة القضايا العربية والإنسانية، وكذلك زميله الفنان الشاعر المرهف قاسم حداد، نأتي لننصب لهما محاكم التفتيش بدلاً من تقديرهما وتكريمهما؟!

نرجوكم.. ونرجوكم.. لا تجعلونا محط استهزاء الآخرين بهذه النادرة المضحكة جداً.. جداً، والتي لن تمحى من ملف تاريخنا الجميل والمشرف في الفن والثقافة. إن الفن يحسّن الأخلاق ويهذّب النفوس، وما تم تقديمه في ربيع الثقافة يعتبر من أعلى درجات الفن الراقي والمهذب والإنساني.. فماذا تريدون أكثر من ذلك؟! وأي فن تريدون؟ وإلى أي غناء تطربون؟! أفيدونا أفادكم الله، وإلا اتركوا الآخرين وشأنهم يستمتعون بالفن وبنسمات الهواء الطلق.

إن من يريد أن يحارب الفن والثقافة فعليه أن يعرف أنه دخل معركة خاسرة، فلا أحد يستطيع أن يقيّد الفن أو يحبسه أو يقمعه.. إنه نسمات الهواء المنعش التي تملأ الرئتين، وبدونه فلا معنى لهذه الحياة!! إن الناس تكظم غيظها من قوى الظلام والتخلف التي تريد أن تقتل كل شيء جميل في هذه الحياة ولم تشبع نهمها حتى الآن، فهي كلما قتلت شيئاً جميلاً طلبت المزيد والمزيد، وتبحث عن الجمال لكي تقتله، خاصة وأن الدرب سالك أمامها، وهي لن ترضى بقتل الثقافة بل ستعمد إلى قتل الروح البحرينية الطيبة بتدخلها حتى في شؤون الأسرة وتفريق الابن عن أبيه والزوجة عن زوجها والأخ عن أخيه.

أبشروا فنحن اليوم أمام علامات هذا الزمن الرديء!!

شكرا للسادة النواب!

د. حسن مدن – البحرين

ما ابلغ القول العربي المأثور: " تمخض الجبل فولد فأرا" . لعله يكاد يوصف حال مجلس نوابنا الذي كثرت الانتقادات الموجهة إليه للعجز البين الذي أظهره حتى الآن في مقاربة أي ملف من الملفات الحيوية، وكثرت التساؤلات عن فشله في تشكيل لجنة تحقيق واحدة في أمور التجاوزات الخطيرة الواردة في تقرير ديوان الرقابة المالية، أو في ملف الأراضي، أو في الفساد بشكل عام، فإذا بهذا المجلس يفلح في تشكيل أولى لجان التحقيق في عهده، وبإجماع كتله النيابية ومن دون استثناء، بما في ذلك كتلة الوفاق التي أكدت غير مرة أنها ستعطي الأولوية للملفات المتصلة بالأوضاع المعيشية للمواطنين، وكذلك كتلة المستقبل الذين قدم أعضاؤها أنفسهم بصفتهم مجموعة من التكنوقراط المتفتحين.

ولم يكن هدف هذه اللجنة العتيدة سوى مهرجان ربيع الثقافة، الذي كان أحد النواب قد وصفه بربيع السخافة، تاركين للقارئ الحصيف تقدير ما ينم عنه هذا اللفظ من مستوى وعي وسلوك بعض النواب. لن نطيل الشرح، سنكتفي بالقول للسادة النواب : شكرا لكم. لقد أظهرتم وبالملموس، ومجلسكم الموقر بالكاد في شهوره الأولى، صحة كل ما حذرنا منه من أن مجلسا بهذه التركيبة لا يمكن له إلا أن ينشغل بالتوافه، وبالمعارك الجانبية التي تنم عن ضيق أفق الكثير من أعضائه، الذين لم يجدوا في مجلس النواب سوى ساحة لاستعراض العضلات المفتولة لا ضد الفساد والمفسدين، وللدفاع عن الحقوق المعيشية للمواطنين المكتوين بنيران الغلاء والبطالة ومشاكل السكن، وإنما ضد الحيز المضيء الصغير المتاح للثقافة في هذا البلد، الذي نكب، كما نكبت سواه من المجتمعات العربية الإسلامية، بالحراس الزائفين على الفضيلة، الذين يريدون مصادرة التراث المتأصل في البحرين، العربية المسلمة، من الانفتاح والتنوير والتفاعل مع الأفكار والثقافات الأخرى بروح التسامح والحوار الخلاق، ويسعون لفرض ثقافة ظلامية، طالبانية الهوى، تحت "هيلمان" من التهويش الإعلامي والتضليل، والضغوط التي تبلغ حد الإرهاب الفكري الذي يريد تصنيف النشاط الثقافي والفني في دائرة المحظور. فذائقة هؤلاء المحدودة تعجز عن استيعابه، لأن حدود تفكيرهم لا تتصرف عن منطقة الغرائز، بدل محاكاة العقول والأفكار والأذواق.

طالعت في بعض الجرائد الصادرة في المملكة العربية السعودية الشقيقة إشادات بأنشطة ربيع الثقافة في البحرين، وبالمناخ النقي الحر الذي أشاعته في بلادنا والتي تصل نسماته الطيبة إلى الجوار، لكن في البحرين ذاتها، ينبري مجلس النواب بقضه وقضيضه للتحريض على هذه الأنشطة ومحاسبة القائمين عليها، وإعادة القهقرى للبحرين المنفتحة التي عبد رواد النهضة والتنوير فيها منذ مطالع القرن العشرين، في المحرق والمنامة والمناطق الأخرى، طريق التفكير الحر الديمقراطي والمتسامح.

لم يعد الصمت ممكنا تجاه هذه الحملة الجائرة على الثقافة وحرية التفكير في هذا البلد، لأن الكلام نفسه لن يعود ممكنا، بعد حين، إذا ما جرت ممالئة هذه الحملة أو السكوت عنها أو طأطأة الرأس أمام عاصفتها، أو مسك العصا من النصف تحت أي ذريعة. على المجتمع المدني والقوى الحديثة في هذا البلد، وهي قوى مهمة وواسعة ومنظمة وذات تأثير أن تنهض مدافعة عن حيز النور المتاح المراد مصادرته، لكي لا نخسر البحرين التي بنتها أجيال من الرواد الشجعان.

ربيع الثقافة أيضا

د. حسن مدن – البحرين

كنا نتمنى أن نجد يدا واحدة على الأقل ترتفع في جلسة مجلس النواب أمس الأول تعترض على تشكيل لجنة التحقيق التي تفتقت عنها الأذهان العبقرية في المجلس. هذا لم يحدث للأسف، وسيظل ماثلا في ذاكرة البلد أن نائبا واحدا لم يجرؤ على الوقوف بوجه الهجمة العاتية على الثقافة في وطننا، التي يحاول أصحابها التمويه على جوهر موقفهم بالادعاء أنهم ليسوا ضد الثقافة، وإنما الأمر محصور في لقطة أو بضع لقطات كادت اذرع بعض النواب أن تتصلب وهم يلوحون بصورها أمام كاميرات الصحفيين.

لكن لن يأخذنا الأخوة النواب بالكثرة وهم يريدون إملاء ما يريدون على المجتمع من أنماط تفكير وثقافة. فالبيان الذي نشرته الصحف في نفس يوم الجلسة وعليه توقيع أكثر من خمسين جمعية تمثل التيارات الحية في هذا البلد، وعمر بعضها، من تيارات سياسية وجمعيات نسائية ومهنية وسواها، يبلغ عقودا من الزمن، واكتوى أصحابها بسياط قانون أمن الدولة يوم كانت الغالبية الساحقة من نواب اليوم نسيا منسيا، هذا البيان يقول أن هناك قوى وشرائح اجتماعية من الأهمية والتأثير في المجتمع، حتى لو أدت الظروف القاهرة التي نعرفها جميعا إلى تغييبها عن المجلس الحالي الذي تواطأت قوى الإسلام السياسي مجتمعة، بصورة ضمنية أو غير ضمنية، على الانفراد بمقاعده، مستفيدة من التسهيلات التي لا تحصى التي قدمت لها من قبل بعض أجهزة الدولة، لنرى أول الغيث في جلسة الثلاثاء التي بدل أن تأتينا بلجنة تحقيق في واحدة على الأقل من قضايا الفساد الكفيلة بتدوير الرأس، فإذا بها تختار المهمة السهلة، وتستهدف " الطوفة الهبيطة " في البلد، أي جبهة الثقافة في استعراض بائس يظهر الجهل والضحالة والسطحية.

وفوق ذلك يستكثر النواب على الأقلام الحرة الشجاعة في صحافتنا المحلية وقفتها المنتصرة للتقاليد الثقافية في بلادنا، وذودها عنها بوجه الحملة التي تريد مصادرة ما تبقى من فسح محدودة للجمال والفرح في البحرين، فجاءت السهام في الجلسة مزدوجة الهدف، نحو الثقافة وبمقدار، لا يقل، نحو الصحافة أيضا، التي لولا وقفتها لساد الشعور أن الظلام قد عم البلد، وأطبق خناقه علينا ولم يعد هناك متنفس للرأي الآخر الذي يريد النواب إخراسه.

تشكيل لجنة التحقيق في ربيع الثقافة، والهجوم الذي نال القائمين عليها كما نال الصحافة من قبل النواب ليس نهاية المطاف، إنما بدايته. نحن بصدد نهج متكامل يراد دفع المجتمع نحوه قسرا عبر الترهيب الفكري المتقن الذي بموجبه سيرمى كل من يرفض هذا المنحدر الذي ينحدر نحوه مجلس النواب بالإباحية وربما الكفر والزندقة أيضا، وبالتالي تهيئة الأرضية الملائمة لأن تظل الملفات الخطرة في البلد مغلقة، في ظل الانشغال بعرض موسيقي أو غنائي في مجتمع لم يعرف يوما بالانغلاق والتزمت قبل أن تهب علينا هذه الموجة الغريبة على مزاج البحرين وأهلها المجبولين على التسامح والمرونة والتفتح.

في كلمات موجزة : ستنهال السياط المدمية على جسد الثقافة، فيما سينام الفاسدون وسارقو المال العام قريري الأعين. كان غوبلز مسؤول الدعاية في حزب هتلر النازي يكرر: "كلما سمعت كلمة ثقافة تحسست مسدسي"!- هذا قول برسم من يعنيهم الأمر من النواب!

التعددية .. و ما أدراك ما التعددية

علي الشرقاوي – البحرين

المجتمع الصحي هو مجتمع الابتسامة الدائمة، هو مجتمع التسامح، هو مجتمع المحبة لكل ما هو على هذه الأرض، محبة الإنسان الآخر والطير والشجر، هو مجتمع الطيبة التي طالما عرف بها المجتمع البحريني والفرد البحريني والبحر البحريني والحلم البحريني. ولكن الظاهر أن النواب يسهمون (بوعي أو بغير وعي) في إبعاد البرلمان إلى مواقع غير مواقع التشريع التي وصلوا إليها من خلال انتخابهم من أفراد دائرتهم الانتخابية، يختلقون طواحين الهواء، ويبدأون محاربتها ومحاربة عشاق الكلمة الحرة، وبشكل تعسفي مباشر، طامحين لإزاحة صفة الطيبة عن وجه وقلب الإنسان البحريني تحت شعارات لا يفقهون معناها.

التعددية إن لم يفهمها النواب، تعني أنه لمن يعيش معي فوق هذه الأرض حق مثلي، وجوده مرتبط بوجودي، وما يسري عليّ يسري عليه من غير شروط، ومن غير إكراه، من حقه التعبير عن رأيه دون رعب من عصا التكفير ودون اتهام بتخريب الأخلاق ودون تهديد بالخروج عن الدين. وإذا كان جوهر التعددية كما ذهب إليه الباحثُ الإسلامي السعودي الميلاد في التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي: التأصيل، الأنماط، التحول، مجلة الكلمة (بيروت، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، السنة ١ ، العدد ٢، ١٩٩٤ ، ص ٢٥)

أنها: إقرار بالحرية والاختلاف والتعايش السلمي في إطار الحرية والاختلاف والتنوع من غير ضرر ولا ضرار.

فإن الميثاق والدستور البحريني، بل إن كل بنود المشروع الإصلاحي للملك حمد بن عيسى، في واقعها قائمة على قاعدة التعددية والحرية، وإذا ما أبعدت بنود الحرية والتعددية فإن كل البنود الأخرى لا معنى لها.

من هنا فإن الهجمة الشرسة على الفكر وحرية الصحافة والتي تقوم بها شخصيات لا تعي معنى التعددية هي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، هجمة على أجمل ما حمله المشروع الإصلاحي على المستوى الوطني والمستوى العالمي، هجمة تعمل على إفراغ مشروعنا الإصلاحي من محتواه الذي بنيت على أساسه العلاقة بين القيادة والقاعدة أو بين الحاكم والشعب، وإذا كان هناك من يفكر بخلخلة هذه العلاقة الدستورية فليضع في اعتباره أننا كمهمتين بالحفاظ على مكتسباتنا الوطنية لن نرضى بذلك.

فالتعددية التي نعمل على إشاعتها في حياتنا اليومية وأعمالنا الفكرية والإبداعية والاستعراضية هي من الثوابت الوطنية المندمجة بمعنى وجودنا. فإذا كنا قد فرحنا بالميثاق والدستور، فلأنهما قائمان أساسا على مبدأ الحرية والمساواة والتعددية. أقول وقلبي على البحرين: إن سادت عقلية الرأي الواحد وعقلية إقصاء الآخر وملاحقة المبدعين عبر محاكم ولجان التفتيش، فكل مكاسابنا لا معنى لها.

وأقول أيضا: إن غابت الحرية والتعددية وروح التسامح عمت الفوضى.

اتقوا الله يا نواب

رضي الموسوي – البحرين

فجأة انتفض النواب واتفقوا على تشكيل لجنة تحقيق تفتش عما في ربيع الثقافة من "موبقات"، بل هم أصدروا الحكم قبل التفتيش. ألم يقل أحدهم قبل انطلاق الربيع أن هذا ربيع السخافة؟

لم يجد نوابنا الأفاضل إغراءً أكثر من محاكمة ربيع الثقافة، يتفقوا عليه ويرمون بتصريحاتهم النارية في الشارع، ثم ينفخون فيها من على المنابر ويطالبون الناس برجم الربيع بالحجارة.

أكثر من مئة يوم مضت على المجلس العتيد والنواب يغرقون الحكومة بالأسئلة، والأخيرة فطنت اللعبة منذ البداية وتعاطت معها ليخرج المشهد النهائي بطريقة "هوليودية" بامتياز، بينما الأعضاء يفتشون عن أسئلة في أمكنة أخرى. فأغلبهم غير عابئ بجواب سؤاله بقدر ما يبحث عن سؤال السبق قبل أن يقفز له زميل من الفئة الأخرى ويفوت عليه فرصة الحديث عن السؤال الذي اخرج الزير من البير. لم يتفق النواب على لجنة تحقيق ضد الفقر والمرض والأمية والتجنيس، لكنهم اتفقوا على ربيع الثقافة. أليست مادة دسمة تلهب المشاعر وتحرك أعضاء الجسد؟ إذن فليجمعوا على اللجنة، ويتنافخون شرفاً دفاعاً عن أعراضنا عندما يمسكوا بأعناق الربيع من عنوانه الأبرز: قاسم حداد ومارسيل خليفة. اجزم أن جل القاعدين على كراسي المجلس لم يقرأوا حرفاً لقاسم ولم يسمعوا مارسيل يغني للبحارة وضد اغتصاب الأرض ويشحذ همم مقاومة الاحتلال. وأظن – مع أن بعض الظن إثم – أنهم لا يعرفون قاسم حداد أصلاً، ولا يعرفون تاريخ هذا الرجل الذي ترك بصماته الأدبية والسياسية الواضحة في حقب من تاريخ البحرين. لم يقرأوا شعره الذي حلق في فضاءات الدول إلا عقولهم. اجزم لو أنهم قرأوا له:

أفق يا هاجر، الكاسات يا ثملُ
أفق وأشرب فهذي الكأس وعيّ
تدرك الدنيا وتنفصلُ
أتسأل عن رفاق الكأس بعد الكأس أينهمُ
لقد رحلوا على جسر المدى
لا العشق مضمون ولا الغزل

لو قرأوا هذا المقطع الخارج من سجن السبعينات لنصبوا لقاسم أعواد المشانق على باب زنزانته. إنهم لا يفقهون، فكيف لهم أن يفهموا شعره: خروج رأس الحسين من المدن الخائنة، الدم الثاني، القيامة، قلب الحب، الجواشن، قبر قاسم، ومجنون ليلى.. وغير ذلك من إبداعات لم يتعرفوا عليها، وان قرأوها فلن يفهموها وسيفسروها حسب ما ترتئيه محاكم التفتيش، لا ما أمروا به وجادلهم بالتي هي أحسن، فالحوار ابعد من السماء السابعة بالنسبة لهم. أليسوا الفرقة الناجية، ومن تبقى، وهم أكثر الناس.. فإلى الجحيم؟!.

عودوا لرشدكم أيها النواب، واتقوا الله في أنفسكم، وتذكروا أن الذي تتقلبون عليه الآن من رأي ورأي آخر، هو الذي أوصلكم للكرسي الذي انتم قاعدون عليه.

عمرو يشبه جعفر

حسين مرهون – البحرين

الخير فيما يحدث. تتساقط الشعارات. تتساقط الأوهام. والأهم من كل ذلك، تتساقط النسب الضوئية الفاصلة بين أمم خير الناس -ليسوا أمة!-، ولا يتبقى غير الشبه. الشبه الشبه. عمرو يشبه جعفر، والعكس بالعكس، ومن شابه أخاه فما ظلم. مرة أخرى، الخير فيما يحدث. ويحدث في هذا الخير، أن نكتشف أننا كائنون وجهاً لوجه أمام هجمة واحدة، من جذر غول واحد، حتى مع جمعه على غيلان. في الجمع نقصد التعدد، لكن في الجذر نقصد الوحدة. نقصد الأصل. أصل الأصل. الذرة أو النبتة. وفي الأصل هنالك جين واحد لجينالوجيات متعددة. تختلف في الاسم وتتشابه في المسمى: إنه الغول... مرة أخرى.

ومرة أخرى، يضعنا شياطين الجن والإنس – كانت العرب تزعم أنها شياطين تظهر للناس في الفلاة، فتتلون لهم في صور شتى، وتضللهم وتهلكهم – أمام الاختبار الحاسم: أن نستبدل مشروعياتنا بمشروعية واحدة. أن نسجن الفضاء العام فيما يرونه لنا مشروعاً، وما يرونه لنا حقيقة. يضيق الشبه بالاختلاف. يضيق دائماً. يضيق بالحقائق العامة. يريدها حقيقة خاصة. يريدها الحقيقة. يضيق الشبه بحقيقة من غير (أل) التعريف. يريدها مملوءة... ويضيق دائماً.

وفي التضييق هذا، ينفتح المشهد – وهذا ليس سحراً – على الحدّ الفائق من السعة. وحذار هنا، إنها سعة البساطة: اضغط زراً واربح لجنة تفتيش. اللوائح تخففها إلى لجنة تحقيق. لكن في الحالين – في التشديد والتخفيف – نحن بإزاء تسعة وعشرين صوتاً. الخوّافون امتنعوا. خمسة أصوات و... ما شاء الله. أين الباقون؟. نائمين. وفي كل الأحوال، لا رجاحة في البساطة. أبداً أبداً.

المخيف في كل هذا، أن ما يحدث سابقة. ولأنها ليست من الخير، ولا حتى من جنسه، يقال هنا: تباً لها من سابقة. وعندنا لا ينبغي أن نثق في السوابق. تماماً مثلما أننا لا نثق في ذوي السوابق. أن نثق؟. يعني أن نتنازل عن الفسحة الصغيرة الباقية التي لم تطلها يد التخريب الخلاق. يعني أن نتخاضع أمام إرادة تركيع ما هو فني لما هو غير فني. ما هو أدبي لما هو غير أدبي... وهلمّ جراً. تلك سابقة لن نثق فيها. لن نثق في الشبه. وكائناً ما كان المشبه أو المشبه به: غول دين أم غول دنيا. وعمرو يشبه جعفرا.

"ربيع الثقافة" في البحرين و "معرض الكتاب" في الرياض

نجيب الخنيزي – السعودية

ردود الفعل السلبية، والإدانة القوية، التي أبداها أعضاء نافذين في أروقة البرلمان البحريني، إزاء فعاليات "مهرجان ربيع الثقافة" في دولة البحرين الشقيقة، مدعومين في ذلك من قبل أوساط دينية (سنية وشيعية) واجتماعية متزمتة، وإطلاق أقذع النعوت بحقها، والمشاركين فيها، والقائمين على تنظيمها، الأمر الذي أثار استغراب واستهجان الجسم الثقافي، وممثلي مؤسسات المجتمع المدني، وأطياف سياسية بحرينية مختلفة.

وهنا لا يجري الحديث أو التشكيك في شرعية كون هؤلاء أعضاء منتخبين، ويعبرون عن خيارات ومواقف قطاع واسع من شرائح المجتمع البحريني، لكن ذلك ليس مدعاة وحقا لهم، أن ينصبوا أنفسهم رقباء، وحراس للفكر والثقافة، وتكميم وحجر الإبداع، وتسطيح العقول أو تنميطها، وفقا لقناعاتهم وتوجهاتهم الفكرية، والاجتماعية، والسياسة.

والضرر بل الخطر هنا، عندما يجري التركيز على محاربة الإبداع، والثقافة الجادة، ومصادرة الرأي الآخر، وهي قضايا محورية، تعد من مكونات الحرية والديمقراطية والتعددية، التي كفلها الدستور والميثاق الوطني، والذي على أساسه انتخبوا.

وعلينا أن نتذكر، ونستعيد ظروف صعود الفاشية أو الحركات الشعبوية (إبان الأزمات الوطنية الكبرى) بمختلف تجلياتها القومية، والدينية، والمذهبية التي حظيت بدعم من أوساط شعبية واسعة، وأحيانا فرضت نفسها عبر الديمقراطية (التي انقلبت عليها لاحقا) وصناديق الاقتراع الشعبي الحر، من خلال تأييد ومساندة الفئات الاجتماعية المهمشة، والمحبطة، وسهلة القياد، في ضوء معاناتها، وتزييف وعيها، وتأجيج وشحن عواطفها، ردا على استئثار رؤية وخطاب رسمي/ شمولي، وغياب ومصادرة وحصار المكونات الثقافية الأخرى، الأمر الذي أنعش وقوى البديل المتمثل في المكونات الاجتماعية والدينية والطائفية المحافظة (على امتداد عقود من الزمن) عبر القنوات التقليدية المتاحة المعروفة.

ما جرى في البحرين من محاولة حجر ومصادرة الفكر والإبداع الإنساني الراقي، والثقافة الجادة، سبق أن مارسته وفرضته أنظمة استبدادية بما فيها أنظمة دينية، وكتل وجماعات إسلامية ومحافظة في كثير من المجتمعات والبيئات العربية والإسلامية، ومن بينها مجتمعات دول مجلس التعاون الخليجي. ونستعيد هنا مواقف الكتل الإسلامية المتشددة في مجلس الأمة الكويتي، ضد معرض الكتاب والحفلات الموسيقية ومنعها عناوين كتب وأسماء فنانين وتحديد نوعية العروض والنجاح في فرض الرقابة والضوابط "الشرعية" عليها.

الأمر ذاته حصل في السعودية، أثناء وفي أعقاب معرض الرياض الدولي للكتاب. منذ البداية حاولت المجموعات المتشددة التشويش على سير المعرض، من خلال استهدافها منع العديد من العناوين والموضوعات في شتى صنوف المعرفة والإبداع المحلي والعربي والعالمي،

التي لا تتفق وتوجهاتها الفكرية المتزمتة، وسعيها لمنع تواجد النساء والرجال في وقت واحد، واستعراض قوتها من خلال الصلاة الجماعية بين الممرات الضيقة للمعرض رغم وجود أماكن مخصصة للصلاة. وحين فشلت محاولاتها في ضوء الموقف الحازم للجنة المنظمة، والإقبال الجماهيري (من الجنسين) الواسع، الذي قدر بنحو سبعمئة ألف زائر من مختلف مناطق المملكة، لفترة المعرض التي استمرت عشرة أيام، وبحجم مبيعات غير مسبوق وصل إلى أكثر من عشرة ملايين ريال وفقا للفواتير المقدمة فقط، ومع أن اللجنة المنظمة استبعدت الموضوعات الإشكالية والحساسة، التي قد تعطي المبرر لتلك المجموعة لإثارة الاضطراب والمشاكل على غرار ما حدث في معرض الكتاب العام الفائت، غيران الهجوم على معرض الكتاب، ومنظميه، ومسؤولي وزارة الثقافة والإعلام، وعلى رأسهم الوزير الأستاذ إياد مدني، استمر في المنتديات، وخطب المساجد. كما صدر بيان الـ ١٨ من المشايخ المتشددين الذي أشرت إلى محتوياته في مقال سابق. وأخيرا وصلت تداعيات المعرض إلى أروقة مجلس الشورى يوم الاثنين ١٢ مارس/ آذار، بمناسبة مناقشة التقريرين السنويين لوزارة الثقافة والإعلام للعامين الماليين ١٤٢٤/ ١٤٢٥هـ – ١٤٢٥/ ١٤٢٦هـ، حيث تعرضت أعمال الوزارة إلى هجوم ونقد حاد من قبل بعض الأعضاء من الإسلاميين والمحافظين المتشددين.

وشمل الهجوم الجوانب الشكلية والإجرائية، ومن حيث المضمون والمحتوى، وخصوصا ما اعتبر " رفع القيود والضوابط الشرعية عن الحرية الفكرية الذي أدى إلى انتشار الأفكار المنحرفة ونشر المنكرات في المجتمع .. حتى دخلت في بلادنا ثقافات منحرفة خارجة على أحكام الشريعة الإسلامية". كما هاجموا قناة الإخبارية والقناة الجديدة في جدة وخصوصا "تبرج النساء في وسائل الإعلام من تلفزيون وصحف ومجلات وما يكون من تفتح وميوعة من المرأة في عدد من البرامج الإذاعية .. وسفورها وإبراز مفاتنها أمام الرجال الأجانب مما هو معلوم من أدلة في الكتاب والسنة". وللتدليل على "انحراف" الوزارة سميت عناوين روايات لنجيب محفوظ ودواوين شعر لنزار قباني. وفي خطوة تكتيكية لممارسة مزيد من الضغوط على مسؤولي الوزارة، واستعداء الدولة عليهم (خصوصا أن الجميع في انتظار التغير الوزاري المقبل) ركزوا على عدم تنفيذ قرار مجلس الوزراء، بتحويل الإذاعة والتلفزيون ووكالة الأنباء السعودية إلى مؤسستين عامتين. ونذكر هنا الهجوم والتحريض والتهيج من قبل المتشددين ضد قرار الدولة بإدماج الرئاسة العامة لتعليم البنات في وزارة التربية والتعليم.

ومن الواضح أن هذا الهجوم المنسق، يعبر عن تزمت وتصلب عقائدي، ويضيق بالآخر، ويسعى إلى فرض مرئياته وأجندته، هو وراء ما تتعرض له وزارة الثقافة والإعلام وعلى رأسها الوزير، ويمتد ليشمل رفض مظاهر الانفتاح كافة، وإرساء قيم التعددية والحرية في المجتمع، وهو ما يتعارض مع منطق العصر، والحياة، والتطور، وقبل كل شيء مصالح المجتمع والدولة في آنٍ معا، في الحاضر والمستقبل. فالتنمية الثقافية هي احد المكونات الأساسية في التنمية الشاملة، والإصلاح، الذي يحظى بدعم ورعاية الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وبالتالي هي تشكل حاجة موضوعية ومصيرية للوطن والمجتمع.

لجنة "ضرب الودع"

رضي الموسوي – البحرين

أما وقد تشكلت لجنة تحقيق تفتش في "ربيع الثقافة" بعد أن سمعنا كلاما أنها لا تشكل أولوية، فإن الوضع تغير الآن، فلم يكن النواب الذين شمروا سواعدهم يمزحون، ولكي يعطوا اللجنة قوة دفع أكبر تعبر عن "الوحدة الوطنية" فقد وزع أعضاؤها على الكتل، في عملية استحضار تاريخية لحوادث حصلت قبل ١٤٠٠ سنة.

راقبوهم جيداً على منابر رسول الله (ص) في المساجد والجوامع، وفي الجلسات الخاصة والعامة، سيفلت عقالهم، وسيرتفع صوتهم، فلا صوت يعلو على المعركة مع الثقافة والصحافة، وسيستميتون في تكميم الأفواه مستخدمين كل الوسائل لإخراس كل معارض لهذا التوجه الخطير. ألم يفعلها بعضهم إبان الحملات الانتخابية وسط فرجة رسمية فاقعة ؟.

ألم يكفروا منافسيهم في الانتخابات؟ ألم يطل "راش" التشهير أحد المنافسين المعروفين للعامة بتقواه وورعه ؟.

نعرف أنهم لن يهدأوا، فقد وجدوها بعد مئة وعشرين يوماً من دخولهم القبة، ولن يتركوها أبداً حتى وإن احترقت البلد، فقد جاءت الفرصة وسيمسكون بها بالنواجذ. سيستخدمون حصاناتهم البرلمانية وغير البرلمانية ليفرضوا منطقهم، ولن يجادلوا بالتي هي أحسن، بل سيرغمون الجميع على تقبل منطقهم تحت يافطة الحق المطلق الخارج من تحت القبة!.

ويبقى الآخرون الذين رفضوا الهستيريا النيابية ومحاولة الانقلاب على ثقافة التسامح والتعددية. هؤلاء عليهم واجبات أخلاقية وأدبية وحضارية. فالأغلبية الصامتة، ومؤسسات المجتمع المدني التي طالبها بعض النواب بالاعتذار، عليها مأسسة العمل بطريقة مجدية للحفاظ على الحريات العامة والحريات الشخصية وتعزيز التسامح، والعمل للجم الفكر التكفيري الذي بدأ يخرج من قمقمه بطريقة قد تدمر كل ما هو جميل، وكل ما هو طيب.

يعرف الجميع أن اللجنة المشكلة غير مؤهلة لمناقشة كتاب فني، فكيف لها أن تحاكم الثقافة وربيعها؟

ويعرف كثيرون أن بعض أعضاء لجنة التحقيق يحتاجون للتدقيق في سيرهم ورد اتهامات تتعلق بالأمانة والأخلاق سبق أن وجهت لهم.

حتى لا يسرقوا الفرح والحب والتعددية الجميلة من حياتنا، لابد من إطلاق العنان للحناجر الجميلة وهي تلقي شعراً وتغني فناً راقياً.

عاد الغول .. عاد الغول

حسين مرهون – البحرين

تُجمَعُ الغول على غيلان. وفي اللغة؟. نوع من الشَّياطين كانت العرب تزعم أنها تظهر للناس في الفلاة فتتلونُ لهم في صور شتى، وتضللهم وتهلكهم. الآن نقول الغول، لا برسم فعل كان، إنما برسم الحاضر المضارع. ونقول الغول أيضاً، من غير واسطة أفعال الرجحان: زعم أو أخواتها، إنما بالقياس على اليقين الخالص: علم ورأى ووجد وجعل وألفى.

ثمة من يتقن التضليل والإهلاك معاً. ليس لمقدار الذكاء، إنما لمقدار الخبرة. وثمة من يلعب دور الشيطان: شيطان العرب، شيطان الفلاة، وشيطان الصور التي تتلون، فتضلل الناس وتهلكهم. ليس لإرادة في الشيطنة، إنما لإرادة في الإيمان. يلعب المؤمن بالشيطان مثلما يلعب الشيطان بالمؤمن. والاثنان؟. وجهان لفقر واحد.

من هذا الحد الفائق لدلالة الغول، يمكننا أن نقلّب الآن وجهاً من وجوه الفقر. ذلك المتمثل في هبّة شخصيتين شعبويتين ضداً على عرض "مجنون ليلى". في التقليب الأول، أن لكلٍّ دافعه. دافعٌ برسم الدين، ودافعٌ برسم الشعب. لكن الدافعين الاثنين مشروع تضليل. والدافعين الاثنين مشروع تهلكة. في التقليب الثاني، أن لكلٍّ ظاهره. ظاهرٌ بحليّ الإيمان، وظاهرٌ بحليّ الغيرة المظفرة. لكن الاثنين باطنهما شيطان: شيطان العرب، شيطان الفلاة، وشيطان الصور التي تتلوّن... فتضلل الناس وتهلكهم. وفي التقليب الثالث، أن لكلٍّ جهله، والجهل ها هنا عضويٌّ محض. وعضويّ؟. لأن الاثنين أنكرا على ما لم يشهدا أو... يشاهدا، وبين الحق والباطل أربع أصابع.

تحضر التقليبات الثلاثة هذه، ويحضر معها اعتقادٌ شموليٌّ بحت. وفي الشمولية، يحضر القمع والإرهاب والتعالي والإطلاق والإملاء والغلط والفجاجة وعنصرية الحقيقة. وكل ذلك، لأن الاثنين – غفر الله لهما – غير قادرين، حتى الآن، على التمييز بين خصوصية الاشتغال الديني، الذي هو صنعتهما الظافرة، وبين... خصوصية الاشتغال الفني، الذي هو ليس من صنعتهما، وليس مؤملاً أن يكون كذلك، لا أمس، ولا اليوم أو غداً. في الأول الملاكُ للشريعة، فيما الملاكُ في الثاني للتخييل. في الأول، الملاكُ لإدارة الوجه إلى الثابت والنصوصيّ والماضي، والمزيد من الثابت والنصوصي والماضي، فيما الملاك في الثاني لإدارة الوجه إلى المتغيّر والمفارق والمستقبلي، والمزيد من المتغيّر والمفارق والمستقبلي. ولا مجال لمنطقة وسط.

سيمر وقت طويل إلى أن يدرك شياطين العرب، شياطين الفلاة، وشياطين الصور التي تتلون، فتضلل الناس وتهلكهم، أهمية قراءة الاشتغال الفني، بأنواعه، بناء على التفريق المذكور. وسيمر وقتٌ طويل، إلى أن يدركوا، خطأ احتكار الفضاء العام لمشروعية واحدة؛ حتى ولو كانت المشروعية هذه، هي المشروعية الدينية، بما فيها من إطلاق وماوراء. وإلى أن يأتي الوقت هذا، علينا أن نستقبل بقلبٍ مصطبر مزيداً من النهَضَات الشعبوية، الغبية والحمقاء.

عاد الغول!.

هو الذي رأى كل شيء

نورة الشيراوي – البحرين

كما خرج أرخميدس من حوض الماء بعد اكتشافه قانونه الشهير وهو يصرخ وجدتها هكذا اندفع ٢٩ نائبا إلى التصويت على تشكيل لجنة التحقيق بشأن ما أسموه بالتجاوزات المخلة في عرض قيس وليلى. قد لا أدعو وقد لا أوافق على تقديم مثل هذه العروض وللأسف لم أكن هناك حتى أستطيع إبداء رأي واضح صريح عن الموضوع ولكن القضية لم تخرج عن كونها موقفاً عابراً لا يستدعي كل هذه الإثارة والتهويل وتكفي إشارة إلى وزارة الإعلام أو إلى القائمين به بالحرص على تفادي مثل هذا العروض.

بودي لو صوت عشرون نائبا بنفس الاهتمام وبنفس هذه الحماسة لما يسمى بيوت الإسكان وكأن الذين دفعت بهم ظروفهم إلى السكن بها ليسوا بشراً وليسوا مواطنين لهم حقوقهم وواجباتهم على أرض هذا الوطن. أشياء كثيرة ملحة وضرورية تستدعي حضور هذه الأصوات ليس من بينها موقف عابر في حفل انتهى بانتهاء عرضه لقد عرف شعب البحرين بأنه "شعب البندر"، استقبل كل الأمم وعاش كل الديانات ومازال. وعرف وأدرك في تاريخه الخير والشر، ومازال هو الشعب الحريص على دينه وتقاليده وقيمه. "هو الشعب الذي رأى كل شيء" وليس جلجامش (١) وحده وإذا فلا داعي لكل هذه الضجة المفتعلة.

عندما قدم المبشرون وفكروا في افتتاح مستشفى في بلد لا يوجد فيه طبيب واحد وأراد المغفور له الشيخ عيسى الكبير تقديم أرضٍ لإقامة المستشفى، اهتزت المنابر وتعالت الخطب وثارت الهمم حفاظاً وحرصاً على الإسلام. وقال شعب البحرين كلمته وأعلن في تردده على المستشفى وأطبائه موقفه الحاسم الخطير في ولاية الفقهاء: "لكم دينكم ولي دين" وصدق الله العظيم. عندما ذهب الشعب في يوم ممطر للإدلاء بصوته في الانتخابات كان يريد أن ينتخب نوابا يتحدثون باسمه ويؤمّنون له الحياة الكريمة ولم يذهب لينتخب أوصياء على دينه وخلقه. أحد نوابنا الكرام أعلن أن ربيع الثقافة هو "ربيع السخافة".

وهذا اللغط المسجوع يشمل كل المتفرجين. عندما تتمرغ في الوحل فأنت موحل شئنا أو أبينا. وإذا ماذا يعنى هذا.

هناك من يقول إن التجربة البرلمانية بحاجة إلى سنوات من الخبرة والإعداد. لا بأس بهذا. ولكن الكاتب اليوم لا يدبغ الجلد الذي يكتب عليه، ولا يصنع الحبر الذي سيكتب به. والطبيب لا يصنع الدواء لمريضه. الأمور تتغير بضراوة وإذا فالتجربة البرلمانية لا تحتاج إلى سنوات من الإعداد، ولكنها بحاجة إلى شيء من الجهد والإطلاع على خبرات الشعوب لابد من حراك فكري وذهني. فحياة أي فكر لابد لها من هذا الحراك افتعال الأزمات والمواقف من قبل النواب لا يحترم أحد. ووصف نشاطات وإبداعات أي شعب من الشعوب أيا كانت من السلبيات والإيجابيات بأنه سخف من السخافات هو شيء لا يمكن وصفه أو المرور به في صمت. وهناك لفتة للخطاب لا يجب تجاوزها.

وبعد لابد من التواصل مع الآخرين في مجتمعاتهم وثقافتهم وبهذا تنمو الشعوب تتعلم وتتطور الحقيقة وليس الوهم والانفتاح وليس الرعب والابتعاد والتشرنق.

في تاريخ البحرين سنتان شهيرتان هما "سنة الرحمة" و"سنة الطبعة" وفي تاريخ المجلس النيابي سنة واحدة هي سنة نانسي عجرم فهل يصبح ما تبقى من سنة ٢٠٠٧ هي سنة قيس وليلى.

(١) يطلق على جلجامش أنه "هو الذي رأى كل شيء".

منتخبون ضد الحرية

محمد فاضل – البحرين

يزعم الاسلامويون المتدينون أن الإسلام ليس فيه كنيسة عندما تستفزهم كلمة مثل " المؤسسة الدينية في الإسلام" أو انتقاد سعيهم للهيمنة على كل شيء وضبط حياة الناس بالمسطرة والدقيقة والثانية عبر تدخلهم في كل تفاصيل الحياة العامة والخاصة للناس حتى داخل بيوتهم (امنعوا هذه القنوات التلفزيونية وتلك).

الحق أنهم لا يلحظون في جوابهم على عدم وجود كنيسة في الإسلام أنهم يمارسون الهيمنة نفسها التي كانت تمارسها الكنيسة وبنفس الأدوات وبنفس المنهج ونفس النتائج. المنطق بسيط في كلا الحالين: منطق الحلال والحرام وأداة القياس والمحاكمة واحدة: التعاليم. في تبرير سعيهم للهيمنة، كان قساوسة الكنيسة ورهبانها يرددون أنهم يخشون على أخلاق العامة من الناس.

انه نفس المنطق الذي يستخدمه الاسلامويون في سعيهم المحموم للرقابة والهيمنة على كل شيء: الحفاظ على أخلاق الناس. لا ندري أي مؤمن هذا الذي يخشى عليه من برنامج تلفزيوني عابر، أو مشاهدة شعر فتاة في الشارع. وعلى ذكر الفتيات والنساء، هل تتذكرون ضجيج الحشمة الذي أرادوا من خلاله وضع قيود على ملابس الطلاب والطالبات في الجامعة. كان نقاشا عقيما إلى ابعد الحدود لكن سؤالا واحدا غاب عن الجميع في غبار تلك المعركة: من هو أكثر هوسا بالنساء وأجساد النساء..؟ أصحاب المقترح والضجيج أم معارضيهم؟. هذا الاهتمام بتفاصيل ملابس النساء وشعورهن ومشيتهن والكيفية التي يتحدثن بها أو يتصرفن بها ألا يدل على هوس غير طبيعي (مفردة مخففة لكلمة مرضي) بالنساء وأجساد النساء؟. ألا يدل هذا التدقيق غير الطبيعي بالتفاصيل الصغيرة في ملابس النساء واشكالهن بهوس غير طبيعي بالنساء وأجساد النساء؟. تذكروا إنكم ستجدون هذه التفاصيل أو بالأصح الهوس غير الطبيعي بالتفاصيل في أكثر من مكان وأكثر من جدل وأكثر من اقتراح. هذا الهوس بالتفاصيل والانتقائية ليس سوى دليل على نوع من الناس يملكون دوافع مرضية للتلصص والوشاية. على هذا يمكنكم النظر إلى مقترح مثل إنشاء هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باعتباره أوضح دليل على هذه الدوافع لأنه لا يتطلب إلا جيشا من الوشاة والمخبرين لمراقبة الناس في الشوارع وإحصاء أنفاسهم، والهدف هو نفسه: ضبط أخلاق الناس.

ومثلما كان قساوسة الكنيسة في القرون الماضية يملكون جوابا واحدا للرد على التساؤل عمن فوضهم لكي يمارسوا كل هذه الوصاية على الناس، فإن الاسلامويين لديهم نفس الجواب: الدين. المنطق هو نفسه، فالتدين والانتساب إلى الكنيسة أو مؤسسة دينية أو حزب يكفي للحصول على تفويض ذاتي لفرض الهيمنة والرقابة.

انظروا إلى الكيفية التي تعمل فيها عقلية الرقابة والهيمنة على الناس وضبط أخلاق الناس: انتقاء مشهد أو اثنين من عرض موسيقى وشعري كامل ضمن برنامج منوع يمتد شهرا وأكثر لإقامة محاكمة لشاعر وفنان موسيقي عبر محاكمة مشهد واحد أو اثنين.

محاكمة تذكرنا بكل محاكمات المبدعين عبر التاريخ، أولئك الذين أحرقتهم الكنيسة واتهمتهم بالهرطقة قبل أن تأتي بعد قرون لرد الاعتبار لهم. محاكمة تذكرنا بالعداء المتأصل الذي يكنه المتدينون للعلوم والثقافة والفنون ولكل ما هو خارج إطار الدين. ومثلما لم تفلح الكنيسة عبر مساعيها للهيمنة المطلقة وضبط حياة الناس بالمسطرة والدقيقة والثانية وأشاعت العداء لها وللدين نفسه في مجتمعات أوروبا، فإن الاسلامويين وهم يقتفون طريق قساوسة القرون الوسطى يفعلون الشيء ذاته وسيقودون المجتمعات إلى الطريق نفسه.

السبب جد بسيط ولا يتعلق بالإسلام ولا بالدين نفسه، بل يتعلق بهم أنفسهم. إنهم لم يفهموا بعد أن " القسر" و"الإكراه" هو ما ينفر الناس منهم شخصيا في البداية. القسر والإكراه كان خطأ الكنيسة التاريخي، وطالما عاندوا وكابروا فإن النفور يمتد لاحقا إلى الدين نفسه طالما أنهم يمارسون قسرهم وإكراههم باسم الدين. ثمة غيرة على الأخلاق تشعرنا بأن الأخلاق والدفاع عن الأخلاق ليس سوى حق حصري للمتدينين. فغيرهم لا أخلاق له وكان أولئك الذين احتشدوا يومين لمشاهدة العرض وكانوا بالمئات لا أخلاق لديهم ولا دين ولا ضابط.

الآن ليقل لي أولئك الذين اقترحوا تشكيل لجنة تحقيق وأولئك النواب الذين نافحوا عبر الصحف عن موقفهم هذا: هل يعتبرون كل أولئك الذين حضروا العرض واحتشدوا ليلتين متتاليتين بالمئات مطعونا في أخلاقهم؟ الحق أيضاً، انه مثلما فشلت الكنيسة في فرض لون واحد على مجتمعاتها، فإن العبرة هنا واضحة: لا يمكن فرض لون واحد على أي مجتمع. هذه عبرة التاريخ ولقد اختار هؤلاء اخطر الوسائل لفرض وصايتهم وقسرهم وإكراههم: محاربة الأدب والثقافة والفنون.

سيجد هؤلاء مقاومة لن تتوقف وهم أيقظوا الآن نوازع المقاومة لدى الجميع من نوع الحياة التي يريدون أن يفرضوها على الناس. وإذا كانوا سيردون بجوابهم المعهود وهو الطعن في أخلاق معارضيهم ومنتقديهم وتكفيرهم، فإن هذا ليس سوى الطريق الذي سار عليه قساوسة العصور الوسطى. منطق التكفير بسيط للغاية لكنه لا ينم عن أي ذكاء ولا إحساس بالمسؤولية بل فيه قصر نظر فظيع. وهو رد كفيل بزيادة المقاومة ضدهم لأن الكرامة البشرية عنصر ساقط من حسابهم طالما أنهم أعطوا أنفسهم الحق في توزيع شهادات الكفر والإيمان بمجانية تفوق الوصف. الكرامة التي لا يستفزها أكثر من محاولة شخص أو جماعة فرض شيء عليها ضد قناعاتها. أي باختصار شديد معنى الحرية نفسه. وإذا تلعثمت الحكومة كعادتها ولم تقدم جوابا واضحا حول حماية الحرية الفردية المنصوص عليها في الدستور، في التفكير والمعتقد والرأي والثقافة والفنون والبحث العلمي، فإنها ستواصل جرنا إلى الكارثة.

ماذا بقي الآن لكي لا نقارن هيمنة الكنيسة في القرون الوسطى بالهيمنة التي يسعى إليها الاسلامويون المتدينون؟. يريدون الهيمنة على كل شيء، أما القول بأنهم يمارسون حقهم كنواب منتخبين مفوضين ففيه مغالطة تفصح عن عصاب. فهذا الجواب لا يقول إلا أن السعي للهيمنة والوصاية على الناس يتم بأداة دستورية. يفوتهم هنا أن الأخلاق ليست من اختصاص المجالس التشريعية. الفن والأدب لا يحاكم في المجالس التشريعية بل لا يحاكم أبدا: ينطلق ويطـرح نفسـه على النـاس وهم الأجـدر بالحكـم عليـه مـن دون وصايـة من أحـد: يتقبلونه، يرفضـوه، ينتقـدوه، يتعلقـون بـه أو يطـرحـونه جانباً. هذا هو المعنى الوحيد لحرية التفكير والرأي.

الأبواب الخلفية للتاريخ

عيسى الشايجي – البحرين

هذا ليس اصطيادا في المياه العكرة، و ليس تخريجة، و ليس تملصا أو فذلكة، و ليس طعنا أو ازدراء، و لكنه سؤال مشروع يحق لنا أن نتداوله تحت أي تصنيف تريدون.

سؤالنا الذي نوجهه إلى السادة النواب هو: لماذا لم يلتزم مجلس النواب و يتقيد بلائحته الداخلية التي تنص المادة ١٦١ منها من الفرع السادس، بند طلبات التحقيق، على ما يلي: "تتخذ الإجراءات المقررة في المادة السابقة بناء على طلب مكتب المجلس أو إحدى لجانه، أو بناء على اقتراح مقدم من خمسة أعضاء على الأقل. و يختار المجلس اللجنة أو العضو الذي يقوم بالتحقيق بناء على ترشيح رئيسه، مع مراعاة التخصص و الخبرة في الموضوعات التي يجري بشأنها التحقيق". و هنا نتساءل: هل راعى مجلس النواب "التخصص و الخبرة" عندما شكل لجنة التحقيق في موضوع "ربيع الثقافة"؟! كيف تنصبون محكمين و قضاة و محققين في موضوع بعيد عن تخصصاتهم التي يعرفها الجميع، في موضوع يتعلق بالوجدان و المشاعر و الأحاسيس الإنسانية؟

إن الثقافة ليست جسدا و ليست حسابات بنكية و ليست معادلات رياضية أو كيميائية. إن الثقافة روح تسمو فوق كل ذلك، هي روح الحياة، فكيف ستحاكمونها و من سيحاكمها؟ لقد أعلنا رفضنا لمحاكمة الثقافة بكل وضوح و صراحة، و بالمثل فإننا نرفض هيئة المحاكمة التي شكلتموها لكي تحاكم الثقافة من منطلق مبدئي، و أيضا من منطلق ما تنص عليه لائحتكم الداخلية باعتبار أن لا أهل اختصاص بين أعضاء "الهيئة"!!

هل لدى أعضاء هيئة المحكمة النيابية دراية كافية بالموسيقى أو الشعر أو فن الإخراج و التعبير، و هل فيهم أحد شاهد أو حضر عرض "مجنون ليلى" حتى ينصبون أنفسهم قضاة؟! كما أننا نريد أن نتعرف على طبيعة الأسئلة التي سيطرحونها أثناء التحقيق: هل ستتعلق بالفن أو عن قيس و ليلى و الحب، و كيف كانت سياقات الموسيقى و الشعر مع اللوحات التعبيرية. من سيتصدى لمثل هذه الأمور، و من سيستوعبها إذا لم يكن من أهل الاختصاص؟!

مرة أخرى نقول إننا لا نوجه اتهامات و لا نزدري، و لكن من حقنا أن نتساءل: من سيحاكم الثقافة؟ لأنها ستكون محاكمة ستخرجنا من الأبواب الخلفية للتاريخ، بعد أن كنا دائما ندخل التاريخ من أبوابه الأمامية و لا نخرج. و هذا وحده يكفي لكي نعرف من سيقودنا عبر هذه الأبواب، و نحن نداري وجوهنا خجلا من الآخرين!

ثقافة محاكم التفتيش بين جيلين

سعيد الحمد - البحرين

في ذلك الصيف التسعيني الحار، عندما انطلقت الرصاصات إلى قلب فرج فودة وأردته قتيلا في الحال، كان "الحادث الجريمة" فاصلا بين مرحلتين في تاريخ ثقافة محاكم التفتيش وهي الثقافة التي دفعنا ومازلنا ندفع ثمنها غالياً ومكلفاً.

ففي منتصف العشرينات ومشارف الثلاثينات من القرن الماضي وبرغم الوجود الفاعل لثقافة محاكم التفتيش، لم تصل الأمور إلى حد ارتكاب جرائم التصفية والقتل علنا أو حتى سرا كما جرى في نهاية القرن وبدايات القرن الجديد، حيث تحولت ثقافة محاكم التفتيش إلى جهات تنفيذ للأحكام التعسفية الصادرة من تلك المحاكم تجاه المثقفين والمفكرين المختلفين. فالشيخ علي عبدالرازق صاحب المؤلف المثير للجدل" الإسلام وأصول الحكم" و د. طه حسين ومؤلفه في " الشعر العربي"، بالرغم مما تعرضا له من هجوم حاد وغير منطقي من ثقافة محاكم التفتيش إلا انهما لم يتعرّضا إلى محاولات اغتيال وتصفية وذبح كالتي تعرض لها فودة ومحفوظ وعشرات غيرهما اختلفوا في زمن بلغت فيه ثقافة محاكم التفتيش ذروة جنون انفلاتها بلا حدود وبلا قيود، فتجاوز طوفانها المدمر كل قانون وكل معقول وكل مقبول، بما ينبئ عن فوضى التدمير والتقتيل وبما يكشف حجم انتشارها ودرجة تنفذها اجتماعيا ووجدانيا وشعبويا.

والكارثة أن ثقافة محاكم التفتيش منذ نهاية العقد الماضي ودخول الألفية الجديدة، أصبحت لا تشكل محاسبا ورقيبا ومحاكما للمثقفين والمفكرين فحسب، بل أنها فرضت سطوتها حتى على الرأي العادي والبسيط المتداول بين الناس كفكرة أو مجرد سؤال، و بما جعل الناس يترددون ويخافون ويرتعبون بأقصى درجات الرعب والرهبة من طرح رأيهم الخاص والتعبير عن مكنونات أنفسهم خشية أن لا يُعجب محاكم التفتيش، فتنال منهم تشويها وهجوما.

هذه السطوة المرعبة من محاكم التفتيش هي هدف من مجموعة أهداف مشروع الهيمنة والاستحواذ. فعندما تصبح محاكم التفتيش وصية على الآراء، وعندما تغدو سلطة بالمعنى الحقيقي للسلطة، فتسيطر على الرأي وعلى الثقافة وفق منهجيتها واستراتيجيتها، يصبح الوعي العام الجمعي والجماعي تحت مظلتها تماما بما يسهل عملية استغلاله واستخدامه كأحد أهم الأسلحة في إقصاء وإلغاء ومصادرة آراء الكتاب والمثقفين والمفكرين المختلفين بحيث يصبح الرأي العام الجمعي مؤيدا لإجراءات محاكم التفتيش ولأساليبها، وإذا لم يؤيد علنا فلا أقل من تحييده سلبيا وتهميشه وكأن ما يجري للمثقفين المختلفين أمر يستحقونه لأنهم امتلكوا جرأة المخالفة التي لا تجوز مع ثقافة محاكم التفتيش، وبالتالي فإن ما ينالهم من تنكيل وتدمير استحقاق طبيعي لأنهم غامروا برأي آخر.

من الناحية السوسيولوجية، ثقافة محاكم التفتيش فرضت وجودها وهيمنتها والأخطر أنها فرضت فكرها. والمثقف المختلف مع هذه الثقافة أصبح مبذولا لكل أنواع القهر والتشهير ولكل أشكال الهجوم. ولذلك فإن المثقف المختلف والمغاير متى ما خرج من دوائر النخب وواجه الجمهور فإنه معرض لأبشع وأقذع أشكال الهجوم على شخصه وشخصيته، حيث ستنهال عليه اتهامات الصغار ثقافة وفكرا بشكل لا يليق وبشكل استفزازي واضح، ينم عن جهالة جديدة تحرض المثقف على صدام لايجيده ولا يريده. وهذا ما حدث مع أكثر من مفكر أقام محاضرة أو ندوة عامة استغل عموميتها جمهور ثقافة محاكم التفتيش، فجاءوا معبئين ومجيشين ومستعدين لاستفزاز هذا المفكر وجره بشتى الأساليب للدخول معهم في صدام يريدون أن يتطور إلى اشتباك حقيقي بالأيدي، بل وبكل ما تطاله الأيدي من أدوات لعلهم يلقنونه درسا جسديا فيمتنع عن المضي في دربه وطريقه ويتراجع خوفا وخشية على حياته من أسلوبهم القائم في النهاية على الإرهاب.. إرهاب المثقف المغاير بالهجوم الشخصي عبر اتهامات التكفير والتأثيم، وإذا لم تنفع ولم تدفع به إلى التراجع لجأوا إلى الهجوم وفتح معركة بالأيدي علها تجدي معه.

هل نفتح هنا السؤال الكبير عن دور الأنظمة في ضبط انفلاتات وتطرفات أصحاب محاكم التفتيش، وقد بدأوا اللعبة المكشوفة في الخروج العلني وغير العابئ بالقانون الذي وضعته، وقامت على حراسته وتطبيقه الأنظمة العربية!! لعل السؤال يكشف عن طبيعة العلاقات وطبيعة التحالفات وطبيعة الأوهام التي استغرقت فيها الأنظمة العربية نفسها عندما ظنت وبعض ظنها إثم وخطأ، أن قوى محاكم التفتيش هي التي ستحميها، فإذا بها تبدأ بالانقلاب على قوانينها بما يعني فيما يعنيه الانقلاب على النظام المدني بكامله. الآن محاكم التفتيش قطعت شوطا في مشروعها. فلها الهيمنة ولها القوة والسطوة أن تسقط مناهج في التعليم العربي وتفرض مناهجها أو تلك التي تخدم توجهاتها. ولها القوة والسطوة أن تسقط وأن تمنع مشاريع ثقافية رسمية وحكومية في أكثر من بلد عربي، وأن تحرك شارعها حتى تمنع وتسقط وتتوقف تلك المشاريع الفنية والإبداعية والثقافية والفكرية التي تعترض عليها باسم الدين حيناً وباسم العادات والتقاليد أحيانا وهي في الواقع تعترض عليها لأنها مختلفة عن برنامجها السياسي، وأجندتها الثقافية وتشكل عائقا لمشروعها الخاص.محاكم التفتيش وثقافة محاكم التفتيش ليس أمرا طارئا وليس نزعة أو نزوة ثقافية واجتماعية.. ولكنها تأتي في سياق مشروع ممنهج.. هو بالأساس مشروع سياسي يسعى حثيثا لإقامة "الدولة الدينية" بديلا" للدولة المدنية".

لا لثقافة الاكتئاب

علي سيار – البحرين

يريدونها لوناً واحداً.. إمّا أبيض وإمّا أسود.. وفي العادة هم يختارون الأسود، ويرفضون كل ما عداه من الألوان! ولذلك هم شنّوا هجومهم على " ربيع الثقافة".. فقط لأنهم يكرهون شيئاً اسمه الفرح، ويستطيبون بدلاً من الفرح، حالة الاكتئاب.... وربما تمنّوها لو تقيم بينهم إلى الأبد!

قد نغفر للبعض جهلهم بأبجدية الثقافة.. ولكننا لا يمكن أن نغفر لأناس يحتلّون مواقع في مجلس نيابي، يفكّرون بذات العقلية التي يفكّر بها عامّة العامّة من الناس، الذين تُؤدلج لهم الأمور وفقاً لمستويات حالة الكآبة عندهم... ولو قلت لأيّ من هؤلاء بأنّ السماء غائمة – وهي غائمة بالفعل – وأنها يمكن أن تمطر، فإنه – ومن باب الاختلاف المسيّس لا غير – سيقول لك بأن ذلك محض وهم، فلا غيم هناك والسماء لن تمطر.. بل وحتّى لو هي أمطرت ورآها رأي العين، وهي ترشّ وجهه وثيابه، فإنه سيظلّ على موقفه، وسيقول لك بأن ما تحسبه أنت مطراً، إن هو إلاّ من فعل الجن أو شيء من وهم!

هؤلاء حبسوا الإسلام المنفتح والمتسامح في قفص ضيّق، وحبسوا أنفسهم فيه، فتراهم لا يلبسون إلاّ الثياب ذات اللون الواحد، ولا يتحدثون إلاّ بخطاب واحد، وربما هم لا يقرؤون إلاّ كتباً منسوخة من كتاب واحد! وإلاّ فما العيب في " ربيع الثقافة"، وقد كان واحداً من أجمل وأنجح المهرجانات الثقافية التي عرفتها مملكة البحرين، فقد كان أشبه بسلّة فواكه طازجة من كل لون ومذاق.. من الشعر، إلى الموسيقى، إلى الرقص الراقي، إلى الفن التشكيلي، إلى المسرح وبقية الفنون الأخرى!

هذه السلّة العامرة بكل الألوان والمذاقات الثقافية، هي وحدها التي يعشقها المثقف البحريني الناضج.. وليس المكتئب!

الرجعية تلتهم مكتسبات الوطن
عبدالله الأيوبي – البحرين

لم يكن رأس مجنون ليلى هو المطلوب من قبل لجنة التحقيق التي شكلها مجلس النواب مؤخرا وليس ربيع الثقافة هو الهدف الوحيد الموضوع على أجندة القوى الرجعية التي التمت في جمع يمكن القول باستحالة حدوثه في هذه الظروف بالتحديد، وتناست كل خلافاتها الطائفية واتفقت على تشكيل تلك اللجنة، وإنما هذا الربيع ما هو إلا حلقة واحدة من سلسلة حلقات وضعت ضمن أجندة القوى الرجعية الكهفية فكانت أن وجدت في مجنون ليلى مدخلا أرادته بداية لهجوم شامل على كل شكل من أشكال الحداثة والإبداع.

فهذه القوى قد نصبت نفسها عدوا لدودا لكل ما يتصل بالحداثة إن كان على المستوى الثقافي أم الاجتماعي وحتى السياسي أيضا. فالقوى الرجعية أينما كانت وفي أي مجتمع وجدت، فإنها من المؤكد في مرحلة أو محطة من المحطات سوف تخرج في وجه كل حركة تحديثية وإبداعية لأن هذه القوى تحمل في باطنها نقيض الحداثة والتطور. فباسم الدين والعادات والتقاليد يريدون قولبة المجتمع وفق معتقداتهم وقراءتهم الذاتية للدين وفهمهم للعادات والتقاليد ويسبغون عليها القدسية التي لا تمس حتى لو كانت هذه العادات والتقاليد تشكل عقبات أمام تطور المجتمع. ألم يحاربوا في فترة من الفترات تعليم البنات باسم العادات والتقاليد؟ ألم يضع بعضهم أياديه في أيادي واحدة من أكثر القوى الدينية رجعية وتخلفا، وهي حركة طالبان الأفغانية؟

ما نشهده الآن من هجمة شرسة منظمة يقودها مختلف قوى الإسلام السياسي ضد الحركة الثقافية ما هي إلا واحدة من الهجمات التي من المؤكد أنها قادمة ضد حقل آخر من حقول المعرفة والإبداع وكل شكل من أشكال الحداثة. فهذه القوى تريد منا جميعا أن نشرب ما تفضل شربه وأن نأكل ونلبس كل ما تفصله لنا عقولهم وأفكارهم، فهذه القوى أعجز من أن تقبل بالرأي الآخر وبالتعددية الفكرية والسياسية، وهي إن قبلت بها في الوقت الحاضر، سواء عندنا في البحرين أم في بلدان أخرى، فمرد ذلك أنها بحاجة لهذه الوسيلة كي تحقق برامجها الاقصائية والاستئصالية تدريجيا وعبر القنوات الشرعية. فهي إذ " تقبل" وتشارك في مؤسساتها المختلفة، ولكنها في الوقت نفسه لا تستطيع أن تتعايش مع التعددية الفكرية والاجتماعية والسياسية.

إن ديمقراطيتها هي الاستئصال وفرض الرأي الواحد والنمط المعيشي الذي تؤمن هي به من دون غيرها. فالمؤسسات الديمقراطية في هذه الحالة بالنسبة إليها مطلوبة لتحقيق هدف الاستئصال وشطب الآخرين من على الساحة الفكرية. وما يحدث الآن لربيع الثقافة وتكالب قوى الإسلام السياسي المختلفة مذهبيا، يؤكد هذا التوجه ويثبت أن المرحلة القادمة حبلى بالكثير من الطعنات التي ستوجهها هذه القوى لكل عمل تراه لا يتماشى مع فهمها ومعتقداتها.

في مواجهة مثل هذه الهجمة الشرسة على التنوع والفسيفساء الاجتماعية والفكرية والثقافية في البحرين، فإن القوى التحديثية مطالبة بالوقوف صراحة ومن دون تردد لرد هذه الهجمة وحماية كل المكتسبات التي تحققت لشعبنا على مدى عشرات السنين. فالهدم ليس بحاجة إلى قوة جبارة ولا إلى جهود جماعية، وإنما مخرب واحد يكفيه يوم واحد لأن يدمر كل ما أنجزه آلاف البشر في عشرات السنين. وما يحدث عندنا الآن هو تخريب حقيقي لكل ما حققته البحرين من مكاسب اجتماعية وثقافية على مدى عشرات السنين. فالقوى الرجعية الاستئصالية الكهفية قد كشفت من دون مواربة أو تضليل عن جوهر نظرتها إلى مفهوم الحداثة والإبداع والتعدد، فإذا كانت اليوم قد بدأت بربيع الثقافة وبفرع من أسمى فروعها وهو المسرح، فإن الغد يحمل في طياته ملفات ربما تكون أخطر في تحديها وتهديدها هذه المكتسبات.

ان القوى الرجعية الاستئصالية لا تكشف أجنداتها دفعة واحدة، وإنما تنفذ برامجها وفق تسلسل يأخذ في الحسبان مدى تهيؤ الظروف والمناخ الداخلي لإنجاح تلك الأجندات. ونحن هنا نضع جزءا من اللوم على السلطة التنفيذية التي فتحت أمام هذه القوى كل الأبواب لتمارس تشنيعا وتشهيرا بكل أشكال الحداثة الاجتماعية والثقافية.

تحفظ السجلات الكثير من تجارب القوى المشابهة في دول أخرى ونؤكد كيف أن هذه القوى حين يقوى عودها وتتمكن من التغلغل في مختلف مفاصل المجتمع وأجهزته الحكومية والأهلية أيضا. إنها بكل تأكيد تلتف على غيرها من القوى والمختلفين معها حتى لو تطلب الأمر شطبهم من الخريطة المجتمعية، فهناك أجندة ذاتية يجب تحقيقها وليس مهما في سبيل ذلك أن تسير العربة على أجساد الآخرين ومعتقداتهم. ألم يقتالوا الرئيس المصري أنور السادات رغم أنه تحالف معهم ضد القوى التقدمية المصرية؟ ألم تشطب الثورة الإيرانية القوى التقدمية الإيرانية كلها وتصفي خيرة مناضليها مع أن هذه القوى شاركت بقوة في الثورة ضد الشاه؟

ربيع الثقافة ومجنون ليلى هما البداية والقادم أخطر إن لم نرتق بوعينا إلى الدرجة التي تمكننا من بناء سور قادر على مقاومة الزحف الرجعي الاستئصالي.

الدين و الثقافات و الإبداع و الفنون

فوزية رشيد – البحرين

على مدى ١٥ قرناً هي عمر الدين الإسلامي، كان الإسلام موجوداً ومزدهراً، وكانت الثقافات والإبداع والفنون موجودة ومزدهرة في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي. ولم يتم قط الخلط بينهما إلا في فترات تاريخية محددة آخرها بعض فترات القرن الماضي، حيث سلط الدينيون من مدارس فكرية دينية متشددة تدخلهم، وأحيانا بشكل فج، في كل ما ينتمي إلى الثقافة، فتمت محاصرة العديد من الروايات والفاعليات، وكاد نجيب محفوظ، ابرز الروائيين العرب، أن يدفع حياته ثمناً حين تعرض للطعن في رقبته بسبب فتوى من أحد الأمراء المتعصبين ضد روايته "اولاد حارتنا". ثم جاء اعتراف الشاب الذي حاول اغتياله، بأنه لم يقرأ الرواية، وإنما انساق بشكل أعمى وراء فتوى أمير الجماعة.

قبل ذلك وبعده توالت حركات الرصد والترقب والمطاردة، لعدد كبير من المبدعين في الوطن العربي من دون الاستناد إلى رؤى فكرية أو نقدية مقنعة، وإنما لمجرد محاولة حشر الدين وتفسيره من منظور محدد في الرقابة على الثقافة والإبداع، وعلى المثقفين والمبدعين. وبقدر ما الدين هو حاجة فطرية طبيعية تصل إلى حد الضرورة، لخلق توازن قيمي (من القيم) لدى الإنسان، بقدر ما هذا الإنسان بحاجة بشكل فطري وضروري إلى المعطيات الثقافية والإبداعية والفنون الراقية، طالما تلك الثقافات والإبداعات لا تعمل على الإسفاف وعلى الانحدار بالذائقة الإنسانية والوعي الإنساني نحو مدارك ظلامية، أو مدارك متردية. ورغم ذلك فإن نقد الثقافة والإبداع، فيما إذا كانت هناك مآخذ نقدية أو فكرية، لا يتم إلا بالأداة الثقافية والأداة الإبداعية النقدية، وليس بالمقياس أو الأداة الدينية، لأن الفكر والوعي الدينيين لهما مساحات اختلافية واضحة في النظر إلى الثقافة ما بين رؤى مستنيرة ورؤى دينية مسطرية ضيقة لا تصلح لقياس الإبداع من خلال منظارها هذا.

من جهة أخرى وبقدر ما نحن ضد إلباس الثقافة والإبداع اللباس الديني، بقدر ما نحن أيضا ضد أي إسفاف ثقافي أو إبداعي أو فني، وهو الجانب الذي يحاربه المبدعون والمثقفون أنفسهم، حين يتم أحيانا ارتكاب المجازر الأخلاقية باسم الفن، أو الانحطاط الفكري باسم الفكر وباسم الثقافة. لذلك فإن كلا التوجهين خاطئ: استغلال الفن والثقافة للانحدار بالوعي الإنساني، والتوجه الثاني الحكم على ما هو ثقافي وإبداعي بمقياس ديني لا يعطي للثقافات والفنون مكانتها الحقيقية في تطوير الوعي الإنساني والوعي المجتمعي.

ولكن في كل الأحوال يبقى حق التعبير وحق الاختلاف في المجتمعات حقاً محفوظاً، طالما كانا مقرونين بالإحساس بالمسئولية. كما أن حق التنوع في الرؤى والمشارب الفكرية حق محفوظ من خلال المجالات الإبداعية والثقافية والفنية حين يرتبط دورها بدور هادف في المجتمع. ومن هنا نأتي لنتطرق مجدداً إلى ذلك المؤشر الخطير، حيث تشكيل لجنة تحقيق برلماني ديني بحكم انتماء النواب لعمل إبداعي هو "مجنون ليلى" وبكل ما هو معروف عن إسهامات قاسم حداد الشعرية في خريطة الثقافة البحرينية، وما هو معروف عن إسهامات " مارسيل خليفة" الفنية في خريطة الفن العربي الجاد والملتزم بالقضايا النضالية للإنسان العربي، لهو من مؤشرات التدخل الديني الملتبس في الثقافة. ومن دون تحديد عناصر الخلاف والاختلاف، وحيث المساحة الإبداعية والفنية في تناول قضايا الإنسان وهي في "مجنون ليلى" قضية الانتصار للحب في زمن الحروب، فإن تلك المساحة لا يمكن إخضاع عناصرها الفنية لمسطرة فكر ديني محدد، لا علاقة لأصحابه لا بالثقافة ولا بالإبداع، ولا بالأساليب الفنية في إيصال الفكرة سواء عبر المباشرة أو عبر الترميز الفني. الأمر الذي يطرح الخطورة المبدئية في حق الثقافة والإبداع، إذا كان قياس القيمة الفنية سيأتي من منظور ديني، يتم فيه توريط هذا المنظور في المجال الإبداعي، بحيث بعدها بالامكان أن يتخذ التحقيق استمراريته ضد كل ما هو ثقافي أو إبداعي حسب المسطرة الفكرية الخاصة لبعض الرؤى الدينية المتشددة متى ما تشاء. حينها لن يكون هناك مجال للإبداع أو للثقافة أو للفن، وإنما المجال سيكون مفتوحاً للفتاوى المضادة التي قد يترجمها البعض إلى سلوكات عنيفة ضد المبدعين، وهو ما حدث لنجيب محفوظ رغم تأثيره الكبير في الثقافة العربية.

وليس هكذا تورد الإبل يا نواب البرلمان، فإن كان لديكم مآخذ على أي عمل فني أو إبداعي فمساحات النقد الفنية والفكرية مفتوحة لكم، بشرط أن تقدموا وعيا فنيا وثقافيا متجاوزا للعمل الذي يتم نقده، لا أن تقدموا وعيا انغلاقيا في العلاقة مع ما هو ثقافي وفني.

إنهم يهددون الثقافة
عبدالله الأيوبي – البحرين

ليس مجنون ليلى هو السبب الذي طير عقل بعض القوى التي تسيطر على مجلس النواب ودفعها لتشكيل لجنة تحقيق برلمانية مستعجلة " لإنقاذ" عادات وتقاليد شعب البحرين من المس والضياع. فقبل مجنون ليلى الذي هو عنوان ثورتهم، سبق للقوى نفسها أن وصفت مهرجان ربيع الثقافة الذي نظم العام الماضي بربيع السخافة، وبالتالي ليس مستغربا أن تكرر القوى الدينية موقفها من مثل هذه الفعاليات ومن إبداع الإنسان سواء أكان مكتوبا أم مجسدا على خشبة مسرح. فالفكر الرجعي الإقصائي لا يستحمل أي إبداع يتجاوز منظوره الفكري أو الاجتماعي، و المتشددون يكرهون الصباح وما يحمله من معان تحفز في الإنسان مشاعره وتفجر طاقاته الإبداعية.

لقد ترك نواب المجلس النيابي كل القضايا التي تهم جميع المواطنين ووجهوا جل جهودهم وطاقاتهم لمحاصرة الثقافة تحت حجج العادات والتقاليد التي شبعنا من سماع ترديدها في الكثير من المناسبات. فإذا كانت السينما على سبيل المثال هي دخيلة على عاداتنا وتقاليدنا، والغناء والموسيقى هما في نظر القوى المتشددة لا يمتان بأي صلة لهذه العادات والتقاليد، مع أنهما من الفنون التي خرج من رحمها زرياب، فليس غريبا هنا أن تحشد القوى السياسية التي تحتل المجلس النيابي قواها للتصدي لهذا الربيع الذي أنعش رئة البحرين وأعاد إليها الحيوية بعد العديد من الهجمات التي تعرضت لها مختلف البرامج الانفتاحية من هذه القوى.

فوفق أجندة القوى المتشددة فإن أي نشاط لا يتماشى مع هذه الأجندة فهو معرض للمساءلة، لأن هذه القوى وبحكم تركيبتها الفكرية الإقصائية تريد أن تهيمن على عقول الجميع وأن تخضعهم لسطوتها، فقد تعودت هذه القوى وعودتها السلطات الحاكمة في العديد من الدول وعندنا أيضا، خاصة في الفترة الأخيرة على أن تعطيها اهتماما وتوفر لها ظروفا تفوق ما تستحقه، بل أن هذه القوى وبسبب المحاباة التي عودتها عليها السلطات فإنها تتمادى في مطالبها وتتفرعن في مواقفها الحقوق الشخصية معتقدة أنها تملك حق تحديد ما يجب علينا سماعه وما يجب علينا الامتناع عنه.

وبحكم الحق الدستوري الذي تتمتع به هذه القوى في البرلمان، فإنها تستغل هذا الحق لتكميم الأفواه وقتل كل شكل من أشكال الإبداع الإنساني الراقي، حتى لو صدر عن الشاعر الملتزم قاسم حداد ومن المبدع الوطني الأمين مرسيل خليفه. فالالتزام في نظر القوى المتشددة هو الانضواء تحت لوائها الأيديولوجي والعقائدي، أما خلاف ذلك فليس مقبولا مهما كانت أهدافه وتوجهاته. وهذا ما يؤكده التجييش والحشد البرلماني لهذه القوى ضد المهرجان الذي أثبت حتى الآن أنه من أكثر المهرجانات نجاحا على المستويين الوطني والخليجي.

فالدستور الذي أعطى لهؤلاء النواب حق المساءلة والتحقيق في أي قضية يريدونها هو الدستور نفسه الذي أكد حماية وصيانة الحقوق العامة والخاصة. وإذا كانت القوى المتشددة ترى في فعاليات مهرجان الثقافة ما يتعارض مع توجهاتها الأيديولوجية فليس ذلك يعني أن هذه الفعاليات تتعارض مع قناعات وتوجهات الآخرين، وما تقوم به من محاولات لوأد الفعاليات والمهرجانات التي لا تتماشى مع توجهاتها إنما هي في حصيلتها النهائية مصادرة وتعد على حقوق الآخرين.

على القوى المتشددة أن تفهم حقيقة واحدة شبه مطلقة وهي أن الحرية والحقوق ليست مفصلة على مقاس توجهاتها الأيديولوجية والعقائدية. فنحن هنا لا نتكلم عن الدين على الإطلاق ذلك أن بين هذه القوى نفسها اختلافات كثيرة وعميقة في المواقف من الكثير من القضايا، وبالتالي فحين نتحدث عن حقوق الفرد فيجب عدم إخضاع ذلك لمعتقدات هذه القوى وتوجهاتها المنافية لكل شكل من أشكال الحداثة والانفتاح والتقدم. لقد برهنت هذه القوى من خلال مواقفها من الكثير من القضايا الاجتماعية، ليس عندنا في البحرين فحسب وإنما في الكثير من القوى التي سنحت لها الظروف ووفرت لها السلطات هامشا واسعا جدا من الحرية ليس متاحا أمام غيرها من القوى، أنها تحمل برامج وأجندة غريبة وبعيدة كل البعد عما تمور به الساحة العالمية من تطورات على المستويات المختلفة.

إذا كانت الكلمة لم تسلم من سوط هذه القوى فكيف نتوقع أن تخرج الصورة كاملة الجمال من دون ضرر أو تشويه كما هو الحال الذي يتعرض له مهرجان ربيع الثقافة في بلادنا هذه الأيام؟

الانتفاضة ضد البرلمان .. لحماية الحريات الثقافية

سميرة رجب – البحرين

تناقلتها كل وكالات الأنباء، ونشرتها أهم إذاعات العالم، وسُطرت على كل مواقع الإنترنت، واتصل بنا زملاء من المثقفين العرب يتساءلون عن صحتها.. وهي أخبار اعتراض البرلمان البحريني على استعراض فني راقص جاء مرافقاً لشعر الشاعر قاسم حداد، وأنغام الموسيقي مرسيل خليفة، حضره المئات من الشعب البحريني على مدى ليلتين متتاليتين، تعبيراً عن شدة إعجابهم وطلبهم لهذه الفعاليات الثقافية التي باتت نادرة، بل مُفتقدة، في مجتمعنا المعروف باهتماماته ونشاطاته الثقافية المتنوعة ، وبثت بعض المحطات تفصيلاً للسلوك الاستعراضي الذي مارسه النواب للتعبير عن اعتراضهم هذا، بالصوت العالي والانفعال العصبي الذي وصل إلى حد القذف والتهديد للقائمين على مشروع ربيع الثقافة، بما لا يليق بممثلي الشعب.

ولإنصاف البحرين ووضع ثقافة هذا المجتمع في منزلتها الحقيقية، بات من واجبنا أن نثبت للعالم أن سلوك النواب في محاربتهم للحريات لا يمثل بأي شكل من الأشكال ثقافة المجتمع البحريني التي كانت طوال التاريخ منفتحة على مختلف الثقافات والفنون والحضارات، وكانت سباقة في تواصلها الثقافي مع كل أطراف العالم، مع تمسك هذا المجتمع بالإسلام وتعاليمه وعاداته وأخلاقه وآدابه بأحلى وأرقى الصور التي رفعت من شأن الإسلام على مدار أربعة عشر قرناً.. وإن تخلف البحرين عن هذا الركب خلال العقود الثلاثة الماضية كان نتاج سيادة ثقافة التطرف الديني الدخيلة على مجتمعاتنا لأهداف السياسة الدولية.

لم نقرأ في التاريخ الإسلامي، ولا في تاريخ الأوائل أي نوع من أنواع الرفض للفنون والثقافات التي حرمتنا منها تنظيمات الإسلام السياسي خلال العقود الماضية. وإذا كانت ذريعة النواب في سلوكهم هذا بأنهم ممثلو الشعب في التشريع، فعليهم أن يعلموا أن المثقفين هم ممثلو المجتمع حضارياً وثقافياً. إن انتفاضة البحرين المستمرة منذ أكثر من أسبوع، ضد قرار النواب مصادرة الحريات الثقافية، أثبتت أن ما صدر عن البرلمان كان محل استهجان ورفض جميع المثقفين البحرينيين، حتى عبّر العديد من القطاعات والفئات الاجتماعية والسياسية والثقافية اعتراضهم على سلوك وقرار النواب في هذا الشأن، وبات الأمر وكأنه «القشة التي قصمت ظهر البعير»، حيث نفد صبر المجتمع البحريني الذي دام طويلاً (ثلاثة عقود)، فأعلن انتفاضته ورفضه لما وصل إليه حال الثقافة والإبداع والحريات في البحرين في ظل سيادة ثقافة التطرف التي تريد أن تلون البحرين كلها باللون الأسود المعتم، وترفض أي لون آخر يدخل البهجة في النفوس.

إنها ثقافة التطرف التي يرفض أصحابها ثقافات الآخرين وإبداعاتهم وأية مسحة فنية أو جمالية تزيّن البلاد والمجتمع، معتبرين أنفسهم مالكي الصكوك الإلهية في تنظيم وتقويم سلوك البشر على الأرض، وإن الله بعثهم لحماية المجتمع ضد الرذيلة، ولولاهم لانغمس المجتمع بالفساد الأخلاقي.. وألغوا العقل الذي وهبه الله لبني البشر، وفرضوا على الجميع الحماية والتبعية لأصحاب الصكوك. ولربما يعد من أكثر مظاهر هذه الانتفاضة البحرينية تعبيراً، وقد أطلعني عليه مجموعة من الشباب، هو موقع على شبكة الإنترنت يقوم بالعد التنازلي للفترة الزمنية المتبقية من هذه الدورة الانتخابية، باليوم والساعة والدقيقة، كتعبير عن انتظارهم، بفارغ الصبر، لانتهاء مدة النواب الحاليين والتخلص منهم.. فكان نقاشا دار بيننا اكتشفت منه مدى سخط قطاع كبير من شبابنا، الصامت والمنشغل ببناء حياته المهنية والعائلية والاجتماعية بجد واجتهاد، على هذا الانفعال البرلماني المبالغ به ضد "ربيع الثقافة" الذي بدأ بإظهار هوية البحرين الثقافية الجميلة والبعيدة كل البعد عن التطرف الديني والتعصب المذهبي .. الثقافة الملتزمة بالجمال والتسامح والإبداع الفني الراقي وتأثيراتها في التخفيف من حدة التوتر السياسي المتفشي في المجتمع.. ثقافة الانفتاح على ثقافات وعادات وفنون الشعوب، ورفض العزلة (المرضية) المفروضة بين الرجل والمرأة في البحرين.

وكان هؤلاء الشباب، وبكل إخلاص وبراءة، يدافعون عن رأيهم بأن ما تم عرضه في تلك المسرحية الاستعراضية كان فناً معلناً وبريئاً، و "بات على المدافعين عن الأخلاق الحميدة أن يتجهوا للبحث عن الفساد المستشري بعيداً عن الأنظار.. ويبحثوا عن أسبابه".. هؤلاء الشباب من يجب أن ينتبه إليهم مفتعلو الأزمة ضد "ربيع الثقافة" وكل المشاريع الثقافية والفنية التي يتلهف لها الناس للاستمتاع والتعلّم ورفع مستوى الوعي والفن والجمال في المجتمع.. واحذروا المزيد من الضغوط، لأنكم لن تضمنوا ردة فعل المجتمع الذي شب عن الطوق والوصاية.

محنة مزاج البحرين الاجتماعي

عقيل سوار - البحرين

ما أنفع أن نتأمل في ضوء حادثة ربيع الثقافة، الطبيعة الخفية لكل المغالبات التي دارت من خلف فعاليات السياسة اليومية، منذ أطلق جلالة الملك مشروعه الإصلاحي بجسارة نادرة، أتاحت لكل الأطياف أن تتغالب بلا رادع تقريباً. فمن شأن هذا التأمل أن يفضي بنا إلى أن هذه المغالبات المغلفة بشؤون وشجون السياسة المباشرة، كانت تتمحور جوهرياً حول مسعى تزوير معنى مزاج المجتمع البحريني، تمهيداً لمصادرته وسرقته في وقائع سطو من جنس حادثة ربيع الثقافة.

الذين مازالت - وأظن ستظل لوقت يطول - لوثة تسييس المعاني تعصف بأدمغتهم، وتصبغ أيامهم ببطولات موهومة عن جهاد مقدس يسعى لتحصيل عدل وحق مضيع لا يمكن في الواقع تحصيله بين يوم وليلة بالوسائل الصحيحة، فضلاً عن تحصيله بوسائل إعجازية خاطئة قائمة على توهم ومكاذبة للنفس، هي بالضبط من جنس ما يزعمون عن صحوة إسلامية عصفت بضمائر الناس هكذا فجأة بلا مقدمات تسوغ هذه الصحوة تسويغاً يتفق مع سنة الحياة والتطور والفطرة السليمة للبشر.

هؤلاء سيرفضون هذا القول على الفور كما فعلوا دائماً، وسيقعده أحسنهم على مقاعد التبرير، وسيقعده أسوأهم على ما خلفها من مقاعد التخوين والتكفير والتسقيط، التي يظنون أنه كلما شغروا هذه المقاعد بالناس، كلما تعاظمت حظوظهم في المقاعد الأمامية!

صحيح أن وقود هذه المغالبات، كان يستخلص من معين قضايا سياسية ومعيشية واقعية، ملموسة لا شك في صدقيتها، لكن الصحيح أيضاً أنه حين حانت ساعة تحصيل ريع تلك المغالبات المستمدة وهجها من هذا الوقود، انكشف المعنى المضمر فجأة، فاضحاً الطبيعة الداخلية المخاتلة لتلك المغالبات، حيث تم على عجل إعادة صياغة الخطابات السياسية، فسمعنا إبان الانتخابات خطاباً فئوياً نرجسياً تفتيتياً طارداً للخطاب الوطني وللفطرة الوطنية والإنسانية السليمة، وتشتت شمل تحالفات قديمة مرممة بالتلويص، واجتمع شمل تحالفات أخرى كان يبدو اجتماع شملها استحالة موضوعية بمنطق تلك المغالبات. وتم ذلك بنحو ينسجم مع ما نقول عن نزعة تزوير مزاج المجتمع وسرقته، ضمن ما سرق وزور من معان أخرى غير قليلة في حياتنا.

لقد أعيدت، في ساعة الحقيقة صياغة الأولويات، لتأخذ المسألة الدستورية التي شغلنا بمغالباتها المكلفة أربع سنوات، إلى ذيل قائمة تصدرتها حادثة عابرة، كنا نعالج مثلها في ظل المزاج الاجتماعي البحريني الطبيعي الصحي والصحيح بالنقد الفني والأدبي والاجتماعي من قبل متخصصين، كانوا أمناء على مزاج المجتمع وتقاليده وأعرافه، وبحيث لم يشهد مسرحنا

أو أي من فنوننا الدرامية الأخرى من قصة وشعر ورواية، وغناء، أي خروج على أعراف المجتمع ومزاجه الذي يطلق باسمه الآن تهديدات قبيحة بإطلاق الحناجر من منابر مساجد، يتم فيها التداعي لنصب محاكم تفتيش تنتهك الضمائر والأمزجة العصية على السرقة!

ليست محنة المزاج البحريني الماثلة في سرقته والتنكيل برموزه، عملية منفصلة وقائمة بذاتها خارج عملية سرقة الزمن الكبرى. فللزمن معنى أشمل من معنى الوقت المسروق الذي هو خمس سنوات أو نحو ذلك بحساب الدقائق والثواني، و عقارب ساعة الزمن - إذا جاز لي التبسيط - تحسب بالوقائع، وكل واقعة (تقع/ تحدث) في حياة الناس، تؤسس أو تعزز ظاهرة من ظواهر الحياة، فتشبع الناس أو تجوع وتحزن أو تفرح تصح أو تمرض وتثرى أو تفقر مؤقتاً أو إلى أمد معلوم، كما في حوادث مشهورة، مثل سنة الطاعون أو سنة الطبعة، أو سنة الطفرة النفطية. لكن تاريخ هذا البلد أو غيره من بلدان، لا يذكر حادثة بعينها، أرست في الناس ثقافة ووعياً ينقلهم من التخلف إلى التقدم، دفعة واحدة ومتصلة، فضلاً عن حادثة تفعل العكس أي تنقل الناس من حالة تطور إلى حالة تخلف، عكس نواحي الحياة، ويصح معها ترجيح زعم خطير، مثل أن الاضطهاد الذي يمارس بحق، مي الخليفة، أو منيرة فخرو، أو قاسم حداد، أو خالد الهاشمي أو المسرح، أو الأغنية، أو السياحة، (وهذه بعض رموز مزاجنا الاجتماعي) يأتي منسجماً أو مشحوذاً بالمزاج البحريني الاجتماعي، ففي هذا افتراء على واقع هذا المجتمع!

من هنا، لا نبحث في صحة أو خطأ الوقائع، ولكن في صحة أن يقرر سلامة مشهد مسرحي، أو واقعة ثقافية برمتها، باسم مزاج اجتماعي شعبي، يفترى عليه من برلمانيين وكتل برلمانية ليس وجودها في البرلمان في أحسن الحالات، بريئاً من افتعالات السياسة اليومية ومخادعاتها، التي ليس سراً أنها أوقعت بعض هؤلاء في أسر الفخاخ التي نصبوها بأيديهم للناس في الخمس سنوات الماضية، وأفصحت عن نفسها في الانتخابات الأخيرة.

لقد سمعنا من قبل النائب جلال فيروز يبرر أمام ناخبيه نقضه لكل جهاده وجهاد تياره وكتلته ضد دستور ٢٠٠٢ خلال السنوات الماضية، بقوله إن قسمه على القرآن للإخلاص للدستور يأتي بتكليف شرعي، يجيز له أن يقسم على القرآن كاذباً (!!). واليوم نسمع رئيس كتلة الإصلاح (الدكتور صلاح علي) يبرر لناخبيه موقف تياره وكتلته المعادي لمزاج البحرين الاجتماعي بالتباهي بقوله، أنه (واسمعي ياجارة!) لا يحنث بقسم على القرآن، وأنه مخلص لدستور ٢٠٠٢ الذي يصنف البحرين بأنها (عربية إسلامية)، وكأن دستور البحرين قد خلا من هذا التصنيف منذ صيغ أول مرة في العام ١٩٧٣، أو كأن أهل البحرين للتو اكتشفوا عروبتها وإسلامها، أو كأن إشكالية هذه المادة في الدساتير العربية قاطبة بما فيها الدستور البحريني، غائبة عن ذاكرة أهل البحرين وعصية على أفهامهم، التي طالما رفضت - أي الأفهام - أن تكون الشريعة الإسلامية مصدراً وحيداً للتشريع، ليس لعيب في الشريعة، ولكن خشية أن تستغل، بما يفضي لتعطيل مواد الدستور الأخرى الممثلة والمعبرة الحقيقية عن طبيعة المزاج التعددي

لمجتمعات عالم اليوم، مثل المواد الكافلة للحرية الشخصية، والتعبير والاعتقاد والضمير، والإبداع، وغير هذا من مكونات مفهوم المزاج الاجتماعي الذي يحاول نواب سنة الصدفة، السطو عليه.

في مجمع سترة التجاري، كان قسم الصوتيات في (جيان) كبرى المحلات التجارية في المجمع المذكور، يبث صباح الجمعة ترتيلاً للقرآن الكريم، بالتوازي مع أغان غربية صاخبة، في محاكاة بليدة لكنها معبرة عن أزمة المزاج الاجتماعي البحريني ونكبته!

وفي مجمعات أخرى كالسيف واللؤلؤ والعالي والبحرين (جيان المنامة) والدانة، يقومون مؤخراً فقط ببث الأذان في أوقاته، ويواصلون سائر اليوم بث الموسيقى فقط باعتبارها مشترك إنساني عالمي، إلا في حالات نادرة مثل حالة مجمع الدانة الذي يتواصل فيه بث القرآن فقط بسبب ما تعرض له من تحالف إرهاب (الفكر والسياسة والمولوتوف) في حادثة التياترو الشهيرة التي لعبت فيها وزارة الإعلام مع بعض المراهقين الموتورين دينياً دوراً مزدوجاً، قام فيه هؤلاء بالحرق والتكسير والتعدي على رجال الأمن، وقامت الوزارة بمشايعتهم في إرهابهم فكرياً بالتعدي على القوانين والتنكر لمسؤولياتها إزاء تلك القوانين.

ولكن حتى تقليد بث الآذان، وغيرها من افتعالات غير ضرورية أو ملحة، ترسم خطوطها في الظلام وأسفل طاولات النيابي جديرة بالتوثيق لرصد عملية السطو على المزاج الاجتماعي، لرصد حجم الافتعال في هذا السطو. فلا أظن أن أصحاب هذه المجمعات يفعلون هذا رغبة فيه أو ترويجاً لمجمعاتهم وبضائعهم، فرأس المال ليس جباناً فقط، ولكنه كافر أيضاً! كما لا أظن أن رواد هذه المجمعات قد مارسوا أي نوع من الضغط، لكي تحتج بهذا لصالح المزاج الديني على المزاج الطبيعي غير المتكلف لمجتمعنا البحريني التعددي، وبوسائل - كما تنبئنا حادثة مجمع سترة - لا تقيم وزناً حتى للقرآن نفسه، ففي هذه الحادثة تعد صارخ على كرامة القرآن الذي إذا قرئ، توجب علينا بتوجيه رباني مباشر، (الاستماع له والإنصات)، وهو ما لا يحققه البث المزدوج، للقرآن والموسيقى الصاخبة في تلك الحادثة النشاز!

لطالما كانت المجمعات التجارية وستظل - إلى أن يكتمل تحالف الإرهاب الفكري بإرهاب المولوتوف - صالحة لجس المزاج الحقيقي لمجتمعنا البحريني التعددي، حيث يتعايش النقاب والحجاب والجينز والشورت، في نموذج كربوني لحال الشارع البحريني التاريخي (باب البحرين مثلاً)، الذي لم يسجل فيه أو في نسخته الكربونية داخل المجمعات، أية حادثة اشتبكت فيها هذه النماذج، (الجينز والنقاب.. إلخ) اشتباكا غير ودي، أو أبدى أي نموذج منها، ازدراءً للنموذج الآخر، وهو ما لا يمكن تحقيقه في أي مجتمع يغلب عليه المزاج الديني المتزمت الذي يزعمون، تمثلاً بمجتمعات ليست بعيدة عنا من الجهات الأربع. وكانت البحرين للمائة سنة الماضية على الأقل، تمثل لها نموذجاً إسلامياً رصيناً متحضراً، لا يساق فيه الناس بالعصي، لصلاة العصر والظهيرة، ولا ترجم فيه المرأة، ولا تفتش ضمائر الناس، ولا يبصق في عقولهم.

دروس مجنون ليلى
رضي السماك - البحرين

وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، ذلك ما ينطبق تماماً على كل القوى السياسية والاجتماعية المستنيرة من ديمقراطية ووطنية وليبرالية ودينية في الموقف من الحملة النيابية الشعواء التي شنها نواب الوحدة الوطنية الجديدة من مختلف الكتل على مسرحية المبدعين مارسيل خليفة وقاسم حداد "مجنون ليلى".

ولعل الخير فيما كرهته هذه القوى المستنيرة في تلك الحملة إنما يتمثل في دلالاتها ودروسها الثقافية والسياسية البالغة الأهمية التي ينبغي استلهامها والاتعاظ منها جيداً. وما لم تستفد قوى التغيير الديمقراطية والمستنيرة من تلك الدروس في المرحلة الراهنة فإنها لن تستفيد منها في المستقبل بعد فوات الأوان. أول هذه الدروس المستفادة من تلك الحملة التي شنت باسم الدين والعفة والأخلاق من منظور ضيق للدين ان إمكانيات التحالف والعمل المشترك من أجل التحولات الديمقراطية والدستورية والاجتماعية بين هذه القوى وقوى التغيير الديمقراطية والليبرالية والمستنيرة هي إمكانيات محدودة ومشروطة ولا يمكن التعويل عليها بشكل مطلق، مهما أبدت هذه القوى تبنيها وحماسها الشديد في رفع شعارات ومطالب دستورية وديمقراطية واجتماعية براقة ومهما أيضا حاولت التمكيج بلغة العصر في الدفاع عن هذه الشعارات أو تبنت المرجعيات والمواثيق الدولية لقيم الديمقراطية العصرية وحقوق الإنسان التي جميعها كما نعلم هي ثمرة الفكر السياسي الليبرالي الحديث بمختلف روافده ومنجزاته الأوروبية والعالمية.

بهذا المعنى وكما قلنا مراراً فان معوقات وكوابح التطور الاجتماعي والديمقراطي التي تمتلكها القوى الإسلامية المتزمتة في البلدان العربية لا تقل خطورة عن الآليات والكوابح التي تمتلكها الأنظمة الشمولية، لا بل لطالما هذه الأخيرة استندت في استبدادها وقمعها ومصادرتها للحريات العامة إلى تنظيرات وفتاوى الأولى كوسيلة للتعويض عن الشرعية الدستورية والديمقراطية الحقة باسم الشرعية الإسلامية والخصوصية الوطنية. وبهذا المعنى فإن قوى الإسلام السياسي المتزمتة تخفي عادة في تحالفها مع قوى الحداثة والديمقراطية أجندتها في توظيف واحدة من أهم أدوات النضال السلمي من أجل التغيير والتحولات الديمقراطية والاجتماعية ألا وهي السلطة التشريعية كمعول هدم وسيف مسلط لخنق حرية التعبير والإبداع وهي مفارقة لا تخلو من دلالة، على قوى التغيير والتقدم الاجتماعي استلهامها. بمعنى أن القوى الإسلامية العربية التي تناضل من أجل البرلمان ليس بالضرورة كلها تريده برلماناً من أجل تعزيز وصيانة حرية التعبير وسائر الحريات العامة بل لتتخذ من أداته في الغالب وسيلة من وسائل كبح وعرقلة شروط ونضج التحولات الديمقراطية والاجتماعية التي تناضل من أجلها وتضحي مجمل قوى الحداثة والاستنارة والديمقراطية.

وثاني هذه الدروس التي تكشفها الحملة النيابية فيتمثل في ضيق أفق تلك القوى في مفهومها للأعمال الإبداعية والفنية بمختلف أجناسها الحديثة ذلك بأنها تقيس صلاحية هذه الأعمال دائماً وأبدا بمقاييس دينية جامدة متحجرة فإما اسود وإما أبيض دونما حد أدنى من المرونة والتفريق بين الأعمال الفنية الساقطة والهابطة من أغان ورقص وموسيقى وأفلام ومسرح ورسوم بمختلف أنواعها وبين الأعمال التي تمتلك حداً أدنى من الإبداع. وبهذا المعنى يتساوى عندها في هذا السقوط مخرجو المسرحيات والأفلام الخليعة والأغاني والرقصات الإباحية مع مخرجي المسرحيات والأفلام والأغاني والرقصات الإبداعية والإنسانية. بهذا المعنى كم هي إساءة قاسية وجهت إلى مبدعين كبار عرب وبحرينيين من حجم المبدعين مرسيل خليفة وقاسم حداد بتصويرهما عملياً بأنهما لا يختلفان شيئاً عن مروجي الرذيلة والخلاعة. وكم هي إساءة قاسية أن توجه إلى ضيوف وهم مازالوا على أرض البحرين.

وثالث هذه الدروس أن هذه الحملة في توقيتها بعد مرور ما يقرب من أربعة شهور على انعقاد البرلمان دونما شعور الشارع أو قواعد الكتل الإسلامية التي حازت أعلى الأصوات بإنجاز برلماني يذكر على صعيد حلحلة كل القضايا والأزمات الآنية المعيشية والسكنية والفسادية والوظيفية تعكس فشل هذه القوى الدينية في ممارسة فن الأداء والعمل البرلماني في ظروفه المعقدة والمحدودة من أجل حلحلة تلك القضايا، على عكس ذهنية وسعة أفق قوى التغيير التي تعرف جيداً كيفية ممارسة هذا الفن حتى في أكثر ظروف العمل البرلماني تعقيداً ومحدودية كما شاهدنا ذلك في الفصل التشريعي المنصرم.

وهكذا فان واحدة من المفارقات التاريخية المذهلة والمؤلمة معاً هي انه إذا ما اتفقت هذه القوى المذهبية فيما بينها لتجسد " الوحدة الوطنية" فإنها لا تتفق إلا من أجل مصادرة جانب من الحريات العامة وحرية التعبير باسم الإسلام والعفة، ومن أجل تمزيق النسيج الاجتماعي الوطني لشعبها من خلال حروبها المذهبية الطائفية المتبادلة التي لا تهدأ. وهنا تفرض نفسها جملة من التساؤلات:

١- كم عدد النواب الذين شاهدوا المسرحية بكاملها بمعزل عن تلك اللقطات السريعة التي تباروا في إشهارها داخل المجلس وكأنها لقطات إباحية للرقص الشرقي أو برامج الملاهي الليلية؟

٢- لماذا قوى "الوحدة الوطنية" ضد المسرحية التي أقامت الدنيا ولم تقعدها بسببها ولا تطرح هذه الشعارات الوعظية الدينية في صدارة اولوياتها أثناء حملاتها الانتخابية وتخدع الجماهير بأولوية شعارات القضايا العامة المعيشية الآنية دونما أن تمارس هذه الأولوية داخل البرلمان؟

٣- هل كانت هذه القوى ستثير حفيظتها ضد المسرحية لو انها جرت في إحدى جمعيات المجتمع المدني أو الجمعيات السياسية؟ أليس ذلك يعكس رغبتها في احتكار المؤسسة الإعلامية العامة بكاملها لفرض أجندتها الفكرية والسياسية باسم الاسلام على مجتمع تعددي ثقافياً وفكرياً برمته؟!

٤- هل كان حزب الله اللبناني على الرغم من اختلافنا مع نهجه الفكري سينشغل ويقع في فخ الاستدراج الذي نجحت ببراعة قوى الموالاة الدينية إيقاع قوى المعارضة الدينية فيه لو أن المسرحية جرت على أرض لبنان؟ وهل كان ينشغل بها مراجع وفقهاء لبنان المستنيرون أو على درجة من الاستنارة مثل المرجع السيد محمد حسين فضل الله والعلامة هاني فحص؟ والذين لهم جميعهم قضايا فكرية وسياسية آنية أكبر من هذه المسرحية حتى مع افتراض تحفظهم على بعض مشاهدها. ذلك بان هذه المشاهد حتى بافتراض خلاعيتها ليست اخطر من مظاهر الفساد الأخلاقي الأخرى في البلاد على نحو ملح عاجل بالغ العجالة. والأهم من ذلك ليست أخطر من مظاهر الفساد المالي والإداري الذي هو موضوعياً الجذر والأساس المادي لكل أشكال الفساد الأخرى.

المحاصصة الثقافية في "ربيع الثقافة"

بدر عبدالملك - البحرين

عالجت الصحافة المحلية بكتّابها ورؤساء تحريرها كل ما تمخض عن ربيع الثقافة من حوارات واختلافات ورؤى. وبدت الصورة وانعكاساتها ليست واحدة بسبب المرآة والوعي والمجتمع. فلكل مستوى من مستويات الانعكاس درجة مختلفة من تلك العملية المعقدة، تماما مثلما لا يمكن خلط ربيع الثقافة بخريف الثقافة. فلكل فصل أوراقه وحرارته المختلفة، خاصة وان ربيع الثقافة يتميز بأوراقه الخضراء بينما خريف الثقافة – إن وجد ذات يوم – فانه يكون بأوراق صفراء.

ما كتبه البعض من محاولة اختطاف ربيع الثقافة مجددا لكونه ربيعا ناجحا بكل المقاييس عن العام الفائت، فإنهم يهدفون من تلك الكتابات إلى اختطاف ذلك النجاح بطريقة الاختراق و المحاصصة طالما اكتشفوا أن الجميع تفاعل معه بهذا القدر أو ذاك واجتذب جمهورا يحب الحياة والفرح. وطالما ليس بالإمكان مصادرة ربيع الثقافة فلا بأس بإطلاق الرصاص عليه وقتله أو وأده كما يفعلون في الجاهلية، بهدف ألا يتكرر هذا المولود كل عام وينمو وينجح من موسم إلى أخر. وبما أن الاختراق والاحتراق والحرق والتدمير ليس ممكنا لأن معنى ذلك محاولة لمصادرة وجه البحرين الثقافي والحضاري، الذي تحاول أن تتميز به في المنطقة، فما الذي ينبغي فعله لكي يتم اختطاف ذلك الربيع بمزجه بخريفكم المكفهر .. بخلط الأوراق وفتح ثغرات في جدار الثقافة والنفاذ من كل النوافذ الممكنة .. بالمناشدة بحق المحاصصة بهذا الشكل أو ذاك .. بطرح مقترحات تبدو للإنسان الطيب والعادي كلام جميل وبراق بينما هو في حقيقته حقا يراد به باطل. حيث لا يمكن خلط الثقافة في ربيعها الأخضر و خلط نضارة الثقافة في ثوبها الخريفي الأصفر، بخلط ثقافتين متنافرتين في فضاء واحد. إذ الفضاء الحر المفتوح يختلف عن الفضاء الضيق والمغلق، كما لا يلتقي أركون مع دعاة لا يزالون ينشدون وينشّدون للماضي بخطابهم مثلما لا يمكن وضع كات ستيفن (يوسف إسلام) مع غنائية شعر قاسم حداد والموسيقى لمارسيل خليفة بتلك اللوحات الراقصة التعبيرية وهلم جرا من مقارنات تدعو للاندهاش والضحك.

غير إننا نقول أن من حق – طالما نؤمن بالتعددية والتي تفهم خطأ – أية جهة من الجهات أن تخلق ربيعها وترتدي ثوبها كما تشاء ولتترك للجمهور حق الذهاب أينما يرغب. من حق القطاع الخاص والدولة أن تختار في كل موسم ومناسبة فاعليتها المتميزة ولكن دون خلط بين المدارس الفنية والفقهية، ولا خلط عناصر قد تشوه اللوحة بكل تناسقها وانسجامها تحت حجج واهية تخفي حقيقة الاختطاف والمحاصصة حتى في ربيع الثقافة، بينما لم يطلب احد من الجماعات الدينية بالمحاصصة البرلمانية ولا غيرها وهم الذين هيمنوا على الأخضر

واليابس ويريدون مجددا المحاصصة في مشروع ثقافي له خصوصيته الثقافية والحضارية. فلا يمكن خلق مؤسسة ليبرالية لها توجهاتها بمؤسسة إسلامية لها تشريعها ونزعتها ومواقفها. فلماذا دعاة المحاصصة لا يفتحون لهم مهرجان سنوي في شهر رمضان الفضيل، ويغنوا نشيد طلع البدر علينا بعزف وتوزيع اوركسترالي وغناء متطور اوبرالي، ويحاضروا كيفما شاءوا. وإذا ما جاء عيد رمضان والاضحي أو ليكن أي موسم يحبون، لهم أن يخلقوا مهرجانهم الثقافي ويعلّموا الناس النشيد والثقافة الإسلامية. وإذا ما كان هناك رقصا محتشما فذلك سوف يسر الجمهور الراغب بالدفع والمشاركة في تطوير القطاع الخاص وتلك الجمعيات والبنوك الإسلامية التي لا مانع من مساهمتها الخيرة في الثقافة.

من حق الجميع أن يفتحوا في قاعات الفن التشكيلي لوحات إسلامية وفن التصوير والنحت الإسلامي، ويدعون ما يحلو لهم من الفرق الإسلامية التراثية و الفلكلورية الجميلة مثل فرق القوالي (الكوالي). المهم أن يكون الجمهور حكما ومستعدا لأن يدفع من جيبه أسعار التذاكر الباهظة أو الرخيصة. فحسب علمنا أن الجمهور الذي اعتاد انتظار الحقيبة المدرسية والبطانية الشتائية ليس على استعداد للذهاب لقاعات مكلفة، ولكن من يمنع البنوك والجمعيات الإسلامية من التكفل بمصاريف "كات ستيفن" وغيره وتغطية مصاريف ضيوفها على نفقتها الخاص، وفتح الأبواب مجانا لجمهورها الخاص واجتذاب من يريدون في أحضانهم. أما المحاصصة الثقافية بين مدرستين بحجج مخادعة فيبدو أنها أمر ثعباني كما هو عسل الاغتيالات في عهد الخلفاء الراشدين وما بعده من خناجر مسمومة . وإذا كانت الدولة والقطاع الخاص مستعدين أن يخلقوا "ربيعهم الثقافي ! " فلماذا العبث بالنجاحات والهجوم الشرس والمقايضة بالسياحة على حساب تمرير الثقافة وإعلان حرب بوجهين في خطاب مزدوج لبعض النواب، والتعامل مع الثقافة والسياحة بمنظار الأبشع والأخطر والأقل ضررا؟!

أنها والله أوراق تعبث بها الأفكار المضللة في لبسها ولبوسها المتدين تحت حجج المحاصصة الثقافية، بينما لم يصدر بيان في السابق يحتج على تحطيم تماثيل باميان في أفغانستان، وهي التي كانت تراثا عظيما للإنسانية وضمن مظلة اليونسكو ومسؤوليته في الحفاظ على تلك الروعة التاريخية كفن من فنون النحت القديم جدا. لم تحركوا ساكنا وقتذاك، ولم يهمكم حتى كتابة مقال في ذلك.

التعددية الثقافية ليس بمزجها في لوحة متنافرة ضمن لعبتكم .. التعددية السياسية ليس بمصاهرة أحزاب وجمعيات متنافرة في كيان واحد لها من الاختلاف في المواقف والمبادئ الجوهرية وغيرها .. كما أن التعددية الثقافية هو أن ينسج ويخلق كل تيار برامجه منفردا. غير أن لكل مشروع ثقافي برنامجه وتوجهاته، وإذا ما رأت وزارة الإعلام ودائرة الثقافة ذات

يوم أن لديكم مشروعا مشتركا مقنعا، فسوف تقول أهلا وسهلا بالمساهمة، ولا بأس ذات يوم لدعوتكم في معرض عام للفنون والنحت، فشاركوا بما تريدون. ولكن عندما يقال أن هناك معرض للنحت، هل لديكم استعداد لذلك؟ أم أن عقلية الأوثان لا تزال تسكن تلك الصنمية الفكرية التي لم تتزحزح من إخطبوط الماضي، وكأنما الفن هو ما يحلو لكم فهمه، والثقافة حالة انتقائية كما تريدون.

إن هناك فهم أعمق للثقافة والحرية والأسئلة الكبرى التي لا تودون سماعها دوما. ربيع الثقافة لونه واحد ولا يوجد ربيعان في موسم واحد، فلا تحاولوا المحاصصة في كل البيت الثقافي للوطن، وكفاكم ما فعلتموه من خطف ومصادرة للحياة في الجزيرة التي كانت مفتوحة للعابرين والبحارة والتجار بروح التسامح و الانفتاح .

محاكمة الثقافة على الدرجة ٤٥١ فهرنهايت

كمال الذيب – تونس

لا أدري لماذا أتذكر فيلم " فهرنهايت ١٥٤" للمخرج الفرنسي فرانسو تريفو، في كل مرة تثار قضية ضد الإبداع الثقافي بجميع أنواعه، سواء أكان الضحية كتابا أو فيلما أو أغنية أو لوحة تشكيلية أو عرضا موسيقيا.

أتذكر هذا الفيلم كلما ارتفعت الأصوات والدعوات في بلاد العرب الواسعة إلى حرق كتاب وإعدام صاحبه، والتفريق بينه وبين زوجته، وإشعال الحرائق الغوغائية في الشارع والجامعات ضد الإبداع، بجميع أشكاله.

أتذكر هذا الفيلم الذي شاهدته منذ سنوات طويلة، وتظهر مشاهده المدهشة أولئك الرجال المدججين بالسلاح في مدينة المستقبل وهم يجوسون خلال المنازل والبيوت بحثاً عن الكتب – جميع الكتب – لحرقها حيث أن الرئيس الجديد للاصطفائيين قرر أن أكبر خطر يواجه الحياة والقيم والمجتمع هو الكتاب، ويبرر ذلك بقوله: "الكتب تجعل الناس يتصارعون ويتحولون إلى أعداء، ولذلك يجب حرقها لأننا ننشد الحب والسلام والوئام والكتب نفايات تصيب الناس بالأمراض وتجعلهم أعداء لمجتمعهم".

أتذكر جيداً هذا المشهد المأساوي، وأنا أشاهد هؤلاء الذين لم يقرأوا رواية أو كتاباً أو ديوان شعر، ومع ذلك يحرصون على التحريض على الكتاب والكاتب، بل يمكن أن ينتقل الأمر إلى ما هو أخطر، مثل حث الناس على التظاهر والحرق لمجرد أنهم سمعوا بأن هذه الكتاب يتضمن مواقف بذيئة بالمعايير الأخلاقية وليس الفنية، وان هذا العرض المسرحي يتضمن مشاهد منافية للعادات والتقاليد المرعية.

أتذكر فيلم " فهرنهايت" عندما استمع إلى هؤلاء الذين ينصبون المشانق والمحاكم من خلال قراءة معينة للإبداع الأدبي والفني، ويريدون لعب دور الرقيب على الإبداع.

في القرون الوسطى أحرقت الكنيسة آلاف الكتب العلمية لاعتبارات دينية، وفي الأندلس أحرق حاكم "فيشل" كتب ابن رشد لأنه أراد أن يتقرب إلى الجماهير اليائسة الهائجة وإلى رجال الدين في مواجهة الهزائم العسكرية المتلاحقة، وفي فرنسا قبل الثورة كان القضاة يصدرون الأحكام بحرق كتب فولتير ومنتسكيو وجون جاك روسو وطرد الشعراء من المدينة لأنهم كاذبون، تحت عنوان " لا مجال إلا للكتب التي تمجد الفضيلة".

وفي بداية القرن السادس عشر أمر البابا بحرق كتب مارتن لوثر الإصلاحية، وفي النصف الأول من القرن العشرين أحرق هتلر عشرات الآلاف من الكتب بحضور وزير ثقافته آنذاك، والذي كان يقود الوزارة بمسدس، وتحت نفس الشعارات التي تساق في كل مرة يراد ترويض الثقافة وتكميم المثقفين.

وباختصار، فإن حرق الكتب ومهاجمة الإبداع والمبدعين، وتكفيرهم في كثير من الأحيان قد ارتبط في جميع الأحوال بحماية السلطة الدينية ونفوذها، خاصة في العالم المسيحي أو بحماية الأنظمة الديكتاتورية من الفكر الحر، ولذلك كانت محاكمة الفكر والإبداع وجرجرة المثقفين إلى المحاكم والسجون، وسيلة للتخلص من الفكر، ومن سلطة السؤال والمساءلة، خوفا من الحرية والإبداع، لإرهاب المثقف والناشر والقارئ والبائع أيضاً، وأصحاب دور السينما والمسارح وغيرها.

و هنالك سؤال مهم لابد من طرحه في هكذا سياق، وهو من هو المسؤول عن تقييم العمل الإبداعي وقراءته؟ وبأية أدوات ندخل عالمه ؟ أليست المسؤولية عائدة إلى النقاد والمثقفين أنفسهم من خلال منهج إبداعي، وليس من خلال منهج ديني أو أخلاقي أو سياسي؟ وذلك أننا لو اعتمدنا منهج محاكم التفتيش فماذا سيكون مصير " اللزوميات" و "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري و "الإشارات الإلهية والإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي، وأشعار بشار بن برد وأبي نواس، وكتب ابن رشد ومن قبله الجاحظ والخياط وابن الراوندي والقاضي عبد الجبار وغيرهم..؟ بل ما هي النتائج المترتبة عن هكذا منهج في حياتنا الفكرية والأدبية والفنية والسينمائية والمسرحية والموسيقية ؟

لاشك إننا إذا ما قبلنا هذا المنطق وهذا النوع من الرقابة الدينية على الأدب والفكر والفنون، وإذا ما خضعنا للابتزاز والترهيب والتحريض ضد حرية الفكر والصحافة والأدب والفنون، سوف يأتي اليوم الذي يتوقف فيه كل شيء. وإذا ما قبلنا بالمعايير التي حوكمت بها الكتب الأدبية والفلسفية فسوف تحل بنا كارثة حقيقية، لأننا بدأنا بالفعل نستمع إلى نفس تلك الأصوات تنادي بحرق رائعة الكاتب السوداني الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال"، وبإعدام نصف الكتب العربية القديمة والحديثة والمعاصرة.

إنها إذن لمأساة حقيقية أن يتبع ما يكتبه الأدباء والمفكرون كلمة كلمة بترصد مبيت، وبمعايير خارجه عن الفكر والأدب، ولأسباب لا علاقة لها بالإبداع أصلاً.

نعم لهذا الجنون ... !

زاهي وهبي – لبنان

يومَ غنى مرسيل خليفة لـ "عيناثا" فرحَ أهلُ بلدتي الحدودية بهذه الأغنية – التحية، واعتبروها مُشاركة لهم في صراعهم اليومي مع الاحتلال الإسرائيلي الذي جعلهم نُصبَ أحقاده ومدافعه منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨. وعيناثا التي دُمِّرت بنسبة سبعين في المئة خلال العدوان الإسرائيلي الأخير وقدمت خمسين شهيداً من شبابها ورجالها ونسائها وأطفالها، تقاسمت التضحيات مع الجليل الفلسطيني، مثلما تقاسمت معه المواويل والعصافير والهواء العليل الذي يشوبه الآن بارود الاحتلال، والصعتر والسماق والأحلام والآمال.

غنى مرسيل خليفة لـ "عيناثا" وصاح بأعلى صوته وبشعر عباس بيضون "يا علي، نحن أهلُ الجنوب حفاة المدن، نروي سيرتك على أصفى البرُكِ والأودية". يومها غنّى خليفة لعلي الشهيد الجنوبي مثلما غنّى لشهداء فلسطين، وغنى لليمن وكوبا، وكل مكان فيه متسعٌ للحب والحرية، وراح يطوفُ العالمَ بعُودِه وحنجرته و"ميادينه" مُنتصراً للأرض وللإنسان، رافضاً الظلم والطغيان شأنَ كل فنان حقيقي يدركُ أن الفن ما هو إلاّ انتماء للقيم الإنسانية النبيلة في كل مكان وزمان.

* * *

قبل أيام جاءنا نبأٌ، وفيه أن نواباً بحرينيين سنّة وشيعة اتفقوا على أمر.

خبرٌ سار في غمرة التذابح الطائفي والمذهبي الذي تأتينا أنباؤه القاتمة وصوره المروعة من العراق الذبيح بسكاكين "المحتلين" و "المحررين" على السواء. وحسناً يتفق ممثلو الناس، ولو في البحرين وليس في العراق، على أمرٍ، بدلاً من التذابح والتقاتل والعراك. لكن "الفرحة لم تصل إلى القرحة" وسرعانَ ما تلاشت الغبطة والحبور وحلت مكانهما الكآبة والوجوم، فهؤلاء النواب الأفاضل الذين اختارهم الناس للاهتمام بقضاياهم الحياتية والمستقبلية، اتفقوا على: مرسيل خليفة وقاسم حداد. عجباً!

مرسيل خليفة الذي حمل في وعيه وفكره ووجدانه، وفي صوته ونغماته ونوتاته همومَ هذه البلاد، وطاف الدنيا مُدافعاً عنها، وقاسم حداد الشاعر المشعّ والوجه المُشرق للبحرين، والباحث في شعره عن مكانٍ آمن للحب، هذان المبدعان هما محور التلاقي بين النواب الذين هبّ عليهم نسيم "مجنون ليلى" فجنّ جنونهم!

نافلٌ الانحياز إلى مرسيل خليفة وقاسم حداد في عملهما "مجنون ليلى"، ونافلٌ القول إن الشعر والموسيقى وبقية الفنون هي من مُكوِّنات الروح والوجدان، لكن ألم يحن الوقت بعد للمطالبة بـ " ثورة ثقافية" تميزُ بين الغث والسمين، وتنتفض على الانحلال الفني والثقافي الذي يضربُ خبط عشواء مسامعنا وأبصارنا وذائقتنا ويستخف بعقولنا، بدلاً من مطاردة فنانين راقين مبدعين كخليفة وحداد وما يقدمانه من نتاجٍ يحرض على البحث والكشف والتجديد.

قبل أيام كنت أُهاتفُ خليفة في إقامته الباريسية التي طالت، وشعرتُ في صوته (الصوت نفسه الذي حمل قضايا العرب العادلة إلى كل الدنيا) نوعاً من الأسى والحسرة، وهو يتكلم بسخرية مريرة حيال اتهامه بالتحريض على "الفاحشة" بينما واقع الحال العربي مليءٌ بـ " الفواحش" على أنواعها خصوصاً تحت مسمى الموسيقى والغناء. وما يُدمي قلب خليفة و يحشرج أوتاره الصوتية، ليس النقاش والسجال والنقد الذي يمكن (ويجب) أن يواجه أعماله، إنما الأسلوب والتعابير والألفاظ التي أُلصقت بـ " مجنون ليلى"، وكأن المسألة " ليست رمانة بل قلوب مليانة"، وكأن خليفة وحداد يحاسبان على " عقليهما" لا على " مجنونهما"!

نافلٌ الوقوف إلى جانب خليفة وحداد في "ربيعهما" الذي أراد بعضهم جعله خريفاً، ولكن لم يعد جائزاً السكوت عن هؤلاء الساكتين عن الحق وعن الفاحشة في فلسطين والعراق والسودان ولبنان، والذين يتغاضون عن " قلة الحياء" القومي والوطني والسياسي، المسارعين إلى وأد الأصوات النبيلة بهدف إسكاتها، والفسحات المضيئة بهدف إطفائها، والذين أطلقوا على "ربيع الثقافة" في البحرين تسمية "خريف السخافة"، بينما الأفكار البليدة المُتحجرة تعمم السفاهة على كلِّ الفصول!

إذا كان " العقلاء " على شاكلة هؤلاء الذين يحاربون "مجنون ليلى"، فلنقلها جميعاً، بلا خوفٍ ولا وجل، كلُّنا مجانين، مجانين ونريد أن نحكي وأن تتفتح أفكارنا مُتنوعةً مُتعددةً عابقةً وملونةً تماماً كما الربيع الذي لن يحجبه غيمٌ داكنٌ عابر.

لا لـ "عقلاء" الطائفية والمذهبية الذين اجتمعوا على خليفة وحداد، وتفرقوا حيال مصائر البلاد والعباد، ونعم لـ "مجانين" الإبداع الذين يخفّفون بإبداعاتهم وبـ "جنونهم"، وحشية "العقول" الطائفية، ويوحِّدون الناس على الحُب والحرية والجمال.

ربيع الثقافة أم خريف الجهالات ! ؟

د. معجب الزهراني – السعودية

هاهو بلد صغير جميل يدفعه بعض أبنائه ، وبحسن نية ربما ، إلى سجالات حادة مولدة لتوترات لن تخدم أحدا من مواطنيه ومحبيه .والسبب هو ذاته مصدر المفارقة المحزنة حقا : فعل ثقافي يلبي بعض حاجات الإنسان في العصر الحديث يحوله ممثلو القوى المحافظة إلى رهان لكسب المزيد من المواقع والمصالح . ومما يجعل المفارقة مغامرة خطرة أمران . أولهما أن القضية تفتعل وتستثمر باسم " المقدس " الذي يجله الناس في كل زمان ومكان !. والثاني أن تناقش في مؤسسة رسمية بدعوى الدفاع عن مصلحة الشعب وعن هوية الدولة والأمة ! .

وحينما نتذكر أن مجالس الشورى والأمة في بلدان الجوار تناقش هي أيضا خطورة معارض الكتب وقراءة المرأة لنشرة الأخبار واختلاط النساء بالرجال في أسواق المدينة وطرقاتها ، بل وعلى حقها في التصويت في الانتخابات ..فلنا أن نصيح بصوت واحد : عاشت الديمقراطية الخليجية .. عاش ممثلوا الشعب وحراس مصالحه العليا !. فليس مما يليق بديمقراطيتنا التي تولد فريدة من نوعها أن تدافع عن حقوق الإنسان الفرد ، أو عن حقوق المرأة، أو عن حقوق أقلية ما ، فضلا عن حقوق المبدعين والمفكرين والباحثين "العلمانيين" . لا يليق بها شيء من هذا لأنها ديمقراطية شمولية مثلى يبتكرها أناس بريئون تماما من الجاهليات القبيلة والمذهبية، ويريدون التأسيس لفكر سياسي جديد صالح ل "لبشرية جمعاء" في كل زمان ومكان (تماما مثل تلك الديمقراطية الجماهيرية الاشتراكية في ليبيا العظمى).

طبعا من حق أي أحد أن يكره الفكر والشعر والموسيقى والغناء والرقص والنحت والرسم والمسرح والسينما وصوت المرأة ووجوه البشر الذين يختلفون عنه عرقا أودينا أو مذهبا . لكن هذا بالضبط هو ما تبقى لآخرين يتوهمون ويصدقون أنهم كائنات جمالية عاقلة ناطقة وأن من تمام حقهم أن يقرأوا الكتب ويتذوقوا الفنون ، وكذلك الأطعمة والأشربة كلها ، دون وصاية أو ولاية من أحد عليهم . وهم هكذا لأنهم تورطوا في فهم خاطيء للديمقراطية التي هي عندهم ثمرة سياسية لقرون من العمل والتضحيات في سبيل التأسيس لحريات التفكر والتخيل والتعبير والسلوك !.

ونظرا لكوننا منهم ومعهم فإن هذا ما نصر عليه ولو كره المتزمتون ،وسواء كانوا من وعاظ المساجد والمجالس ، أو من ممثلي قبائلهم ومذاهبهم في مؤسسة رسمية ما . نعم ، حقوق الإنسان الجمالية لا تنفصل عن بقية حقوقه . وبسيط ما نمتلكه ونمارسه منها يغرينا بطلب المزيد . فنحن لا نحسن الحياة من دون الفكر والفن ، ولا نقبل بالتفريط فيهما وهما أقوى ما يصلنا بآخرين مثلنا في عالم مفتوح يتعولم كل يوم وضمن منطق تاريخي يمضي بمن يسير معه لا بمن يقف ضده .

كان يكفي إذن أن يعبر كل أحد عن رأيه ويتمسك به . فمنطق الحياة في بداية القرن الواحد والعشرين لم يعد يبيح لطرف فرض رأيه ورؤيته على آخرين يختلفون عنه في رؤية العالم والكون والإنسان ، وليس في التفاصيل الصغيرة فحسب . وهذه الديمقراطية التي لا تحمي حقوق الفرد ضد تسلط الأسرة والجماعة القبلية أو المذهبية والدولة تفقد كل معنى ومشروعية لأن منطقها هو منطق التسلط الدوغمائي الغوغائي ذاته.

وسنصر على وجاهة ما نقول ونفعل . هذا يكفي الآن . لن نتفاءل كثيرا وفقهاء اليوم يمكن أن يفتوا في جواز استعمال الهواء للتنفس أو في إباحة السباحة في مياه البحر. لن نتفاءل لأن ابن حزم لم يعد حكما بيننا أو حجة لنا عليهم وهو يقرر أن الفنون كلها " واجب" لأن الواجب الديني لا يتم إلا بها . ولن نتفاءل لأن ابن رشد رحل على ظهر جمل ومعه أول وآخر محاولة جدية لعقلنة خطاب الشريعة الذي اختطفه أهل الغربة عن الحق من الوعاظ القدماء والجدد . لن نتفاءل وقد تلاشى صوت ابن عربي الذي كان يزعم أن فعل الحب في الأصل من فعل الخلق.

فالمعضلة المتجددة بانتظام تفيد بأن من حاول الاجتهاد لعقلنة التصورات وأنسنة العلاقات بدا صوتا طارئا كمن يجدف في الرمل أو يؤذن في مالطة . لقد استحوذ فقهاء الظلام على وعي الجماعة ومخيالها العام . تماما كما استحوذت القبيلة على الدولة ، و" رب الأسرة " – الذكر الفحل – على المنزل العائلي . هذه إذن النوى الصلبة التي تعيد إنتاج التسلط وكأنها جينات ثقافية نتوارثه طوال تاريخنا . لا غرابة بعد هذا أن أصبح الحلم بحياة حرة جميلة كريمة من اختصاص بعض المفكرين المعزولين وبعض المبدعين الصعاليك المنبوذين فحسب !.

الحكاية إذن ليست متعلقة بشعر لقاسم وغناء لمارسيل ومحاضرة لمحمد أركون أو رقصة لعبد الحميد كركلا ، ولا حتى بشخص مي الخليفة التي تحاول زراعة المحرق والمنامة بشتلات الثقافة والمحبة. هناك رهان لم يتمكن أحد من حسمه في الماضي وكل الدلائل تفيد بأنه لن يحسم قريبا . لبعض البلدان العربية حوالي قرنين من الزمن وهي تحاول الدخول إلى عصر الحداثة والاندماج في آفاقها الجمالية والمعرفية دون جدوى . وهناك بلدان جديدة أنجزت الكثير في مجال العمران بسبب وفرة الريع النفطي لكنها تظل محكومة بأفق التخلف نفسه .

ومن المغرب والسنغال إلى اندونيسيا وماليزيا ليس هناك مثقف واحد يستطيع أن يقول في مقام عام ما يقوله نظيره الهندي أو الصيني أوالأمريكي أو الأوروبي أو الأفريقي بكل هدوء : أنا أحترم معتقدات جماعتنا التقليدية لكنني لا أومن بها أساسا للتربية والتعليم والاقتصاد والسياسة في القرن الواحد والعشرين . حتى حين يعلن الآخرون إسلامهم نفرح بهم ونحتفي

بالخبر دليلا على عظمة ديننا – وهو كذلك لو لم يحوله البعض إلى تسلط – لكننا لا نتوقف لحظة واحدة عند عظمة الثقافة التي تبيح لأتباعها أن يقرأوا ويتفكروا ويختاروا ويعيشون بسلام في المجتمع، وبعضهم يمكنه أن يرشح نفسه لأعلى المناصب ويفوز! .

ليس غريبا بعد هذا أن هناك اليوم كائن يمكن تسميته "هومو إسلاميكوس" يختلف تماما عن البشر الآخرين لأنه يتوهم ويصدق أنه الأفضل والأكمل والأجمل حتى وهو في مؤخرة الركب الحضاري يعاني التسلط والفقر والجهل والمرض ! .

وهذا الكائن هو هكذا لأنه يعود على مديح فضائل القمع وهجاء مساوىء الحرية . نعم لا شك أن حريات التفكر والتخيل والتعبير خطيرة على الجهالات والضلالات المعرفية كلها . لكنها ما تبقى لنا ، وسنمارسها ونحرض عليها ما استطعنا لأننا بشر كالآخرين . ولن ننتظر تلك القوانين الواضحة الصارمة التي يسنها ويدافع عنها وينميها ممثلوا "الشعب والأمة" لأن هؤلاء غير موجودين بكل بساطة ولن يوجدوا في هذا العالم الشقي بعد عامين وجيل .

الحكاية إذن أيها الأصدقاء ليست بحرينية أو "بحرانية" بل حكاية عربية إسلامية بامتياز . فهذا البلد الصغير كان ونأمل أن يظل كبيرا بقليل مثقفيه المبدعين في كل مجال . كتبت عنه مبالغا ، بمحبة ، في مديح جمالياته واتساع حرياته أكثر من مرة، ولن أعتذر عما فعلت. فهو لا يزال عندي المختبر الأهم للحداثة الثقافية في المنطقة، كما هي حال دبي في الاقتصاد والعمران. قبل فترة كنت أتساءل مع الصديق قاسم عما سيبقى للبحرين ومنها حين تتنكر لثقافة الحرية ورموزها.

كنت أتساءل بقلق بالغ على كل الحريات الصغيرة والكبيرة ،النظرية والعملية ، العالية والمبتذلة . فهي عندي كل لا يتجزأ ، وحين يهدد جزء منه فإن مصير الأجزاء الأخرى التآكل (والماكرون يبدأون بالصغير الهامشي قبل الكبير دائما !) . هذا ما يحاوله البعض ، وبحماس بالغ لسوء الحظ . وحينما ينجحون في تحويله إلى نسخة مصغرة من جيرانه شرقا أو غربا سيتسع خريف الجهالات ، وقد يعقبه صيف طويل جدا من الحرائق ، وعندها سينشد الشنفرى، ومعه كثيرون ربما :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى   وفيها لمن خاف القلى متزحل

أما الآن فلابد من بعض النسيان وبعض التفاؤل . لا بد من العود الأحمد إلى ما تبقى من ربيع الثقافة والمحبة . وبالمحبة ذاتها . لقد حضرت منه فعاليتين في أسبوعين متتاليين وكلي أمل في أن أحضر الثالثة. أعني تلك الفعالية التي سيطل منها الناس هنا على ثقافة الشعب البرازيلي الذي أتحف العالم بكرنفالاته ورقصاته الصاخبة وبفنون اللعب الكروي الفاتن لبيليه ومارادونا ، وبكتابات جورج أمادو عن بهية ، وباولو كويلو عن خيميائي يقال أنه عربي مسلم !

بناء دولة طالبانية يلقى مقاومة

جورج كتن – سوريا

الصحوة الإسلامية كتسمية دارجة لظاهرة متصاعدة، ليست مقتصرة كما يصور البعض على تدين قطاعات واسعة من المجتمع وممارستها لحياتها بما ينسجم مع الفهم السائد للنصوص، فهي ظاهرة ليست جديدة على مجتمعات سدت أمامها الأبواب لتحسين ظروف معيشتها، لتجد في الدين خشبة الخلاص من فقرها وبؤسها وتخلفها. الصحوة بالدرجة الأولى هي صعود "الإسلام السياسي" على أنقاض الحركات والنخب السياسية الوطنية والقومية واليسارية المهزومة، والفاشلة في تحقيق التقدم المأمول لمجتمعاتها.

اكتشف "الإسلام السياسي" في تدين مجتمعات المنطقة منجم ذهب يمكن استثماره للتحكم بمصائر الناس، يبقى صالحاً للاستثمار طالما توقفت المجتمعات عن مسايرة التطور الإنساني، وطالما ظلت الأفكار وأساليب الحياة الاجتماعية والاقتصادية الحديثة بعيدة عن متناول الأغلبية، فالحداثة في كافة المجالات هي البارود الذي ينسف ركود المجتمعات حيث وضع "الإسلام السياسي" استثماراته، لذلك لن يمكنها من الانتشار، وما يسمح به هو تقدم باتجاه الخلف إلى أساليب حياة سابقة لا تصلح للزمن الراهن.

مواجهة الحداثة في شتى أشكالها هي المهمة الأساسية "للإسلام السياسي" المستفيد من الصحوة، فالأفكار والثقافة الإنسانية الناتجة عن تلاقح كافة الحضارات هي العدو الأول الذي يسعى لمواجهته ليمكن من استمرار إعادة إنتاج هيمنته، لذلك لن نستغرب ما يحدث في أرجاء منطقتنا التي تشهد صعود الإسلام السياسي.

فليس غريباً ما تردد مؤخراً عن قرار لوزارة التربية الفلسطينية التي كان يديرها "حماسي" بمصادرة وإتلاف جميع نسخ كتاب "قول يا طير" في مكتبات المدارس الحكومية بحجة وجود تعابير "تخدش الحياء"!!، والكتاب من تأليف الدكتوران كناعنة والمهوي، تضمن حكايات شفهية تراثية تم جمعها منعاً لاندثارها، ترجم لخمس لغات وحاز على جوائز عالمية ويدرس في جامعة هارفارد.

يذكر الإتلاف برواية إحراق مكتبة الإسكندرية لأن كتبها: "بعضها مخالف لكتاب الله فلا حاجة له، وبعضها الآخر يوافقه، ففي كتاب الله غنى عنه". كما يذكر بإحراق كتب إبن رشد، ويمنع كتب المفكر ادوارد سعيد في عهد الرئيس عرفات، وتفتيش الأزهر على المبدعين المصريين، وتطليق المفكر حامد أبو زيد من زوجته وغيرها كثير.. الوزير الحماسي طبق القاعدة الذهبية للإسلام السياسي المخالفة للعقل والواقع : " ما صلح للسلف صلح للخلف"!.

أثار أئتلاف الكتاب احتجاجات ومسيرات واعتصامات شملت المثقفين والأكاديميين واتحاداتهم، رداً على تهديد حرية الإبداع، وطالب محمود درويش بوقف "محاكم التفتيش" الحماسية... وأدى الاحتجاج لتراجع الوزارة عن القرار بعد ادعاء الوزير أنه صدر دون علمه وعن دائرة غير مختصة.

المقاومة أكدت وقوف الجزء الحي المثقف من المجتمع سداً في وجه حراس الظلامية، وتحقيقه لخطوة هامة إلى جانب خطوات سابقة عند تصديه في العام الفائت لهجمة بلدية قلقيلية "الحماسية" على مهرجان فلكوري بحجة أن الغناء والموسيقى والسفور والاختلاط تشجع على الفسق والفجور!!...

ورغم أن المقاومة تعبير يرفع عادة في مواجهة الاحتلال، فإن النخب المثقفة ستجد فيه شعاراً مناسباً في مواجهة الظلامية، لوعيها أن كسب معركة الأفكار والثقافة وحرية الإبداع هي أولوية ضرورية لتحصين المجتمع وتمكينه من إنهاء الاحتلال.

والسؤال حالياً ماذا نتوقع من وزيرة شؤون المرأة في الوزارة الجديدة، المتلفحة بالسواد والتي بدأت عملها بعد القسم مباشرة، برفض مصافحة الذكور –الرئيسان عباس وهنية- خوفاً من الفتنة الأشد من القتل!؟

وفي مكان آخر من المنطقة حيث تهيمن منذ زمن مؤسسات سلفية متشددة، هاج عدد من رجال الدين ضد "معرض الكتاب الدولي في الرياض"، لسماحه –حسب وصفهم- بعرض وبيع كتب الحداثة، فضلاً عن كتب تتناول الأديان "المنحرفة والمذاهب المنسوخة.. وأفكار منحلة وروايات هابطة.." ليطالبوا في بيانهم بإغلاق المعرض لترويجه للإباحية وتحريضه للتمرد على الدين حسب زعمهم...كما لم ينسوا الاحتجاج على الاختلاط بين النساء والرجال في ردهات المعرض مما يشجع الانحلال!.. يا للهول..!

الجهات الرسمية لم تذعن هذه المرة للتحريض على إطفاء أنوار الثقافة، واستمر المعرض حتى نهاية فترته المقررة، بعد أن لقي إقبالاً بلغ مئات الألوف، وتسابقاً على اقتناء الكتب الثقافية المحروم منها المجتمع السعودي منذ زمن طويل. فقد أرسل رواد المعرض بإقدامهم وتهافتهم على الثقافة رسالة واضحة لمن يريد كبح نهمهم للمعرفة.

وليس بعيداً عن الرياض انطلقت عروض "ربيع الثقافة" في البحرين، كمهرجان للخير والجمال والحب وكل القيم الإنسانية الرفيعة، وفي القلب منه عرض "مجنون ليلى"، الاستعراض الفني المتميز من عمل الشاعر البحريني قاسم حداد والفنان اللبناني مارسيل خليفة، الذي قدم شعر وغناء وموسيقى ورقص راقي، حاز إعجاب الجمهور الذي ملأ المسرح وفاض في الممرات وأنصت باستمتاع وصفق بحرارة وامتلأ بفرح الحياة...

إلا أن هذا لم يرض كتل الإسلام السياسي في البرلمان البحريني، فرغم الصراعات بين أطرافها السنية والشيعية فقد اتفقت على مواجهة هذا المد التنويري، بتشكيل لجنة تحقيق – تفتيش- لوزارة الإعلام التي سمحت بالعرض الذي وصفوه بأنه انحدار أخلاقي ودعوة لإثارة الغرائز برقصات خليعة وتحدي ساخر للحياء.. كما رأوا أن الثقافة هي "سخافة"!! وتذرعوا بالشريعة كمصدر للتشريع في الدستور، في محاولة إطفاء أنوار الثقافة الإنسانية، والوصاية على الإنسان الحر وعطشه للإبداع والتمتع بالحياة.

عرقلة التطور والتمدن ليس جديداً على التيار الأصولي البحريني المتزمت الذي سبق أن طالب بإلغاء الحفلات الغنائية كلياً وإغلاق المرافق الترفيهية في الفنادق، ودعا لفصل الجنسين في الجامعات ووسائل النقل والأسواق، وعمل لحجب مواقع الكترونية وحاول إغلاق صحف تروج للحريات الديمقراطية... وقد تصدى له كل ما هو تقدمي في المجتمع، حتى أن أربعين من الجمعيات الفكرية والسياسية والاجتماعية والحقوقية والمهنية تداعت للرد على محاولته الأخيرة لوأد "ربيع الثقافة".

لا نتوقع نجاحاً للإسلام السياسي في نشر العتمة والسواد في أرجاء المنطقة، فستظل المواجهة سجالاً بين النخب الحداثية وممتطي موجة التدين، والناس بطبيعتهم يحبون التمتع بالحياة بألوانها المفرحة وسينضمون بغالبيتهم للمواجهة تدريجياً بعد اقتناعهم من تجاربهم بأن تدينهم حق لهم، لكنه لا يعني تسليم أمورهم لتوجيهات مستغلي التدين لمصالحهم السياسية، كما لا يعني خضوعهم لرجال دين اجتهادا تهم بشرية وليست مقدسة، تنقل وتقتبس بأغلبها من الماضي، دون مراعاة للعصر والتطور والمصالح الراهنة للمجتمع.

لن تقع الغالبية في الخطأ مرة أخرى بالتصويت لرواد الظلامية والتأخر الداعين للحجر على الثقافة والحضارة الإنسانية، رافضي الحداثة والديمقراطية العلمانية وحقوق الإنسان والقوميات وتحرر المرأة...عندها لن ينجح بناء دول طالبانية أخرى، إذ نتوقع أنها ستمنى بهزائم شبيهة بما حدث في أفغانستان والسودان والصومال والجزائر.

ربيع الثقافة .. و خريف قوى الظلام
داود البصري – العراق

لعل أهم ما يميز انطلاقة الإعلام البحريني الحر بحلته الانفتاحية الجديدة التي ترسخت مع حالة ووضع الإصلاحات الدستورية في مملكة البحرين في عهدها الجديد هو حالة الشفافية والمكاشفة وحرية التعبير التي باتت قدرا محسوما وعلامة فارقة في حياة المملكة الناهضة التي يحاول أولياء الأمر فيها تسلق عتبة التقدم الحضاري بعيون مفتوحة وبآمال جسام وهمم نشطة ترنو للعلى ولا تتوقف عند توافه الأمور وعدميتها وغوغائيتها ولو كانت مغلفة بأطر دينية أومذهبية أوأيديولوجية براقة يحسبها الظمآن ماء بينما هي في حقيقتها سراب في سراب.

صراع البحارنة من أجل التقدم والحداثة ليس بالأمر الجديد على هذا الشعب الذي يتميز بخلفية حضارية موغلة في القدم وتمتد لفجر التاريخ، كما أنه ليس منة ولا عطية من أحد ما. فقدر هذا الشعب الحي أن يكون عنوانا دائما للتقدم والبحث عن مفاتيح ذلك التقدم، كما أن للثقافة في تاريخ البحرين دورا عظيما ومتميزا جعل من هذا الشعب لاعبا أساسيا من رواد الثقافة في الخليج العربي. ومعروفة حكاية الأجيال البحرينية التي نهلت العلم في عواصم الغرب والشرق لتعود وتبني وطنا صغيرا في حجمه لكنه كبير في دوره وعطائه الحضاري متألقا متحديا يقارع مختلف الظروف والتحديات من أجل الوصول لهدفه ولو بعدت الشقة وعظمت المخاطر والتحديات.

وشعب بهذه المواصفات حري بأن يفخر بانتمائه وحريته وأن يعض بالنواجذ على كل مكتسبات الحرية والشفافية والانفتاح. وللمثقف البحريني دور ميداني فاعل في عملية البناء المجتمعي، وتلك هي الحقيقة الراسخة والمتجذرة عبر العصور. كما شكلت التجربة السياسية في البحرين بنهايتها السلمية والتوافقية حالة مهمة من حالات التفاعل الحضاري والعطاء المتبادل بين الحاكم والمحكوم وبما وفر ضمانة حقيقية لأمن ورفاهية وسلام وتقدم المجتمع البحريني. فحالة التحول الديمقراطي في البحرين ينبغي النظر إليها بإعتبارها إحدى أهم العلامات الفارقة في تغيير سلمي نحو الأفضل في المجتمعات العربية وبعيدا عن أي شد وجذب وعوامل توتر وصراع طائفية أو دينية أو أي نوع من أنواع الهزات الكامنة في المجتمعات الشرق أوسطية المعبأة بكل عقد التاريخ وأمراضه المتوارثة، وهي الحالة التي يحاول أهل البحرين حكاما ومحكومين تجاوزها بكل السبل. فلا مجال للفرقة والتشتت، ولا مجال بالتالي لكل القوى المتربصة من ظلامية متعصبة أو طائفية مريضة في أن تنشر أباطيلها ورؤاها المريضة في مجتمع حر شب عن الطوق منذ أجيال ويرفض أي صيغة متسللة من صيغ الهيمنة الدكتاتورية أو الوصاية على الفكر الحر والضمير الحي.

وقد تابعت كما تابع غيري الأزمة العنيفة التي رافقت بعض نشاطات أيام " ربيع الثقافة" في البحرين وتلك الضجة التي أثارتها المسرحية الشعرية التي أستغلتها بعض الأوساط الظلامية المعروفة لتحاول فرض وصايتها على المجتمع وتكفر من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، متناسية أن هناك عقولا تفكر وعيونا ترى وأذهانا تحلل الصغائر والكبائر. فقد تتباين الرؤى وتختلف التفسيرات وتتشابك الآراء في قضية المسرحية أو غيرها، ولكن كل تلك التداخلات والخلافات لا يمكن أن توفر مدخلا لأهل الرؤى التكفيرية و الظلامية لان يزحفوا على المجتمع وينصبوا من أنفسهم أدوات مراقبة أو وصاية أو هيمنة. فتلك مسألة مرفوضة بقدر إيمان أهل البحرين بالحرية المقدسة التي لا تتناقض أو تتضارب مع ما هو معلوم من الثوابت والمقدسات. فلا مزايدة على إسلام وعروبة أهل البحرين، ولا مزايدة على الولاء الوطني، وبالتالي لا داعي لان تنصب محاكم التفتيش من جهات لا تمتلك الأهلية ولا الشرعية ولا المسوغات القانونية لكي تكون رقيبة على ضمائر المبدعين و نتاجاتهم.

وقد فوجئنا جميعا بحجم ودرجة الهجوم الكاسح لتيارات أهل الظلام وأتباع الفكر السراديبي على المبدعين وعلى الصحافة البحرينية الحرة التي تقوم اليوم بدور نهضوي وتنموي عظيم.

ففي تلك الهجمة الشرسة تكمن بكل جلاء توجهات واضحة للإجهاز على كل مكتسبات الشعب البحريني في الحرية، فمن خلال عملية خلط الأوراق ومزج السم بالعسل و إستمالة الغرائز والمسلمات الدينية والمذهبية لبعض البسطاء يتم التسلل الظلامي الذي يهدف لمصادرة المجتمع الحر وإقامة محاكم التفتيش في وضع إقليمي ودولي لم يعد يسمح بمثل تلك التصورات خصوصا وأن المنطقة مقبلة على أزمة عنيفة بانت مؤشراتها وتقتضي عملية تضامن وطني شامل ووحدة للصف تتجاوز كل الخلافات المصطنعة التي لن تضيف شيئا للمجتمع بل ستعمل على تقسيمه وتشظيه.

نحن على ثقة بأن الثقافة البحرينية الحرة بألف خير وهي تعيش ربيع حريتها الذي لا يمكن مصادرته، بل يمكننا القول من دون مواربة إن عويل أهل الظلام يؤكد أن أصحاب ذلك الفكر باتوا يعيشون في خريف العمر، فقد تساقطت كل أوراق الخديعة والدجل، ومملكة البحرين قد حسمت الأمر وانتصرت للحرية .

مرسوم أمن دولة ضد الثقافة!!

بدر عبدالملك – البحرين

نتوهم أن من يحاولون الهيمنة على المجتمع برمته هم مجموعة تحركها الأهواء والرغبات، بقدر ما هنالك من مشروع اختطاف كامل للمجتمع بكل السبل والوسائل، وتشييد الثقافة الطالبانية بعد أن اخفق المشروع في أفغانستان وتحول إلى مجموعة من الفلول الهاربة والخلايا النائمة، لعل اللحظة تأتي للانتقام للمتبقين منهم في شتى المدن والأمكنة.

ونخطئ إذا ما اعتقدنا أن محاكم التفتيش انتهى زمنها منذ القرن الثالث والرابع عشر، وان موطنها كان أوروبا وحدها، فقد امتدت بعد تلك القرون إلى مناطق مختلفة وزمن مختلف. فقد تغلغلت إلى بلدان كبلدنا على أمل أن تحكم قبضتها في الخفاء والعلن، ونخطئ مرة أخرى إذا ما تملكنا وهم السبات بأن تلك المجموعات لا تعمل ضمن مخطط أوسع من السيطرة على المساجد والأحياء والمدارس، والجمعيات والمجالس والمؤسسات المصرفية، ومجلس النواب وغيرها من المفاتيح الحيوية لكي تمر مشاريعهم بيسر وسهولة وتحت حجة الديمقراطية، والدفاع عن الدستور والتشريع والإسلام، وبذلك يضحكون مرة أخرى على ناخبيهم بقدر ما يوهمونه بأنهم يدافعون عن الإسلام ويحمونه من الأشرار والدخلاء والثقافة المستوردة. ويكررون على أسماع المريدين والبسطاء في مجالسهم بأن الثقافة تلك، تهديد لقيمنا وأخلاقنا وينبغي محاربتها و إلا ضاع الإسلام من وطننا وضاعت القيم والأخلاق من بين أيدينا، من جراء تلك الثقافة اللعينة والشيطانية.

لهذا انطلقت حربهم على ربيع الثقافة كجزء من الامتداد المستمر للحرب المتواصلة على البرامج الثقافية والفكرية التي شاهدناها دائما خلال هذه السنوات الفائتة من عمر المجلس الوطني، وعرفنا مرارتها معتمدين حاليا على أهم المنابر السياسية بعد اعتمادهم في السابق على المساجد كمدخل للحرب المعلنة على الآخرين، وكأنهم وحدهم المدافعين عن الأخلاق في المدن الفاضلة.

من هنا نبعت فكرة شن الحرب المستعجلة على ربيع الثقافة، بإقرار مجلس النواب للجنة تحقيق برلمانية لربيع الثقافة من قبل عدد من النواب بتشكيلها لتنطلق أكثر من مداها الحالي، وكأننا نستبطن ما في الضمائر من نوايا، ونواصل في المستقبل تشكيل لجان أسوأ منها تذكرنا بالمكارثية الأمريكية التي ندمت الولايات المتحدة الأمريكية لاحقا بتشكيلها، فتم رد الاعتبار للمثقفين الذين حاصرتهم اللجنة لكي يتخلوا عن صداقاتهم لمجرد أنهم في وسط ثقافي مفتوح على الأفكار المتعددة في مجتمع ديمقراطي. وكانت التحقيقات ترتكز في المحاسبة والمساءلة لكيفية وطرق تفكيرهم وضمائرهم. وعلى ضوء تلك الخفايا والممكن واللاممكن يتم محاسبة الفنان والمثقف ويحاصر ويسجن، ويتم عزله ومحاربته في رزقه وحياته.

المكارثية انتهى عهدها منذ عقود، ومحاكم التفتيش انتهى زمنها منذ قرون، ولكن محاكمنا السوداء انبعثت من رماد الوقت في زمن ربيع الإصلاح والديمقراطية والتحديث والانطلاق، وكأنما مشروع الإصلاح غرفة مغلقة على مجموعة صغيرة تمكنت الصعود إلى مجلس النواب، وخدعت ناخبيها لمجرد أنهم قدموا لهؤلاء الناس ذات يوم حقائب مدرسية وبطانيات، وقاموا بأعمال خيرة بأموال الآخرين، وبتلك المنح والعطايا والتبرعات والصناديق الخيرية تغطوا خلف تلك الحقيقة بأقنعة مشروعهم الطالباني في رصد كل ما هو إبداعي وتنويري وخلّاق، يتيح لشعبنا الانطلاق ومعايشة العصر والانسجام مع الزمن وملامسة الروح الإنسانية والإبداعية من خلال تلك الأعمال الجميلة ونافذتها كالفن والأدب.

بينما ترى تلك المجموعة الصغيرة في قبة المجلس الوطني نفسها مسكونة بوهم الخوف والرعب من ربيعنا الثقافي، ونسيان وظيفتهم النيابية في متابعة ومناقشة الأولويات بهدف جر الناس لمتابعات شكلية، وإيهام الناخبين أنهم يدافعون عن الفضيلة باعتبارهم الحرّاس الحقيقيين لبوابة الأخلاق الفاسدة التي ستغير ملامح الإسلام الذي يفهمونه بنهجهم، ويتجاوزون حدوده بتوظيف مواد دستورية بقراءة خاطئة، وتفسير خاطئ في تجاوزهم لحقوق الآخرين ورغبة الآخرين في العيش بطريقة مختلفة في فهمهم للإسلام المتسامح وليس المتشدد.

إن تلك الروح العدوانية للثقافة لها تفسيرات عدة وعميقة الأبعاد، وليس كما يتوهم البعض، لكون الثقافة البذرة الروحية لشجرة الشعوب المتجذرة ولكونها القوة المؤثرة على الإنسان والمجتمعات، ولا يمكن حصارها في مواد ومشاريع قمعية، غير أنهم يدركون أن مجرد انتزاعهم مواد تلجم حركة الثقافة، فإنهم يدفعون مشروعهم لخطوات أخرى للامام، ينتظرون توقيتها لكي يتم الهجوم نحو مواقع متقدمة لمشروعهم الطالباني الخفي.

إن ربيع الثقافة يشكل نقطة تحول واختبار للجميع، وللطرفين المناهضين من الظلاميين والمبدعين ومحبي الثقافة والإبداع والحياة في جدلية الصراع بين الموت والحياة، بين العودة للماضي بكل إرثه المميت وبين المعاصرة الممتدة من عمق الثقافة الخلاقة في التراث الإنساني، حيث في تلك الإبداعات كمنت روح الإنسان منذ قرون وتواصلت في تحديها أمام الحرق والشنق والمصادرة.

واليوم باسم الشرعية النيابية كمنت تلك القوة الظلامية داخل بيت الشعب لمعاقبة الشعب في أجمل جانب من حياته وهو الفن والأدب والثقافة، وهي المعبر الحقيقي عن وجهه المنير في الداخل والخارج. فلماذا خرجت تلك المجموعة في المجلس النيابي بلجنتها وكأنها مولود مسخ لمرسوم امن الدولة؟ ولكنه في رداء معاد للثقافة هذه المرة وليس للسياسة، بعد أن أحسوا أنهم خارج البرلمان لا يمكنهم استملاك المجتمع وخطفه بسهولة في كل مواقع الصراع.

قتلة الثقافة

إسحاق الشيخ يعقوب - السعودية

تَساكُنُ أصولية فقه الماضي في أصولية فقه الحاضر.. واغتراب أصولية فقه الحاضر في أصولية فقه الماضي، أسس بؤس تأخر وتخلف مجتمعاتنا العربية وأوصد أبواب التنمية فيها.. ويلعب الإسلام السياسي دورا في تفخيخ ثقافة الحب والتجاسد الإنسانيين بألغام ثقافة الحقد والتكاره بين الناس..

ولم تكن ظاهرة التساكن الثقافي الأصولي حديثة العهد بقدر ما هي ضاربة في جذور أعماق تاريخنا الإسلامي.. وقد شهدت لنا عصور انقرضت هذا التطاحن الأصولي الفكري والثقافي بين ثقافة الحب التنويرية وثقافة الكراهية الظلامية!!

ومنذ ما يقارب من ٩٠٠ عام كان الشيخ الأكبر - كما لقّبه عصره - محيي الدين بن عربي المتصوف الفذ الذي يرى بوحدة الوجود في صفاء عقلانية مادية نظرته للحياة من زاوية مادية أحاديتها الوجودية.. والتي أصبحت حقيقة جليّة يؤخذ بها في المجالات البحثية والعلمية والأكاديمية، مما أثار قائمة الأصولية الظلامية ولم يقعدها حتى يومنا هذا!!!

وإن من أشهر مؤلفات محيي الدين بن عربي، الذي ولد في مدينة مرسية في الأندلس عام ١١٦٥ وتوفي في دمشق، مؤلفه المثير للجدل " الفتوحات المكية".. ويشن الإسلام السياسي الاخواني حملة تكفيرية اقصائية ضد الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، حتى أنهم دفعوا بالرئيس المصري أنور السادات بالإيعاز إلى البرلمان المصري باستصدار قانون يمنع بموجبه تداول الكتاب المذكور!!

ومعلوم انه في كل مراحل شعوبنا العربية في النهوض والتحرر من ثقافة أصولية الظلام.. والانطلاق نحو غد ثقافة الاستنارة والتنوير، يتصدى لنا الإسلام السياسي الأصولي السلفي والاخواني والمذهبي الطائفي في إحباط وتشويه مشاريعنا الثقافية التنويرية.. وكانت الحملة التشويهية الظالمة ضد " ربيع الثقافة" التي دفعت بها جماعة الإخوان المسلمين، ووحدت حولها جميع القوى الأصولية بشقيها السني والشيعي خير دليل على استهداف الإسلام السياسي الاخواني في قتل روح الحب الإنساني الذي تجلى بأجمل صورة في الأعمال الفنية والإبداعية التي زفها لنا "ربيع الثقافة"، وقد تجلت الأبعاد الإنسانية الثقافية في ارق وأعذب وأجمل صورها الإبداعية في دنف عذابات المحبين الذين يجددون عناق أزلية عشقهم في صفاء إلمامة روحانية ملوّنة بضياء القمر!!

إن الحب هو حقيقة الله في الإنسان، والذين توجهوا رافعين عقيرتهم البرلمانية الأصولية ليحاكموا " ربيع الثقافة" هم يقتلون حقيقة الله في الإنسان، ولا يقيمون وزنا للثقافة الإنسانية التي تجسد محبة الله في الإنسان:

بالسرِّ إن باحوا تُباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباحُ

" ربيع الثقافة" الذي ينزف إيقاعا جسديا ميلوديا عذبا، ولحنا موسيقيا جللا، وشعرا نورانيا، وأداء إبداعيا دنفا، تناول برفق رمز عناق لى التوجد الروحي التراثي بين قيس وليلى، وفجّر جنون العشق فيضا إنسانيا أزليا عبر مملكة البحرين الحالمة عشقا والمتهادية ثقافة تنويرية على مياه الخليج الدافئة.. هو ما أثار غاشية الظلام الاخوانية ومن لفّ لفها من خفافيش ثقافة الكراهية!!

إن " اخونجية" مملكة البحرين شأنهم شأن " الاخونجية" في كل مكان، لا يكفون عن رجم الثقافة التنويرية ماضيا وحاضرا، وكما شوّهوا الوجه الإسلامي التنويري لمحيي الدين بن عربي وطالبوا بمنع تداول مؤلفاته لأنه قام بتجسيد الإسلام مفهوما إنسانيا طيبا رفيقا عطرا متسامحا، وتعاليم هدي تتجدد في الأديان طراً على وجه الأرض:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيـت لأوثـان وكعبـة طـائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهَت ركائبُه فالحب ديني وايماني

هذه هي ثقافة محيي الدين بن عربي التي جعلت منه" الاخونجية" عدواً لدوداً لها.. والذي ما انفكت مؤلفاته تبتهل بمحبة الناس في الإسلام وفي الله وفي الإنسانية، وفي جميع الأديان على وجه الأرض طراً..

وأحسب أن " الاخونجية" في كراهيتهم وحقدهم وعدائهم لـ " ربيع الثقافة" يستعيدون حقدهم وكراهيتهم وعداءهم للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي.. الذي ما انفكت روحه تغزل المحبة وتبدد ظلام الكراهية بين الأديان.

إن الإسلام السياسي الاخواني، الذي عجن بلغة الدم والإرهاب والقتل والاغتيالات السياسية، لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يتلمس الروح الإنسانية وجمالية الحياة التي تفجرت في الأنشطة الإبداعية الفنية في " ربيع الثقافة"، وأصبحت ألحان إيقاع تأخذ بالإنسانية البحرينية على طريق مسار المشروع الإصلاحي الوطني في الحرية والديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان. لقد فجّر الإيقاع الثقافي شعرا وأداء وغناءً ورقصا وموسيقى يشف جمال " ربيع الثقافة" في جمالية واعدة لمشروع الإصلاح الوطني الذي سالت ينابيعه الثرة من بين كفوف الإنسانية البحرينية المعطاءة.

نوابنا الذين يجهلون دور مؤسسات المجتمع المدني

د. عبدالله المدني – البحرين

في الأخبار أن السادة نواب الغرفة المنتخبة غاضبون .. منزعجون .. حانقون، بل و مقهورون!

أما السبب فهو قيام مؤسسات المجتمع المدني الحرة بحشد قواها و الانتفاضة ضد قرارهم المتهور بمعاقبة الثقافة و إقامة محاكم التفتيش لمساءلة المبدعين، و هو ما لم يتوقعوه معتقدين أن الأمر سوف يمر مرور الكرام مثلما حدث في مناسبات مماثلة أخرى خلال السنوات الأربع من عمر مجلسهم السابق.

أما و قد حدث العكس، معطوفا على استمرار فعاليات "ربيع الثقافة" بزخم اكبر وسط حضور وتجاوب جماهيري واسع، و تبني معظم الصحف المحلية لمواقف حضارية رائعة إلى جانب أهل الثقافة و الفن و الفكر، و استعداد قوى المجتمع المدني لتحركات أكثر صدى و وقعا من مجرد بيان تضامني، فقد وقعوا في حيص بيص، و لم يجدوا ما يسترون به خيبتهم سوى إطلاق الاتهامات وتزييف الحقائق و رفع الحناجر بالادعاءات الفارغة.

فقد وصف احدهم مؤسسات المجتمع المدني الموقعة على بيان الدفاع عن الثقافة و الإبداع بالفاشلة. وربما كان هذا الوصف صحيحا لو أن تلك المؤسسات صمتت أو انكفأت أو بلعت قرار الاعتداء على الثقافة و المثقفين دون حراك. أما و قد انتفضت و قالت "لا" كبيرة مدوية، فان وصف الفشل يصبح من نصيب مجلسكم الذي لم يتنبأ بردود فعل قوى المجتمع المدني و لم يحسب حسابها، بل لم يدرك مدى تعلق البحرينيين بالحب و الجمال و الفن و الفرح.

أما كبيرهم الذي علمهم "........"، فقد ظهر في حديث صحفي مطول ليقول بلغة الواثق أن بيان الدفاع عن الثقافة والإبداع أقحمت فيه جمعيات و مؤسسات دون إرادتها. و ردنا البسيط هو: أعطونا برهانكم إن كنتم صادقين! أما برهاننا على زيف ادعاءاتكم فهو خطابات و فاكسات موقعة من مجالس إدارات الجمعيات و المؤسسات المعنية تفيد برغبتها في التوقيع على البيان. و إذا كان دليلكم هو أن جمعية نسائية وحيدة تابعة لإحدى التيارات الدينية السياسية اعترضت على إدراج اسمها ضمن أسماء أعضاء الاتحاد النسائي، فان هذا لا يغير من الأمر شيئا، طالما أن الاتحاد النسائي ببقية جمعياته الإحدى عشر قد وقع البيان بملء إرادته و لم يصدر عنه ما يفيد خلاف ذلك.

ومما قيل أيضا في حملة التشنيع ضد البيان، أن جمعيات كثيرة لا علاقة لها بالثقافة قد استدرجت من اجل رفع عدد الموقعين. و هذا لئن كان ادعاء باطلا، فانه أيضا يشير إلى الجهل الفاضح للنائب صاحب المقولة حول مفهوم الثقافة. فهو هنا يحصر الثقافة و الفنون و الإبداع

بالمنضمين إلى الجمعيات الثقافية فقط ناكرا على سواهم تذوقهم للثقافة و الفنون و اهتمامهم بها. و بعبارة أخرى، يريد النائب الهمام الذي ينطبق عليه المثل العامي "كل من يرى الناس بعين طبعه" أن يقول: ما علاقة الطبيب أو المهندس أو المحامي أو المصرفي أو المحاسب أو الأكاديمي بالثقافة أو الفن، حتى تنتفض جمعيات الأطباء و المهندسين و المحامين و المصرفيين و المحاسبين و الأكاديميين دفاعا عن أجمل و أروع و أهم ما تميز به مجتمعنا المتحضر الذي يريدون اليوم جره إلى القرون الوسطى؟

ثمة أمر آخر كشفت عنه عبثية القرار النيابي بإنشاء لجنة تحقيق في فعاليات "ربيع الثقافة" و ما تولد عنه من تداعيات هو جهل السادة نواب الغرفة المنتخبة بدور مؤسسات المجتمع المدني ومسئولياتها في ظل النظام الديمقراطي. و قد بدا ذلك واضحا من تصريحات بعضهم المتشنجة من تحت قبة البرلمان، من تلك التي استهجنوا فيها قيام قوى المجتمع المدني بالتحرك ضد "السلطة التشريعية" و انتقادها، و كأنما واجب هذه القوى أن تصمت أو تدير وجهها أو تبصم إزاء ما يرتكب من خرق للدستور و الميثاق و حجر على العقول و انتهاك لحريات المواطن في الاختيار، مثلما تفعل صناديقهم الخيرية، التي تباهى بها احدهم كدليل قوة و جماهيرية.

لقد نسوا أو لم يدركوا أن الديمقراطية التي جاءت بهم إلى مقاعدهم لا تكتمل إلا بوجود مؤسسات المجتمع المدني الحرة الفاعلة، من تلك القادرة على الفعل و التأثير و النقد، بل مراقبة أداء السلطة التشريعية و محاسبتها حينما تضيع الأخيرة بوصلتها أو تقصر أو تستخدم الأدوات المتاحة لها في مصالح و أجندات خاصة ضيقة لا علاقة لها بمصالح الوطن و المواطن. و بكلام آخر اعتقدوا أنهم وحدهم من يملك التصرف بحرية في شئون الوطن و تحديد خيارات المواطن، و أن لا رقيب فوقهم يحاسبهم أولا بأول قبل حلول ساعة الحساب الأكبر بعد أربع سنوات.

إن لحوم أهل الفكر و الثقافة و الفن مرة، فاحذروا نهشها أو الاقتراب منها. و كذا الحال مع لحوم جمعيات ومؤسسات المجتمع المدني الحرة التي تمثل نخب الوطن المتعلمة و تضم الآلاف من خيرة أبناء و بنات البحرين نسبا و تأهيلا و خبرة وتخصصا في شتى المعارف. فهؤلاء هم من بنوا هذا الوطن بسواعدهم و علومهم و ساهموا في ازدهاره و تنميته و رقيه و دافعوا عن استقلاله وعروبته، يوم كنتم لا تزالون في الروضة تتعلمون "جزء عم" .. أو يوم كان بعضكم أو بعض قادتكم و أتباعكم يشاركون المجاهدين في تدمير أفغانستان، أو يتآمرون في الخارج ضد النظام برعاية "الحرس الثوري"، أو يطبقون سرا تعليمات "المرشد العام" القادمة من وراء البحار في الهيمنة و الإقصاء وضرب كل منجز حضاري و تقدمي.

نواب ضد حرية الشعب

محمد فاضل - البحرين

مع الإفطار، يبدأ الأميركيون يومهم برسوم كاريكاتيرية ساخرة في معظم الصحف والمجلات الأميركية ناهيك عن عروض التلفزة الساخرة من الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش. رئيس الدولة العظمى الوحيدة في العالم. كاريكاتيرات وسخرية لاذعة لا حد لها لسياساته وخطبه ولكل كلمة ينطق بها. أما البريطانيون، فهم مثلهم مع توني بلير وكذلك الفرنسيون مع جاك شيراك. لا يقتصر النقد والسخرية على هؤلاء، بل إن نقد الزعماء والسياسيين والشخصيات العامة أيا كانت، من التقاليد الثابتة في الصحافة والإعلام في الديمقراطيات العريقة منذ زمن بعيد.

لم يحتج جورج بوش يوما على أي كاريكاتير، ولم يستنكر الأمر، ولم يعلن البيت الأبيض انه بصدد محاكمة أي من رسامي الكاريكاتير في الصحف الأميركية الذين اعتادوا على رسمه بآذان طويلة وسلخه حيا كل يوم مثله مثل كل الرؤساء والمسؤولين والشخصيات العامة من الأميركيين وغيرهم في العالم كله.

لكن النواب في بلد صغير اسمه البحرين مازال يختبر الديمقراطية يحتجون ويطالبون الصحافة بالاعتذار لأنها انتقدت مواقف معلنة لهم وقارعتها، ويذهبون إلى حد المطالبة بمحاسبة الصحافة لأنها انتقدت النواب مثلما ذهب النائب إبراهيم بوصندل وطالب وزارة الإعلام بأن توجه لها (الصحافة) النقد . أما النائب ناصر الفضالة فقد وصف الجمعيات التي وقعت بيان دفاعاً عن الثقافة والإبداع بأنها ليس لها وزن في المجتمع، "ولا يحق لها هذا".

النائب جاسم السعيدي يهدد بالمنابر ، أما النائب صلاح علي فيتذكر الدستور وتحديداً مادة واحدة منه هي التي تقول "البحرين عربية إسلامية" ويذكرنا تصعب مقارعة المشروعات في هذه المجلس، "نحن اقسمنا على الدستور وحق علينا أن نحافظ عليه".

إنها واحدة من المرات القليلة، إن لم تكن الأولى، التي يتذكر فيها احد النواب الدستور. ومن الواضح أن التذكير لا يشمل الدستور كله بل مادة وحيدة منه. تماما مثلما هو الحال في التعامل مع عرض فني كامل بضع مشاهد فقط تكفي للإدانة. فالدستور نفسه الذي يذكرنا به النائب صلاح علي هو نفسه الذي يورد أكثر من مادة تنص على حرية الضمير وحرية التعبير والنشر وحرية الإبداع ورعاية الدولة للثقافة والفنون. والتلويح بالدستور والقسم باحترامه جدير بتذكيرنا أن الجدل حول مادة واحدة في الدستور يقتضي أن يكون ثمرة بحث في كل مواده وليس مادة واحدة منه. فعندما تقابل هذا المادة التي استشهد بها علي بالمواد التي تنص على حرية الضمير وحرية التعبير وحرية الإبداع وكفالة الدولة لهذه الحقوق، توضح بجلاء أن هذا التسرع لهذه المحاكمة إنما ينم عن اجتزاء للدستور نفسه. انه الاجتزاء الذي تتعرض له الحريات الشخصية التي ينص الدستور على كفالتها في أكثر من مادة من مواده وديباجته وتحديداً في المادة ١٩ التي تقول في البند (أ) "الحرية الشخصية مكفولة وفقا للقانون".

هذا الاجتزاء للحرية، وتحديدا حرية الآخرين، يجد ترجمته الأهم لدى النائب ناصر الفضالة في عبارته تلك. فإذا كان من حقه أن يصف الجمعيات بأنها ليس لها وزن ومن الفاشلين فإنه يخلص إلى استنتاج يعبر عن فكر إقصائي عندما يتوج عبارته بصيغة قطعية تقول لا يحق لها هذا. هكذا بصيغة قطعية يحكم النائب الفضالة أنه ليس من حق احد ممن يراهم هو أنهم فاشلون وليسوا ذوي وزن أن ينتقد مواقف وتصريحات وخطوات يقوم بها النواب. هنا نقول بكل وضوح: ليس من حقه إنكار حق الآخرين في إبداء الرأي سواء على مواقف النواب أو الحكومة سواء بسواء أيا كان الموضوع المطروح للجدل والنقاش.

ديمقراطية الصفوة من الناجحين، تعبيرات تذكرنا بديمقراطية أثينا ما قبل الميلاد التي كانت متاحة لطبقة الأثرياء والمحاربين في أثينا من دون العامة من الناس والعبيد. وقبل أسابيع قليلة، كان هناك من يذكرنا بهذا المفهوم الإقصائي عندما أعلن النائب خميس الرميحي رفضه تدخل بعض الجمعيات السياسية في عمل وصلاحيات النواب. النائب الرميحي يرفض حتى حق المناشدة نفسه، وينكر حق الجمعيات غير الممثلة في البرلمان في أن تعلن أي موقف أو تطالب أو تناشد النواب باتخاذ أي موقف، فهذا الحق مكفول للنواب فقط من دون غيرهم، أي تلك الصفوة من الناجحين، ومن عداهم لا يحق له إبداء أي رأي أو التعبير عن أي موقف.

الدستور الذي تذكره النائب صلاح عليٍ هو نفسه الذي بقينا نذكرهم به منذ الفصل التشريعي الأول. أربع سنوات لم نسمع أحداً من النواب يتذكر الدستور عند مناقشة تلك القوانين المقيدة للحرية، لم يتذكر احد المادة (٣١) التي تقول "لا يكون تنظيم الحقوق والحريات العامة المنصوص عليها في هذا الدستور أو تحديدها إلا بقانون أو بناء عليه. ولا يجوز أن ينال التنظيم أو التحديد من جوهر الحق أو الحرية".

هؤلاء نواب وصلوا بالاختيار الحر عبر صناديق الاقتراع لكنهم ما إن وصلوا اعتبروا أن لديهم حصانة من النقد ولا يحق لأحد أن ينتقدهم، فتراهم يطالبون وزارة الإعلام بلجم الصحافة، وتارة يعلنون أن لاحق للفاشلين أن ينتقدوهم، وتارة لا يحق للجمعيات المرخصة أن تطالبهم بشيء.

لقد تكررت هذه الصيغة على لسان النواب منذ اليوم لتدشين هذا البرلمان "لا يحق للجمعيات السياسية ولا يحق لأحد إرسال رسائل نصية للنواب" ولا يحق لأحد أن ينتقد أو أن يزايد عليه. عبارات ومفاهيم تذكرنا دوما بأن هتلر وموسوليني وصلوا أيضاً إلى الحكم عبر صناديق الاقتراع.

وعندما عدت لقراءة تلك الوثيقة التي نسيها الجميع و التي أطلقنا عليها ميثاق العمل الوطني، وجدت نفسي اضحك عندما قرأت هذه العبارة في ديباجة الميثاق: "وقبل انبثاق فجر الرسالة الإسلامية كانت البحرين تحتضن بحرية تعدد الأفكار والمعتقدات على أرضها في نموذج نادر المثال في تلك العصور".

وفي الفقرة التي تليها : "في ظل هذا التسامح الروحي والفكري ازدهرت الثقافة وتعايشت الأديان وشهد الشعر العربي على لسان شعراء البحرين أورع القصائد في الفكر والوجود مبشرة بنهضة جديدة للعرب على مسرح التاريخ".

خريف الثقافة البحريني

احمد بزون – لبنان

في لبنان يختلف السنة والشيعة، أما في البحرين فيتفقان ضد "مجنون ليلى"، ضد حرية التعبير، بل ضد "ربيع الثقافة". حيث إن قرار مجلس النواب البحريني، بأصولييه السنة والشيعة الذي دعا إلى التحقيق في العرض الافتتاحي "مجنون ليلى" لمهرجان "ربيع الثقافة"، (الذي اتخذ من نصوص الشاعر البحريني قاسم حداد وألحان الفنان مرسيل خليفة مادة لعرض فني اجتمع فيه الغناء والموسيقى والشعر والرقص التعبيري)، اعتبر أن العرض يخرج على الآداب العامة ويدعو إلى الغواية باسم الحب، ويثير الغرائز ويشجع على الفاحشة.

مشهد يتكرر في البحرين ولبنان والكثير من البلدان التي بات صوت الأصوليين الإسلاميين مسموعا فيها، ما يؤدي بالفعل إلى كارثة ثقافية تنقلنا إلى مجتمعات مقفلة متعصبة وحجرية، كما كانت في دولة طالبان بأفغانستان سابقاً، تصل فيها الأمور إلى منع البنات من الذهاب إلى المدارس.

نعرف أن الإسلاميين سنة وشيعة مختلفون في درجة انتمائهم إلى الماضي، ودرجة تعاملهم مع الحريات العامة، ودرجة التخلف التي يريدوننا أن نعود إليها، إلا أننا، نحن، الذين نرفض ممارسة السلطة ضد الدين، نرفض بقوة أيضا ان يتحكم المتدينون برقاب عباد الأرض. فليمارسوا حريتهم ويتركوا الآخرين يمارسون حريتهم أيضا.

الخطورة تكمن في أن هذا التسلط إذا استمر في التمادي، من شأنه ان يلغي حضارات بكاملها، فنوناً بكاملها، وآدابا، واختراعات، وأدمغة ساهمت في تطوير البشرية.

ليست المرة الأولى التي يتعرض فيها مرسيل خليفة لمثل هذه الاستفزازات، فلا نريد أن نعود إلى قضية "سورة يوسف" والتأويلات المرافقة لها، إنما نريد ان نكمل من نقطة إفشال محاكمة خليفة في بيروت، منذ ثلاثة أعوام، ونكمل في قطع الطريق المؤدي إلى منع كل بهجة في هذه الحياة بذرائع وتأويلات دينية يريدون فرضها علينا.

بالأمس قام بعض إسلاميي فلسطين بمحاولة شطب جزء من تراث شعبي، وسوف تتشكل لجنة في البرلمان البحريني لمحاكمة المسؤولين عن "ربيع الثقافة" وربيع الحياة والفرح والفن والحب. فمن يحمي الممانعين للفكر الأصولي في عالمنا العربي والإسلامي، إذا كان الأصوليون يغزون البرلمانات والحكومات، وبعد قليل، ينتهكون حرمات البيوت، ويدخلون غرف نومنا ليحددوا لنا المحرم والمحلل في نشاطنا اليومي، وفي تفكيرنا وفي سرنا وعلننا.

يريدون ان يحاسبونا على إثارة الغرائز، فهل نعدد الغرائز التي يثيرونها هم ليبيحوا ذلك القتل الجماعي في العراق والجزائر وباكستان وسواها من البلدان التي تطول فيها اللحية حتى لتشبه قائمة ثالثة، تساهم في تأكيد ثبات الكائن مكانه إلى أن يمر به العصر الحجري مرة أخرى.

إنه خريف الثقافة البحريني، بل خريف المنطقة والأديان والعالم.

يا أحبتي في البحرين

مصطفى أحمد نعمان - اليمن

تعلق قلبي بحب البحرين وأهلها ونسيم خليجها.. تعلمت فيها أن الوطن يمكن أن يمتلكه كافة مواطنيه.. وأدركت حينها أن الوطن يمكن أن يجمع تحت سمائه مشارب مختلفة ومذاهب مختلفة ورؤىً مختلفة..

لكنني اشعر اليوم بحزن شديد على ما يجري فيه، باسم الديمقراطية والتعددية.

محزن أن ينقسم بلد مثل البحرين حول أمسية موسيقية.. أمسية امتزجت فيها شاعرية قاسم وروعة مارسيل.. وأتذكر اليوم أني حضرت حفلا لمارسيل في البحرين في زمن ما قبل الديمقراطية.. وأتذكر أن الأمر لم يكن يومها محل نزاع وخلاف.. ولم تثر حول تلك الليلة الجميلة حملات تكفير وتخوين.

كيف تناسى البحرينيون همومهم وانشغلوا بكلمات قصيدة، وجمال لحن، أقل ما يقال فيهما إنها من روائع الأدب والفن العربيين.. وكيف أدار البحريني ظهره لحب الجمال وكلمات العشق والمحبة والمودة.

ليس هذا هو البحريني الذي عرفته.. وكلي ثقة أن البحرينيين يعلمون أن وطنهم أغلى من الشجار والنزاع حول قضايا تجاوزها العصر، ولا يجوز أن تشغل بال أحد.

البحرين لا يمكن أن تبقى إلا بتسامح أهلها ورقتهم وترفعهم.. فهل يدرك كل هؤلاء أنهم يدمرون تجربتهم الرائعة في نشر الوعي الديمقراطي، إنهم لا يصنعون صنيع أبائهم وأجدادهم حين كانت البحرين رئة الخليج والجزيرة ورائدة للتنوير فيها.

أتمنى أن يعمل هؤلاء على ترسيخ الهدوء النفسي لأبناء وطنهم..

وألا يفعلوا ما فعلته شعوب أخرى، ندمت حين لم يعد ينفع الندم.. وأن يبتعدوا عن الإساءة إلى القيم الإنسانية التي يدعون الدفاع عنها.

لكم يا أهل البحرين حبي وشوقي وحنيني.

ربيع قاسم و مرسيل
عبدالوهاب ابوزيد - السعودية

مؤسف ما حدث في البحرين في ربيع ثقافتها لهذا العام وأمر يدعو للدهشة والامتعاض أن يتعرض مبدعان في مثل قامة ومكانة قاسم حداد ومرسيل خليفة لمثل ذلك الهجوم الذي شنه عليهما "حماة الفضيلة" و "حراس النوايا" الذين أبوا إلا أن يشمروا عن سواعدهم ويسنوا سكاكينهم ليلوحوا بها في وجه كل من تسول له نفسه " الأمارة بالسوء" أن يجرب جناحيه في فضاء الحرية والإبداع والجمال غير المشروط.

ومما زاد الأمور سوءا والطين بلة كما يقال أن تجيء تلك الهجمة الشرسة من تحت قبة البرلمان الذي يفترض به تمثيل أصوات الشعب وأن يضطر المبدعون الذين طالهم ذلك الهجوم الضاري للاستنجاد والاحتماء بالسلطة السياسية التي طالما اشتكوا من عسفها وتنكيلها بهم أو إهمالها لهم على أقل تقدير.

إنها مفارقة عجيبة حقا تدعو للدهشة والضحك الذي يشبه البكاء كما يقول المتنبي "ولكنه ضحك كالبكا". يبدو أن هؤلاء الحماة والحراس الأشاوس لم يجدوا أحدا يستطيعون أن ينشبوا مخالبهم فيه إلا المثقفين والمبدعين المغلوبين على أمرهم الذين ليس لهم من ملجأ يأوون إليه أو جدار يستندون عليه سوى ما ينزفونه وما يبثونه من عصارات أرواحهم ووجيب قلوبهم التي لا تنشد إلا الجمال ولا تسعى إلا إليه.

كل من يعرف قاسم حداد ومرسيل خليفة ويعرف ما يمثلانه من خلال مسيرتهما الإبداعية والحياتية يدرك يقينا أنهما أبعد ما يكونان عن الترويج للرذيلة وخدش الصورة الطهرانية الكاذبة للمجتمع الذي ابتلي للأسف الشديد بمن يريدون فرض وصايتهم الأبدية والمطلقة عليه.

الإبداع .. نزعة الإنسان الجوهرية

محمود كرم – الكويت

بالتأكيد إنها الأشياء التي في دواخلنا ومن حولنا هي التي تضعنا دائماً تحت وطأة التجليات الإبداعية ، تلك الأشياء التي ما أن نشعر بأننا قد تهاوينا في الفراغ والتشظي والتقوقع والانطفاء ، حتى تُرجعنا مجدداً إلى دكة التساؤل ووهج الكلمة ومنبع الدهشة ومعين التأمل ودفقة الفكر وومضة التجلي وخفقة الروح ..

الشاعر والشاعرة والروائي والروائية والكاتب والكاتبة والرسام والتشكيلي وكل مَن يشتغل في حقول الكلمة والفنون والأدب ، وأيضاً كل مَن يخوض غمار هذه الفضاءات الإنسانية وغيرها مجترحاً عوالمَ ابداعية مميزة خاصةً به أو بها ، لا بد وأنه قد مرَ يوماً بهذه الحالة ، حالة الفتور مع الأشياء من حوله وحالة النفور ربما من الأشياء في داخله حد التباغض معها ، وما أن يستعيد بعض سحر الأشياء في داخله ومن حوله ، وبعض توازنه معها ، ويمضي متصالحاً معها ، حتى يتدفق فجأةً بالسحر والدهشة والإبداع والألق ، وقد يتوقف هذا الأمر في نهاية المطاف على نظرة كل واحد منهم للأشياء في داخله ومن حوله ، ومَن باستطاعته أن يذهب بعيداً في تجلي الأشياء فأنه بالتأكيد قد ذهبَ بعيداً بالأشياء ذاتها في داخله إلى حد الانصهار معها اتحاداً وابداعاً وعشقاً في مداراتها المتعددة ، وصانعاً في الوقت نفسه لحظته الخاصة به باحترافية مدهشة ، تلك اللحظة البارقة من توهجات الذات المبدعة ، حيث تتكثف في الوجدان كلحظة زمانية خاصة يعيشها المبدع المتجلي بكل أحاسيسها الداخلية ومشاعرها النابضة بدفق التأمل ، ولكنها في الوقت ذاته ، أي لحظته الزمانية الخاصة تشي بالامتداد المكاني ، حيث اللحظة تتمدد عميقاً في ذاكرة الأمكنة وتكون مفعمة بالرحيق الآتي من زواياها المتجذرة في الذاكرة ، ولا يمكن أن تفصل أي فنان أو أي فرد يتجلى ابداعاً وألقاً من طاقته الروحية والفكرية الكامنة فيه ، فكلما كان متحداً ومنصهراً مع طاقته تلك ، كلما كان معبراً أكثر عن مكنونات ذاته المبدعة الناطقة بتلاوين التأملات والتصورات والأفكار ، وكلما كان متجلياً في استنطاق الأشياء المتغيرة في ذاته كلما كان قريباً من تجربته الخاصة ومتداخلاً معها بعمق ، ومستلهماً منها ينبوعاً من الفكر المتجدد والإضاءات المدهشة ..

وانطلاقاً من ذلك تتولد ثمة حقيقة تتجسّد في أن التجليات الإنسانية في مجالات الفنون والأدب والكلمة وغيرها من مجالات الإبداع الإنساني ما هي إلا فتوحات إبداعية مشرعة النوافذ على الحاضر والمستقبل تستشف احتمالات مفتوحة الآفاق تتخلق في وعي الذات ، وتتشكل بكثافة وعمق في لغة خاصة ومتفردة بين (أنا) المبدع والمتغير من الأشياء من حوله

وفي أعماقه ، وقد تعكس تلك الفتوحات الإبداعية الحالة الوجدانية والثقافية التي يكون عليها المتجلي المبدع ، متداخلاً مع التصورات والموضوعات المختلفة والدلالات الكامنة في كل ما له علاقة بالطبيعة أو المحيط أو الزمان الذي يتحرك فيه أو المكان الذي يتجذر في زواياه وأبعاده الفسيحة ، وكذلك فإن التجليات الإبداعية ما هي إلا صياغات فنية وجمالية مشبعة بالتألق المعرفي الذي يصنعه المبدع بتفاعلاته التأملية مع الأشياء والموضوعات والأفكار في ذاته بالدرجة الأولى ومن ثمَّ مع ما حوله ، لتصبح تلك الصياغات فيما بعد مقترحات أو اقتراحات حياتية جمالية وفنية وبلاغية وابداعية تحاكي بعمق متأصل الواقع المعيش الذي يحوي في حراكه الدائم والمتغير التجليات ونزعة الإنسان الجوهرية في الإبداع ، ويحوي أيضاً كل حركة الحياة بوجوهها المختلفة الكثير في الوقت نفسه ..

وقد أتفق جزئياً مع مَن يقول أن المبدعين في بعض الأحيان قد تخذلهم قلوبهم على اعتبار أن القلب لحظة الضعف بامتياز على حد قول الفيلسوف بول ريكور ، ولكن في مجمل الأحوال لن تخذلهم عقولهم ، بل تبقى متقدة ومتحفزة للإبداع والتألق المعرفي ، وتبقى عقولهم تدفعهم لتبني الفتوحات والاحتمالات والمقترحات مندفعة بزخم الابتكارات والتصورات والأفكار ، وإن استسلمت قلوبهم لبعض الوقت للضعف أو الوهن أو الانطفاء ، فما تلبثُ أن تتوثب فيما بعد بالنبضات والتدفقات الإبداعية الحافزة للإرادة الإنسانية في اجتراح التجليات الجمالية الإبداعية ..

وفي منحى آخر لا يمكن أن نغفل عن حقيقة واضحة وهي أن في داخل كل فرد توجد مساحة فطرية من المحفزات والتجليات الإبداعية والومضات الخلاقة ، ولكن ما أن يصطدم الفرد بجملة من الواقعيات المعاشة المحيطة به وببيئته وبمجتمعه ، حتى تنطفيء في داخله تلك الومضات والمحفزات والإضاءات الإبداعية ، من خلال ما يفرضه الواقع عليه من مسلمات ثقافية أو موروثات دينية أو يقينيات مطلقة أو عادات وتقاليد مجتمعية موغلة في التعصب والانغلاق والجمود ، تقتل فيه بطريقة أو بأخرى ، نزعة الإبداع والانطلاق والتجديد والتغيير ، وتقتل فيه الطموح والمثابرة والحماس ، ليذوب تلقائياً في الفضاء العام وفي الثقافة السائدة وفي نمطية التقليد الصماء وفي الحالة الراكدة المألوفة التي عادةً ما تكون عليها تلك المجتمعات ، ولأن الإنسان بطبعه بشكل عام يجد السلامة في مسايرة الشائع والسائد والمألوف ويتخوف من الخروج على تلك الأطر السائدة والمعتادة ، فأنه من الطبيعي أن يتراجع عن انطلاقاته في التغيير والتطور ومخالفة السائد ويستسلم في نهاية الأمر لحالة المجتمع الجامدة المتوجسة من الإبداع والتجدد والتغيير والانفتاح والتخوف تالياً من طرح أو تداول الأفكار المغايرة الجريئة ، ولذلك نرى في كل المجتمعات التي شهدت ولادات إنسانية ابداعية في الفن والأدب والفكر

والثقافة كانت من صنع مبدعين خلاقين تمردوا على السائد من الثقافات والأفكار، وتجاوزوا المسلمات ، وكسروا موروثات القوالب المعرفية الجامدة ، وخرجوا عن هيمنة ثقافة العادات والتقاليد المجتمعية ، ولم يكن ذلك الأمر بالنسبة لهم سهلاً على الإطلاق ، لأن طبيعة أي مجتمع ينفر من الجديد ويحارب الأفكار الشاذة الخارجة عن المألوف ، والتاريخ مليء بالمحاولات الاستلابية التي مارسها الجامدون والتقليديون والدينيون والماضويون في حق المبدعين والخارجين على عباءات الثقافات الدينية والثقافات الجامدة والسائدة والمتقوقعة والماضوية منذ غاليليو وما قبل غاليليو وإلى يومنا هذا ..

ولكي تبقى جذوة الإبداع ووميض التجليات مستعرة في داخل كل فرد ، فإن ذلك يتخلق أساساً في مخاضات الإرادة الإنسانية الحرة ، فلا وجود لإبداع حقيقي ومؤثر وباهر الفتنة والضوء من غير إرادة حرة متحررة من قيود الأطر القامعة للانطلاق والتغيير والتجديد ، كالأفكار والثقافات والبيئات والتقاليد والمعرفيات والموروثات الدينية وغير الدينية المتسمة بالانغلاق والتعصب والجمود والماضوية واليقينية ، والمتسمة أيضاً بقداسة الثقافات الصنمية السالبة نزعة الإنسان الفطرية للحرية والإبداع والتجلي الذاتي الخاص ، ومن ثمَّ سالبة لحرية الفرد في إرادته الذاتية الاختيارية بقوة المفروضات الثقافية السائدة وبسطوة الفروضات الأخلاقية المتوراثة في العقل الجمعي ، ولذلك كانت فلسفة الرواقيين الإغريقيين ترى أن جوهر الوجود الإنساني يرتكز على الإرادة الحرة المفعمة بفعل الرغبة في التفاعل الحقيقي مع حركة الحياة وكل ما فيها ، الإرادة الحرة التي تكون بالضرورة عاكسة لهوية الفرد الإبداعية في مختلف المجالات ، وتتجذر بالتالي بكثافة في برمجيات تأخذ أشكالاً في التفرد والتميز الإبداعي لتجد طريقها في نهاية المطاف تتبلور في حركةٍ متلاحقة من التصورات والرؤى والأفكار ، ولذلك تصبح إرادة الإنسان الحرة معنية بشكل خاص في تأسيس الانطلاقات الإبداعية للفرد من خلال تشكلها في هوية محددة تستند بثبات على مكونات تجربته الشخصية وعلى تفاعلات حركته المعرفية وعلى ومضات ذهنه المتقدة ، لتعي تماماً وبعمق أساس وجودها التفاعلي في الحياة ، وليس بعيداً عنا قول الفيلسوف (نيتشه) في هذا الصدد (حيث توجد حياة ، توجد أيضاً إرادة) ، بما يعني أن الحياة بأنماطها المختلفة ووفقاً لطبيعتها تتطلبُ وجود فعلٍ إنساني يتجسد في قوة الإرادة وحركتها الواعية ، تستثير في العقل والوجدان والذاكرة ، الأهداف والحقائق والمقترحات العقلية والجمالية والذوقية والفنية الحياتية بصورة عامة ، وخارجاً ، أي الفرد بإرادته الحرة إلى كل تلك المساحات الرحبة الفسيحة من هيمنة وسطوة واستبدادية موروثاته وثقافاته الدينية الماضوية ، وثقافاته التاريخية والمجتمعية والبيئية التي تعيق وتكبل حريته وإبداعه وانطلاقه وفنه وجماله الذاتي ، لأنه لم يجد في كل ما سبق شيئاً يحقق من خلالها شروطه الحياتية واشتراطات إبداعه وتألقه وفنه وجمالية تصوراته وحركته الإبداعية وأفكاره الحرة ، وداخلاً في الوقت نفسه لصناعة عالمه الإبداعي

بتلك المساحات المتضمنة أهدافه وحقائقه ومقترحاته وشروطه ، داخلاً بها بتفاعل مع إرادته وتجربته ووجوده ونظرته وفعله ووعيه وخياله وأخلاقه ومشاعره وقلبه ووجدانه وأحاسيسه ، ولذلك أجد أن الإبداع الإنساني المتعدد والرحب المدفوع بفعل الإرادة الحرة المتحررة من الروابط المعيقة والمقيّدة والمكبلة لها هو جوهر وجود الإنسان في اجتراح تنويعات وتلوينات الحياة المختلفة ، لأن الفرد من خلال تجلياته الإبداعية المفتوحة والمتعددة والحرة والقافزة إنما يحقق واحدة من أكثر اشتراطات الحضارة أهميةً وفاعليةً وهي أن يملكَ القدرة والتفوق والإبداع والتجلي على ابتكار المستويات الحضارية والتقدمية والحداثية من خلال معايشتها وتقبلها والتفاعل معها بفكر وعقلية وإرادة الإبداع والتأمل بشكل عام ، فالتحضر والتقدم والرقي والحداثة في أكثر الأحيان تصبح عصية على الفرد وبعيدة منه ومستحيلة أو صعبة عليه إذا ما رفضها ورفضَ تقبلها ، ورفضَ بأي شكل من الأشكال معايشتها أو اجتراحها أو التداخل فيها ومعها ..

خيارات العاقل تنتهي حينما يكون الجهل سيدا
خالد الرويعي – البحرين

ليس علينا أن ننتظر تراجعاً أو تهدئة لمواجهة هذا كله.. حدث ما حدث.

وليس في صالح البحرين وواقعها الثقافي أن يكون مرد هذه الأزمة تخاذلاً من نواب التأزيم أو أخذ الأمور على عواهنها من أوساط المثقفين ومنهم من هو في فوهة المدافع.. لم يعد التراجع الآن ممكناً، فهذه الأزمة هي الرهان الأخير لقراءة مستقبل البحرين الثقافي والإبداعي، وهو مستقبل للخارطة المجتمعية، ولا مناص للحكومة أو عامة الشعب من كسب هذا الرهان، وهو خيار الحرية. فما حدث من نواب التأزيم ليس وليد اللحظة، بل هو نتاج متأصل لتربية الوحش الذي بداخلنا، وتربية (حقوق) المصادرة التي تتمتع بها فئات عجزت عن ترويض الوحش الذي بداخلها فراحت تطلقه (علي وعلى أعدائي) و (أنا ومن بعدي الطوفان)، عجزت عن تقبل مجتمعها بكل براءة، كما لو أن (مدناً فاضلة) واثقة الخطى تمشي، كما لو أن حصانة (إلهية) توزعت على تلك الذوات.

لم يعد التراجع ممكناً بعد الآن..

فمنطق دعاة العقل والحوار لم يعد مجدياً الآن.. لأننا وببساطة نعيش مع منطق (ربيع السخافة) ومنطق أناس يرون أن مجتمعاتهم أصبحت أوكاراً للفسقة والكفار ومنتهكي "الحرمات" والظلمة.. هل باستطاعتنا أن نقتنع بدعوى الحوار إذا كانت النتيجة واحدة والاتهام واحد.. كيف يعيش مجتمع وألوان الطيف واحدة بالنسبة إليهم؟

أما الآن.. فالمجتمع يتجرع أفكار هؤلاء وتوغلهم، والوطن يغص بالفئات "النورانية" التي لا ترى في الولاء سواها، ولا ترى في المصلحة العامة شريكاً لها، ولا ترى في مملكة الرب غريماً لها، ووحدها الفئة الناجية.

أما وقد وصل الحال إلى ما نحن عليه من "هستيريا" وتكبر وافتراء وترهيب، فعلينا أولا أن نوضح مسألة غائبة وملتبسة لدى نواب التأزيم، وهي أن المسألة لم تعد محصورة في عرض أو في مبدعين تم التشهير بهما وتعريض أخلاقهما وقيمهما للبيع على ألسنة الصالح والطالح، فمكانتهما لن تهتز لمجرد أشخاص (لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة)، فالمسألة الآن أصبحت مستقبلاً ودفاعاً عن خارطة البلد الثقافية، دفاعاً عن ما بقي لنا من هواء، فالذين كانوا يهددون الناس بالسياط في السابق صاروا الآن يهددون باعتلاء المنابر واستخدامها لأغراض شخصية، ونسوا أنهم – وهم منتخبون وليسوا معينين كما قال أحدهم وفي ذلك استهزاء بتكوين المجلس الوطني – نواب، ومن شيم النواب أنهم يمثلون الجميع من دون تمييز حتى لو على أنفسهم.

إن منطق الخطاب الاستبدادي ومحاكم التفتيش لا يكف أبدا عن حجر حقيقة الاختلاف، فاستسهال البعض منهم بأن المسألة لا تعدو كونها لجنة تحقيق، هو منطق انهزامي لا يعي مستقبل البلد ولا ينظر إلى أبعد من ظله، فلجنة التحقيق تعني إجراء، وتعني محاكمة وربما توليد لجان أخرى ومحاكمات تترى وبدعة في شرع الإبداع، فالذي كان يهاجم شاعر البحرين قاسم حداد ويستغفر تحت قبة البرلمان كان حرياً به أن يستغفر عن أمور أخرى يراها هو وقرينه. أمور كانت تعكر "صفو" الآخرين ممن يصطف ويصطفون حوله. إذ لو كان أحد الموقعين لسحب توقيعه.

منذ سنوات طويلة، كانت الحكومة والمؤسسات الرسمية بعيدة كل البعد عن قراءة واضحة المعالم لهذا المجتمع، ولم يكن باستطاعتها أن تحافظ على اليسير من روح التسامح والتعايش السائدة في عقود خلت، بل راحت تجفف منابع الحقول في بعض مواطن الثقافة والتعلم، ولم تكن هذه المؤسسات تعمل لوحدها، فقد تلاقت مصالح جمة لخلق هذا الواقع الذي نعيش.

فمؤسسات التعليم كوزارة التربية مثلاً لم تر ضيراً في مغازلة بعضهم بإلغاء مواد الموسيقى والفن بدعوى حرمتها، ولم تستوعب لحظتها إن مثل هذه التصرفات إنما تربي منطق الوحش، وتطلق العنان لسيادة التطرف، فالواضح من قرارات كهذه أن وزارة التربية لم تستوعب منطق الفنون في نشر قيم أخرى غير تلك القيم التي تزرعها مواطن التطرف.

ولم تستوعب – أيضا وزارة التربية – منطق فرض الضوابط بناء على معتقدات ورغبات شخصية، فمنطق الحرية والحوار لم يكن حاضراً أمام عدد من الطالبات وأولياء الأمور لمجرد معارضتهم لشكل الملبس الذي تفرضه ضوابط (المعتقد والرغبة الشخصية)، فلمجرد وجود رغبة مراهقة لإحدى الطالبات بالتقصير أو التحجيم في حدود الملبس يستيقظ فجأة الوحش ليجابه هذه الرغبة بدعوى الانحلال أو عدم التربية فتكون النتيجة وقتها سيادة منطق التطرف وليس منطق الحوار.

وبهذا تتغذى فكرة الوحش شيئا فشيئا ولا نلقي لها بالاً، وتنتقل هذه الفكرة إلى طور آخر خارج حدود المدرسة لتبدأ في الواقع فتتبنى بعض الفئات فكرة الترويج "لأعمال الخير" المناطقية أو الطائفية على وجه التحديد، وتبدأ وزارة العمل في منح الرخص بدعوى أعمال الخير من دون متابعة أو تقييم، فيتغذى الوحش على أموال الخير وتقام حفلات الزواج الجماعية (الطائفية) لمجرد أن هذه الصناديق أو الجمعيات اقترحت أفكاراً ظاهرها الخير وباطنها العذاب، فيما مؤسسات الدولة تمهد الطريق لنمو الوحش. وهكذا يصل بنا الحال لتضييق الخناق على المؤسسات الثقافية التي مازالت تعيش في أفق الأمل، فوزارة الإعلام لم تع حتى هذه اللحظة دورها الريادي في تنمية المجتمع ومقاومتها للوحش الذي تغذيه الأطرافُ الأخرى، لم تعِ هذه الوزارة أهمية فتح الأبواب لمناطق تجفيف لعاب الوحش الذي يترصدنا، وراحت بكل سذاجة إلى إغراق المؤسسات الثقافية بمزيد من اليأس والخذلان حتى اتخذت

المؤسسة العامة للشباب والرياضة من هذه الوزارة أسوة حسنة وألغت بكل برود أي منافذ لمحاولة السيطرة، واعتمدت سياسات تقوم على دافع الربح والخسارة فقط كالألعاب الرياضية، من دون أن تضع الكرة في مرمى الوحش، بل أخطأت لسنوات طويلة وما زالت تتمادى في أخطائها. وهكذا يصل بنا الوحش إلى مناطق التأزم والتأزيم، وها هو ذا يجوس الطرق متباهيا بسلطته وجبروته، في انتظار خطة مجتمعية لمجابهته وترويضه من جديد. فالواقع لا يبدو بأفضل حال لربع قرن قادم ربما، فالمعطيات واضحة والخارطة تدلنا على الزمان والمكان، وليس من انفراج سوى النهوض من جديد.

وعلى الطرف الآخر تهمش المؤسسات الرسمية أصوات الاعتدال والوسطية. أما أزمة مفترق الطرق هذه، وهي ضرورية لكسب رهان مستقبل هذا المجتمع، فيتحملها بالدرجة الأولى ٢٩ نائبا بامتياز، ثم الدولة والمجتمع بجاهله ومثقفه، وسيبقى على هؤلاء ممن سيكونون في الواجهة أن يستمروا حتى النهاية إيماناً بما يؤمن به أولئك، وأن الجنة نصيب لكليهما وليس بمنطق –أولئك أيضا – أن الجنة لهم وحدهم. فأولئك يتحملون وزر تنمية المجتمع وتحديثه، وهم مسؤولون عن إرباك الساحة الثقافية بمساجلات لا تسمن ولا تغني من جوع، وكل ردة ثقافية وضياع لمستقبل هذا البلد سيتحملون تبعاته لأنهم لا يدركون حقيقة ما يفعلون كحال بعض النواب الذين سطحوا موضوع تشكيل لجنة التحقيق واستخفوا بها، وقالوا إنها مجرد لجنة وعلى الوزير إثبات أن النواب مخطئون. هؤلاء لا يعرفون أبجديات مثل هذه التصرفات، فالمسألة ليست في تشكيل اللجنة ولا في إنقاص حق قامة مثل قاسم حداد أو إساءة للمجتمع، بل هذه التصرفات ستبقى في الذهن ما بقيت الثقافة وما بقي المثقف وما بقي البلد.

غيوم خريفية برلمانية تلبد ربيع الثقافة

د. سعاد الطيف الفيتوري – ليبيا

ما تزال الأوساط الثقافية والسياسية والفنية في البحرين مشغولة بالضجة التي أثيرت حول عرض أخبار مجنون ليلي الذي قدمه مطلع شهر آذار (مارس) ٢٠٠٧ الموسيقار اللبناني مارسيل خليفة في حفل افتتاح مهرجان ربيع الثقافة ، وهو العرض المستوحي من عمل وضعه الشاعر البحريني قاسم حداد عام ١٩٩٦ بمشاركة الفنان التشكيلي العراقي ضياء العزاوي يحمل اسم مجنون ليلي .

فالمعترضون اعتبروا أن بعض اللقطات الاستعراضية الراقصة التي رافقت الوصلة الموسيقية في العرض تثير الغرائز وتشجع علي ارتكاب الفاحشة ، علي حد تعبير رجل الدين البحريني الشيخ علي مطر في خطبة جمعة ألقاها مؤخرا ، بينما طالب النائب محمد خالد بأن يشمل المهرجان اختيارات تراعي التقاليد الإسلامية والاقتداء بما يقدم في بلدان مجاورة بدلا من اختيار فعاليات ذات نزعة غربية . أما المدافعون عن العرض فقد اعتبروا أن الضجة المثارة ترقي إلي خنق مناخ الحريات والإبداع في البحرين ، علي حد ما ورد في بيان صادر عن نحو ٥٠ جمعية ثقافية وأهلية وسياسية في البحرين، من بينها ١٢ جمعية نسائية منضوية في إطار الاتحاد النسائي البحريني. وأعرب البيان عن خيبة الأمل لما آلت إليه الأوضاع في البحرين من هيمنة للفكر الأحادي والتوجهات الإقصائية الرافضة للآراء الأخرى والتشهير بأصحابها والتشكيك فيهم .

من حيث المبدأ، لا يمكن للمرء أن يجادل في الدعوة إلي أهمية الحفاظ علي منظومة القيم الأخلاقية أو الحرص علي التقاليد الإسلامية والعربية. فهذه القيم والتقاليد تشكل في المحصلة النهائية مكونا رئيسيا من مكونات الهوية التي تقوم عليها مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وهي الهوية ذاتها التي تشكل مرجعية حضارية وتاريخية تجعل من كل فرد منا يشعر أنه جزء لا يتجزأ من جماعة لها حضارة وتاريخ جديران بالاعتزاز. ولكن لا يمكن للمرء أيضا إلا أن ينظر بعين الريبة والشك إلي الحملة الشعواء التي يتصدرها الإخوان والسلفيون في البحرين ضد مهرجان ربيع الثقافة .

فلقد سبق لهم أن قادوا إبان فترة ولاية البرلمان السابق حملة شعواء مشابهة ضد دورة العام الماضي للمهرجان ما يوحي بأن لديهم موقفا سلبيا ورافضا من المهرجان أصلا وبالتالي فإنهم كانوا يضمرون نية مسبقة ومبيتة هذا العام لتصيد ما يمكن استخدامه من أعمال تقدم في المهرجان للتشهير به ومحاولة عرقلته إن لم يكن توجيه ضربة قاضية له. ومن حيث المبدأ أيضا، لا يمكن للمرء أمام هذا المشهد الذي يضج بأشكال من الجدل الحاد والتراشق بالاتهامات إلا أن يقف مرة أخري أمام ثنائية الثقافة والسلطة في تاريخنا العربي، قديمه

وحديثه، مستحضرا صورا من ظلامية تسودها قرارات المنع والحظر والحرق في حق الكتب والكتابة والمفكرين والمبدعين، وتستلهم من محاكم التفتيش ألوانا شتي من القمع وحجب الفكر وتغييب الرأي الآخر ومصادرة الإبداع، وتسعي إلي تصفية حسابات مع الآخر-المختلف هي في أصلها وجوهرها ونسخها حسابات سياسية وإن تلبست بلبوس الدين وأشهرت سيوف الفتوى وحملت لواء الأخلاق الفاضلة.

تلك هي العيوب العقلية والنفسية ذاتها التي تأسست علي ماض أليم يعج بشتى أنواع التهم بالتكفير وفساد الاعتقاد والزندقة والإباحية بغية اغتيال الإبداع والفكر الجديد والاختلاف، والتي شيدت في تاريخنا المعاصر صروحا إيديولوجية قمعية ونصبت في مجتمعاتنا العربية أسيجة الأحادية في التفكير وأرست أعمدة النرجسية الفكرية في مراكز السلطة ومنابع القرار السياسي لتبيح لنفسها بالتالي أن تخوّن الاختلاف وتجرد مقصات الرقابة أو تلقي ما يكفي من الذعر في الأوساط الفنية والثقافية لفرض الرقابة الذاتية.

مشكلة بعض البرلمانيين في البحرين هي أنهم يعتقدون أن نصرهم الانتخابي يجيز لهم أن يفرضوا رؤيتهم للثقافة ومكوناتها علي الشعب بأكمله. هذا مع ملاحظة أن نصف أعضاء البرلمان البحريني ذي المجلسين فقط ينتخبون عن طريق الاقتراع في حين أن النصف الآخر يعين من قبل ملك البلاد مما يثير ظلالا قاتمة من الشك علي الصفة التمثيلية للبرلمان وأعضائه المنتخبين جملة وتفصلا. وقديما قيل من يعش رجبا ير عجبا . والعجب العجاب هنا أن يقوم برلمانيون، يفترض أنهم مؤتمنون علي الحريات العامة، بالتضييق علي حركة الإبداع الفني التي تعتبر من أبجديات الحرية وشروطها الضرورية.

كان الحري ببرلماني البحرين أن يبدوا قدرا مماثلا من الاهتمام بمعالجة القضايا المصيرية التي تؤثر علي حياة الناس، مثل قضايا البطالة والفساد الإداري المستشري في أجهزة الدولة ومؤسساتها وأزمة السكن والتجنيس العشوائي الذي ينذر بتغيير التركيبة الديموغرافية في البلاد، وهو ما يهدد بالتالي بزعزعة الوحدة الوطنية في البلاد ويغلق آفاق العيش المشترك بين أبناء البحرين بشتى انتماءاتهم الطائفية والدينية.

أن يخضع أي عمل فني لمشرحة النقد ومباضع النقاد أمر لا غبار عليه. فلقد كان من الممكن جدا أن يحاكم العمل الذي قدمه الفنان الملتزم مارسيل خليفة من حيث نجاحه في تحويل النص الشعري إلي عمل مسرحي ترفده عناصر إبداعية فنية وموسيقية مختلفة تخاطب حاستي السمع والبصر لدي المتلقي. ولكنني لست أدري كيف يجيز أي طرف سياسي في البحرين، سواء كان له ممثلون في السلطة التشريعية أم كان خارجها، لنفسه أن يدعي احتكار المعايير الأخلاقية التي تصنف الأعمال الفنية أو الثقافية بأنها مقبولة أم غير مقبولة. فذلك يؤسس لعلاقة غير سوية بين البرلمان والقاعدة الشعبية تقوم علي مبادئ الاحتواء

والإقصاء، ويؤدي في النهاية إلي تشويه عملية الإبداع الفني والثقافي في البلاد. فالعملية الإبداعية لا تزدهر إلا عندما تنفتح خيارات الوعي الفني والجمالي والمعرفي علي فضاء لا بل فضاءات من الحرية ما يتيح طرح الأسئلة والمساءلة والكشف وحتى الشك. وهي إن وضعت في أسار التدجين تحت أي ذريعة من الذرائع أو صودرت لحساب أي تصورات إيديولوجية فلن يؤول مصيرها إلا إلي اجترار المألوف وبالتالي التراجع والتخلف.

وتطل علينا من خلال الجدل المحتدم في البحرين حول مهرجان ربيع الثقافة أشباح عقلية الثقافة الرسمية حيث تحتكر السلطة أو بعض أهلها وأربابها منافذ الإنتاج الفني أو الأدبي ما يجعل المثقف أو المبدع الفني موظفا لدي الحكومة أو مؤسساتها الثقافية ، أو تختزل العملية الإبداعية بالدولة أو من يختزل نفسه بها عبر سلطة الرقيب، لتنتج خرابا تدفع ضريبته أجيال من المثقفين والمبدعين الباحثين عن ضفاف آمنة للإبداع الثقافي في المناخ.

جميل أن تتطلع العملية الإبداعية إلي ما يزخر به التراث من أعمال صاغت الوجدان الشعبي علي مر القرون، من قبيل قصة مجنون ليلي . ولكن شد الرحال إلي التراث لا يعني بأي حال من الأحوال اجتراره. فمن مهام الثقافة والفن في كل عصر وأوان، إعادة إنتاج التراث برؤية عصرية منفتحة ومرنة تسمح بتوظيف فنون وأدوات تعبيرية وتقنية مختلفة. وهذا ما تجلي في العمل الذي قدمه خليفة من خلال تقديمه للقصة في إطار فني متكامل جمع ما بين الأداء الشعري والغناء والرقص التعبيري والموسيقي والإضاءة. وهو في ذلك كله حاول أن يحافظ علي ما تحفل به القصة من احتفاء بالحب والجسد ، علي حد تعبيره. وقصة مجنون ليلي ليست نسيج وحدها في التراث العربي من حيث الاحتفاء بالحب أو الجسد أو إطلاق العنان للرغبات والأهواء والنزوات. ثمة الكثير من الأعمال التراثية، وبعضها من أمهات كتب التراث مثل ألف ليلة وليلة أو طوق الحمامة في الألفة والآلاف للفقيه الأندلسي ابن حزم الظاهري، التي تزخر بمشاهد من هذا القبيل أو تتحدث عن الجنس والعلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة أو حتى عن الشذوذ الجنسي. ومن يراجع كتب الفقه، مثل الموطأ للإمام مالك بن أنس، أو زاد المعاد لإبن القيم الجوزية، أو إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وحتى كتب الحديث المعتبرة، كالصحاح، فإنه يجد فيها الكثير مما يشير إلي تنظيم عملية المعاشرة الجنسية بين الرجل وزوجته، وبتفاصيلها الدقيقة أحيانا. ولم نسمع أبدا من يعترض علي ما تحويه كتب الفقه والسيرة من إشارات وفتاوي وروايات مفعمة بالحديث عن الجنس، تلميحا وتصريحا، وذلك من باب أن لا حياء في الدين .

ولا يسعني في الختام إلا أن أتساءل عما سيبقي من هذه الكتب التراثية لو طبقت عليها معايير خدش الحياء التي يحاول بعض برلمانيي البحرين تجريدها سيوفا تعمل طعنا وتمزيقا في مهرجان ربيع الثقافة . وأرفد التساؤل بالأمل في أن يكون موعدنا المقبل مع دورة العام القادم لمهرجان ربيع الثقافة موعدا آخر مع فصل ربيعي تزهر فيه براعم الإبداع وليس موعدا مع غيوم خريفية تلبد آفاق الحرية.

المجد لمن يقلق راحة الغباء
رشيد منيري – المغرب

المُفارقُ في الإتهامات التي أطلقها النواب الرجعيون بخصوص العرض الإفتتاحي لمهرجان ربيع الثقافة شهر مارس المنصرم بالبحرين، أنها أصابت شاعرا رقيقا مبتلا بالصدق و الرقة كقاسم حداد، وموسيقيا غنى بلسان ملايين الناس بمصداقية قلما كسبها موسيقي عربي مثل مارسيل خليفة. وبالمقابل يثير الإنتباه كم أحسنوا اختيار الهدف لما كانوا يستهدفون الحرية و الحب و الإبداع الإنساني، فالشاعر و الموسيقي هما حقا صوتان لكل ذلك.

أجدني ميالا أحيانا للبحث عن أعذار للأغبياء. و يكفي هنا أن نتصور حجم الكارثة في أن يكون المرء برلمانيا عربيا و ظلاميا رجعيا في نفس الوقت. أكيد أنه سيفكر في إدانة الحب لأنه لا يُدركه، و الحرية لأنه يخافها، والإبداع لأنه لا يفهمه. الرجعي كائن مرعوب؛ يخشى أن يحب في الطريق إلى المسجد، أو أن تستفرد به فكرة بين آيتين ، يخشى أن تحب ابنته أو ترقص زوجته. و لديه قوالب جاهزة لكل شيء، يخاف عليها كما يخاف على شرف بنات العائلة، و هو يعيب على الماء نفسه أن يسيح خارج قوالبه.

خليفة و حداد يدافعان عن الحياة و يعملان لتستمر أرواحنا جميلة و عاشقة، كما الماء يعمل طول الوقت لتنبُت الأزهار و تتشابك خصلات الشعر و يتوجد الحرير.. و هما ضروريان لعالمنا العربي الذي عاد مرعبا بما يعانيه من قحط روحي. ننصت إليهما بجوارح مفتوحة و ذلك ما لا يستطيع أحد أن يمنعنا منه. و حين يلزم الأمر أشكالا أخرى للفعل نكون جاهزين. إن دفاعنا عن الشاعر و الموسيقي هو دفاع عن الشعر و الموسيقى بما يحملانه من حقائق إنسانية عميقة لا يُدركها إلا ذوو القلوب المشرعة.

الرجعية ضد الإبداع، هو خلخلة و هي تأبيد. لذا لا يحاكم في عالمنا العربي إلا الإبداع الحقيقي الذي يخلخل ويمضي نحو الجِدَّة بماض مفتوح على الحاضر و الآتي، فيما تطلق المؤسسة الرسمية العربية عشرات ممن يحسبون أنفسهم على الفن ليعيثوا تشويها في تراثنا و أرواحنا.

"أخلاقهم" تهتز حين يُحمل الحب محمل شعر و موسيقى و رقص، و الأصابع التي لم تتصور قط أن الأصابع تعزف أو تكتب الشعر تشرع في القيام بأقصى ما يمكنها أن تبلغه: أن تكون أصابع اتهام.

لكننـا، من جهتنـا الحُرّة، نرى الأصابـع التي تقطـر شعـرا و موسيقـى تشير إلى قلوبنـا و أجسادنا فتكتشف فينا السماء، و نرى الحب ذائبا في الأزرق و الحياة تهب كما ظلت تفعل منذ الأبد. و ننقر مع العصافير التي ما تزال تغنيها السماء قضبان القفص العربي الشاسع، بنظرة تلامس الأفق، و بإيمان مطلق بالحرية.

كثيرون نحن، مجانين حرية و حب و جمال. نريد دائما من يذكروننا بإنسانيتنا حين يفتك بنا العصر، وبأجسادنا حين يحاصرنا العهر الرسمي، و بالحب حين لا ينظر إليه بعد أحد. نحب خليفة و حداد لأنهما معنا، واقفان جنبا إلى جنب مع أحلامنا التي تختلف لتقول الحرية. أخلاقنا الحب و الحرية و الجمال..و نحن دائما نحميها.

نحن نعرف قاسم حداد و مارسيل خليفة الذين اختـارا دائما أن يحملا رسالـة الإنسـان و دفعا ثمن ذلك كلٌّ حسب حظه. و لا نعرف هؤلاء النكرات الذين يخافون الحب و يرعون الغباء. لدينا كثير من النواب البرلمانيين ، و هم من التشابه حتى ليمكن عدهم الرجل نفسه. و لدينا قاسم حداد واحد ومارسيل خليفة واحد، نحبهما و لا نقبل أن يمَّسا بسوء.

المجد لكما، خليفة و حداد، إذ تقلقان راحة الغباء.

المجد لكما و أنتما تضعان الحب في واجهة الحياة.

في وصف حالتنا

يوسف القعيد - مصر

قال لي الحاج محمد مدبولي صاحب مكتبة المدبولي الشهيرة إن مسرحية الدكتورة نوال السعداوي "الإله يقدم استقالته في مؤتمر القمة"، صدرت طبعة أولي منها. وعند تجهيز الطبعة الثانية عرف أن فيها تطاولا علي الله سبحانه وتعالي. قرأها كلمة كلمة، واكتشف أن طباعتها كانت خطأ لا يجب الاستمرار فيه. فقرر حرق الكمية التي كانت قد طبعت. وقبل أن أقول له إن التعامل مع الكتابة يكون بكتابة أخري، وأن حرق الكتب مسألة مدانة في التاريخ. قال لي: كله إلا هذا. لأن الأمر عندما يتصل بالله وكتبه ورسله، لا مجال للكلام، مع العلم أن طباعة أعمال نفس المؤلفة الأخري ونشرها مستمر لديه.

وفي دمشق، وفي محاضرته أمام طلاب السنة الرابعة في التعليم المفتوح بقسم اللغة العربية بالجامعة، اتهم الدكتور حسين جمعة رئيس اتحاد الكتاب العرب الكاتب المسرحي سعد الله ونوس بسرقة أعمال الرائد أبوخليل خليل القباني. بعد أن أخذ ونوس جملة من القباني وصاغها صياغة جديدة في حالة سرقة واضحة. صحيح أن حسين جمعة بعد انفجار القضية عربيا حاول التراجع عما قاله عندما أوضح أن الكلام جزء من محاضرة ألقيت قبل عامين، ولم يكن وقتها أمينا لاتحاد الأدباء العرب، وأنه سينشر قريبا النص الكامل لمحاضراته التي أضرها الاجتزاء الصحفي، لكن الواقع يبقي أصدق إنباء مما يقال.

والذي حدث أن زوجة ونوس، فايزة الشاويش، عندما تقدمت للاتحاد بطلب معاش سنة ٢٠٠٧ رفض الاتحاد، وقال لها المستشار القانوني إن اعتبار سعد الله ونوس كاتبا مسرحيا افتراض قانوني وليس حقيقة ثقافية.

يذكر أن ونوس كان قد استقال من عضوية الاتحاد سنة١٩٧٩، احتجاجا علي فصل الاتحاد الشاعر أدونيس من عضويته. بتهمة التطبيع الإسرائيلي. وبعيدا عن التفاصيل فإن كاتبا بقامة سعد الله ونوس، لا يمكن أن يعامل بهذه الطريقة الدفترية، ولا بحسابات الربح والخسارة. وأتصور أن محمد سلماوي رئيس اتحاد الكتاب العرب يمكنه منح عضوية فخرية لسعد الله ونوس وتقديم معاش استثنائي لزوجته، ولا أقول أرملته. فسعد مازال حاضرا بإبداعه المسرحي وسلوكه الإنساني الرائع الذي سبق زمانه في اجتهاداته المسرحية، خاصة أن أربعين عاما مرت علي نكسة الخامس من يونيو التي شهدت ميلاد سعد الله ونوس المسرحي بمسرحيته التي هزت أركان المسرح العربي كله، مسرحية "حفلة سمر من أجل خمسة حزيران".

وفي بغداد انفجرت سيارة في شارع المتنبي، مالىء الدنيا وشاغل الناس، فأصبح مقهي الشاهبندر أثرا بعد عين. أما المكتبات التي كانت عامرة بالكتب، فتحولت إلي خراب. وكان هذا الشارع آخر ملاذ للمثقف العراقي ليشتري الكتب المستعملة من مكتباته ويجلس علي مقاهيه. وعلاوة علي المقهى الذي دمر تماما، كان هناك مقهى أم كلثوم. إن هذا الحصار دفع عددا من المثقفين العراقيين لتأسيس مجلس للثقافة في العاصمة الأردنية عمان، حتى يكون لهم كيان، بعيدا عن تفجيرات بغداد التي لا تبدو لها نهاية في الأفق.

وفي البحرين صوت٣٢ نائبا من أصل٤٠ يمثلون مختلف الكتل السياسية في البرلمان علي تشكيل لجنة للتحقيق مع وزير الإعلام البحريني حول مهرجان ربيع الثقافة، لأن بعض مشاهد العرض الافتتاحي "مجنون ليلي""المأخوذ عن كتاب الشاعر البحريني قاسم حداد، بتلحين مارسيل خليفة، اعتبرها البعض تحتوي علي لقطات استعراضية خليعة. انصرف واحد من الجمهور عندما شاهدها لإحساسه أنها خادشة للحياء. هذا علي الرغم من أن أغلبية الحاضرين أكملوا العرض حتى نهايته، خاصة أن كاتبه شاعر كبير ليس في البحرين ، ولكن في الوطن العربي.

هل أنت في حاجة للمزيد؟ لدي فصول ما جري في فلسطين تكمل حكاياتي الحزينة، عندما تصدت حماس لقصيدة مقررة علي الطلاب، مع أن حماس كان يذكر لها ولحزب الله أيضا عدم التصدي للإبداع، باعتبار أن لديهما قضايا وطن لا تترك لهما ترف الكلام عن الإبداع. ولكن خطأ وزير التربية والتعليم الحماسي، عندما وجد وقتا وسط الهم الفلسطيني غير العادي ومشاكل المواطن اليومية والحصار الدولي والقضية المعلقة بلا حل ومشاكل حماس مع منظمة التحرير .. وسط كل هذا وجد الوزير وقتا ليغتال قصيدة "الطير المسافر""لسبب أتفه من أن يذكر.

كما قال لي شاعر فلسطين محمود درويش، وتقول وكالات الأنباء، إنه أمر بجمع نسخ الكتاب المقرر علي التلاميذ، الذي توجد القصيدة بداخله وأمر بحرقها. لن أصدق وكالات الأنباء العالمية، ولا أتصور أن في فلسطين الآن فلسطينيا واحدا عاقلا يمكن أن يجد وقتا لمطاردة قصيدة مهما كان ما بها. ثم إن حرق الكتب لا يذكره التاريخ إلا عندما جاء التتار إلي بغداد، وعندما وصل النازيون في ألمانيا والفاشيون في ايطاليا إلي الحكم.

عموما التاريخ يحدث كمأساة أولا، ولكن عندما يستعاد يتحول لمهزلة. أتمنى ألا يخرج ما حولنا عن كونه مهزلة.

ربيع الثقافة .. دعوة نحو الحب

علي الستراوي – البحرين

نتفق أو نختلف، إنه ربيع الثقافة واقع ملموس يقام للسنة الثانية على التوالي، يرسم درباً مختلفاً ذا أبعاد قد تشكل ومضة خلاقة عند كل مثقفينا، وتختلف هذه الومضة في تقبلها عند كل مثقف، لكنها ومضة أصبحت تمدُّ من جسدها وتطرح الجدل بين المثقفين في وطننا.

ما أجمل هذه الومضة وما أصدقها وهي تعانق فضاءها المتشح. كل نفس تؤمن بالاختلاف وتتعامل معه على أنه منجز يفرض احترامه، وفي ظل هذا المنجز هناك الموسيقى، والنحت، التشكيل، المسرح، التراث والشعر. فنون تلتصق بهذا الجسد الممتلئ بالإبداع الذي تبرزه كل جهات المهرجان عبر تشكيلته الفريدة من الاختيارات.

ربيع الثقافة نعم إنه ربيع مختلف عن ربيع ٢٠٠٦ في تنوعه وكأني بهذا الربيع يأتي بذاكرة وحلم شاعرنا أبو تمام حيـنما قـال:

أتاك الربيع الطلقيختال ضاحكاً	من الحسن حتى كاد أن يتكلّما
وقد نبه النيروز في غسـق الدجى	أوائـل ورد كنّ بالأمـس نوّمـا

هكذا تسير عجلات هذا الربيع ومن المهم احتضانها وقراءتها بشكل يجعل من هذا الوطن موضع احترام، لأننا باحترامنا للثقافة قد أكدنا على احترامنا وطننا.

فأنا مع كل تغيير يبث عبيره في الحلم ثقافة مختلفة ذات عصارة ونكهة خاصة، ولستُ مع الجمود.

ربيع الثقافة واجهة للوطن، هو اليوم غير الأمس، وطن كل نوافذه توشي الناظر لها بالحب، وطن أبوابه في الجدل الخلاق رسالة يعيها من يعرف أهميتها ويؤمن بجدواها.

ربيع يحمل لنا اختلافات ورؤى عبر فنون ثقافية راقية وذات حضارة عريقة، علينا في البحرين كمثقفين أن نمد كل أغصانها الخضراء ونندمج فيها بروح تواقة للحب، بعيدة عن أوجه الصراع.

الربيع فاكهة ومعنى عبر رسالة الشيخة مي آل خليفة، دعوة نحو الحب والالتفاف.

التشدد بوصفه ثقافة
سعيد الحمد - البحرين

لا يتذكر المتشددون "حرية التعبير" إلا عندما يشعرون بالحصار، وبعد ان تسقط آخر أسلحة التشدد وتتهاوى آخر خنادقهم التي تمترسوا وراءها. عندها فقط يتذكرون و "يا للمفارقة" مفردات حرية التعبير والتعدد والتنوع وحق الاختلاف و "يعايروننا" على طريقة "رمتني بدائها وانسلت".

ونفهم أنهم تذكروا حرية التعبير كآخر قشة يتعلقون بها بعد ان ورطوا أنفسهم فيما هو اكبر منهم "في ذبح الثقافة" وهو ما لم يقبل به أي مواطن بحريني رغم أنهم "استذبحوا" واستماتوا في تقديم التبريرات وتزييف الوقائع وتشويه الحقائق، وصولا لاغتيال الثقافة وهو المشروع الذي سقط شعبيا وكان سقوطه مدويا. وفي سبيل بحثهم عن مخرج يحفظ ماء وجوههم تذكر عتاة المتشددين "حرية التعبير" فاستنجدوا بها كآخر ورقة.. ولكن استنجادهم جاء انعكاسا وجاء معبراً عن ثقافة التشدد التي إليها ينتمون، وبها يفكرون، فلم يكن استخدامهم لمفردة "حرية التعبير" التي تذكروها فجأة استجابة وانعكاسا لموقف مبدئي ثابت منهم تجاه حرية التعبير، التي نص عليها الدستور بقدر ما استخدموها ليغمزوا من قناتنا ومن قناة مؤسسات المجتمع المدني التي رفضت بقوة، ووقفت بشجاعة هذه المرة ضد مشروع التشدد في اغتيال الثقافة وذبحها على مسمع ومرأى من الجميع.

وقوى المجتمع المدني والكتاب والمثقفون والشوريون تتقدمهم الصحافة الوطنية الحرة المستنيرة، تحملوا مسؤوليتهم في حماية سمعة البحرين الثقافية، ومارسوا حرية التعبير في المساحة المتاحة لهم قانونيا وديمقراطيا، ولم يستغلوا ولم يزجوا بدور العبادة والمنابر الدينية في القضية. ودافعوا عن حرية التعبير من خلال دفاعهم عن الثقافة. ومن هنا لا نعتقد ولا يصدق احد من الناس ان من يشوه سمعة البحرين الثقافية، ومن يسعى لاجتثاث الثقافة وقمع الصحافة يمكن له ان يتحدث عن حرية التعبير ناهيك عن ان يؤمن أو يقتنع بها. ولكنها ثقافة التشدد التي تطلب حرية التعبير لتغتال هذه الحرية، وهو انعكاس لأقصى درجات التشدد وثقافة التشدد.

فحرية التعبير كما يفهم العالم اجمع إنها العمود الفقري للثقافة، ومن يعمل لهدم الثقافة فهو يعمل بلا أدنى شك لمصادرة حرية التعبير عن الآخرين وامتلاكها له وحده. ولعله من المفيد ان نذكرهم (المتشددين) بأن القضية في حرية التعبير ليست انتقائية وليست مزاجية يتذكرونها عندما يحتاجون لها ويقمعونها ويصادرونها ويلاحقونها بل ويلعنونها عندما يمارسها الآخر المختلف معهم.

وأخيرا نرجو منكم القليل من المصداقية فيما تكتبون، وفيما تقولون فنحن لم نتهم هكذا بالمطلق ودون تفريق كل المشايخ وطلاب العلم الديني وكل الخطباء بأنهم "يبثون الكراهية"، وكتاباتنا موجودة ومنشورة علنا، فلماذا الافتراء عليها وعلينا..!!؟؟ إننا بكل تأكيد ضد السيسيين المتشددين الذين اختطفوا منابر الجمعة، واستولوا على الجوامع وجعلوها حكرا للترويج وللدفاع عن أحزابهم وجمعياتهم السياسية التي ينتمون ويتحزبون إليها أو يناصرونها.

نحن لسنا ضد حريتكم في التعبير كما تدّعون وتزعمون. فلكم جمعياتكم ولكم نشراتكم ولكم مجلاتكم الدورية ولكم مساحات في بعض الصحف المحلية، ولكم ندواتكم وملتقياتكم وحالكم من حال الجمعيات الأخرى. إذن دعوا المساجد والجوامع بعيدا عن تحزباتكم وجمعياتكم، وارفعوا أيديكم عن المساجد (منابر الجمعة) التي اقتسمتموها وتوازعتموها بين محازيبكم وأعضائكم، وأبعدتم وأقصيتم بعض مشايخ وطلاب علم عن تلك المنابر والجوامع،فقط لأنهم لا ينتمون إلى عضوية أحزابكم وجمعياتكم.

عن أي حرية تعبير تتحدثون؟

الهدامون
محمود كرم - الكويت

مَن يتعمّد إفساد وتهديم كل ما له علاقة بالمنجز الإنساني الجمالي المتعدد والمتنوع بأية ذريعة كانت، هل يستحق الحياة؟ ويمعنى آخر هل يُجيد في مقابل ذلك صناعة الحياة والجمال والفن والفرح والألق والبهجة؟ بالطبع لا، لأنه لا يُحسن سوى أن يجلب له وللآخرين من حوله، النكد والكآبة والقلق والتعاسة والبؤس وثقافة الموت، ومجرجراً خلفه قائمة طويلة من التحذيرات والتعقيدات والعقد والفروضات الأخلاقية..

حتى أولئك الذين يجدون في مجرد الضحك، هاجساً يجعلهم يتمتمون بالاستغفار فوراً بعد وجبة ضحك بريئة، وترديد: اللهم إجعله خيراً!! وكأن اقتراف الضحك جناية كبرى، سيجلب عليهم وبالاً عاصفاً وغضباً ماحقاً..!!

وكيف يحدث أن يسعى الواحد منهم مع سبق الجهالة والتجهيل والتزمت إلى هدم الحياة الجميلة من حوله، مستحضراً لائحةً لا تنتهي من الممنوعات والمحرمات والتحذيرات، خارجاً بها إلى الناس من أوهام الماضي السحيق أو من النصوص التراثية التي قيلت في زمن لا يمت إلى ثقافة العصر بأية صلة أو بأية علاقة موضوعية أو بأية مقاربة صياغية جمالية، وكأن الحياة بالنسبة له أو حتى بالنسبة لغيره انطلاقاً من التزامه بقدسية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تستقيم إلا باجترارها وتناولها ومعايشتها وفقاً لتعاليم السلف الصالح أو وفقاً لأنماطه الثقافية المتجسدة في إرثه الماضوي، وكأن الحياة لا تستمر إلا من خلال تأويلاته وتفسيراته ويقينياته وغيبياته وأدبياته ومنقولاته التراثية والدينية وذاته المدججة بشهوة القداسات المتألهة، وكأن الحياة أيضاً لا يمكن صناعتها إلا من خلال الاقتداء بدينه وبمقدساته وبأوليائه الصالحين، فالعميان لا يرون غير ذواتهم، كما يقول الفيلسوف كانط..

ولماذا يغفل أولئك المستميتون في هدم الجمال والفن والأناقة والفرح، عن فهم أن الجمال الإنساني في مستوياته وتشكلاته ووجوهه الكثيرة والمختلفة يجب ألا يخضع لمقاساتهم النمطية المعتادة ولقوالبهم الثقافية ولتحذيراتهم النصائحية ولفروضاتهم الأخلاقية، لأنه لا يستطيع أن يأتي إلى الحياة والواقع والإنسان عموماً، مطبقاً ومترجماً لأفكارهم أو لتصوراتهم أو ليقينياتهم أو لتاريخهم الديني والتراثي، فالجمال الذي يجترحه المقبلون على صناعة الحياة الأنيقة الرحبة، أسلوباً ابتكارياً يعكس مستويات ذواتهم الجمالية ومستويات نظرتهم الحرة للجمال والحياة، والجمال الإنساني عبر منجزاته الذوقية والبصرية والسمعية والكتابية والفنية بشكل عام، مجموعة من الأساليب المتنوعة مفتوحة الآفاق ومتنوعة الطرائق في فهم الحياة ومعايشتها وابتكارها وصناعتها والانطلاق بها ربما إلى ما بعد الحد الذي يستقر فيهم دائماً التجديد والتغيير واستيلاد المعاني الجمالية المتجددة..

ومتى يفهم ويعي أولئك الذين يتعمدون دائماً إفساد الذائقة الإنسانية وتلويث الحياة النقية وتخريب الجمال وسرقة الفرح وتهديم الفنون، أن الحياة تصنعها دائماً الرغبات الإنسانية المفعمة بالحب والجمال والمفعمة أيضاً بزخم الأفكار التحررية الدافعة والمؤسسة لثقافة الإنتاج الحياتي المتنوع والرحب عبر التحاور عميقاً والتفاعل المثمر مع الطبيعة والبيئة وتبدلات الأزمنة وتحولات العصر لتلبية شروط الحياة المختلفة، وتصنعها كذلك الرغبات الإنسانية المشحونة بتموجات الفعل المدني الحر المتحرك والمتغير والمنفتح، وليس بدوافع الفعل الديني الجامد والثابت والمقدس، العاجز عن إنتاج الحياة المتنوعة والحرة، لأنه يعجز في المقابل عن إنتاج الحياة وفقاً لعقلية المتغير والمتحرك والمتحرر واللايقين التي يفتقدها ولا يملك أدواتها، علاوةً على أنه لا يتخذها بالأساس مرجعيةً حياتية، ولذلك عبر كل الأزمنة والعصور الإنسانية المتعاقبة نجد أن الديني عادةً ما يفشل في إنتاج الحياة التعددية والفاتنة والمبهجة والمتطورة، ويفشل في صناعة أساليبها وطرائقها المتنوعة والمفتوحة ويفشل أيضاً في إقصاء الفكر والفعل المدني من الحياة عموماً، فيسعى جاهداً، أي الديني، بكل مخزوناته التراثية وتفسيراته التأويلية ومنقولاته النصية ومجاميعه الإفتائية وأيضاً بكل شبقه الصوتي المنبري المعتاد، إلى أسلمة وتديين الجوانب والأنماط الحياتية في محاولة منه للالتفاف حولها أو محاولة التحايل والاستحواذ عليها، وفي محاولة منه أيضاً لإيهام الآخرين بأنه يُمسك بكل جوانب الحياة الكثيرة وأنه يملك القدرة الذاتية على اجتراحها وإنتاج شروطها ومتطلباتها بعيداً عن المجهودات الإنسانية ذات المنطلقات والرغبات والإرادات والدوافع المدنية الحرة..

وأليس الجيد والرائع من الفعل الإنساني الرفيع والراقي بالضرورة يكون جيداً ورائعاً للحياة الإنسانية وصانعاً لها ودافعاً بها نحو التألق والبهاء والفتنة، فحينما لا يستطيع الهدامون والظلاميون والمفسدون والتافهون أن يرتقعوا بمستوياتهم الثقافية وبذائقتهم الحياتية لعجزٍ ينخر فيهم، إلى مستوى ذلك الجيد والرائع، فإنه من البديهي ألا يعجبهم ذلك الجيد وليس باستطاعتهم في المقابل استساغته وليس بمقدورهم أيضاً استيعاب جماليته، فضلاً عن استيعاب رمزيته الفنية أو القيميّة، وكما يقول الفيلسوف نيشته: لا يعجبنا الجيد حينما لا نكون في مستواه..

وهل كان فولتير ذلك الفيلسوف الممسوس بعبق الأنوار التنويرية، محقاً حينما قال ذات مرة: احذروه فهو يكره الموسيقى..!! هل كان محقاً في ذلك؟ بكل تأكيد نعم، لأن مَن يكره الموسيقى، يسعى لهدم الجمال، فالكراهية تستفرغ حمولاتها القميئة في الفعل السلوكي البشري، ليتحول هذا السلوك إلى أداةٍ هدامة وتخريبية وعدوانية يستبدل الجمال بالقبح، ويستعيض عن الجمال بالبشاعة، ويلطخ الحياة البهية بلون قاتم معتم، ويستبشع في الآخرين جمالهم وألقهم وفتهم، وينتزع من الوجود الإنساني روحه الخلاقة، ويحيل الحياة إلى عدم،

فارضاً على الآخرين ثقافته المتخمة بالكراهية والبشاعة والكآبة، وهل ثمة خطأ في أن يحدث كل ذلك؟ بالتأكيد نعم، فهناك ألف خطأ وخطأ، فالحياة العابقة بألق الألوان اللامتناهية لا تستقيم مع البشاعة، والجمال لا يرتهن للقبح، وومضة الفن الدافقة بالضوء لا تنبت في العتمة، ونبضة الروح العاشقة للانطلاق ترفض القيود..

وهل تخيّل أحدكم كيف ستكون عليها الحياة الإنسانية حينما تخلو من الفن والألق والبهجة والإبداع والفرح والجمال، بالطبع ستصبح حينها حطاماً يتكوم في هاوية العدم والموت والفناء ويصبح مجرد وجودها على قيد الممارسة الإنسانية خطأً شنيعاً، وكما يقول (نيتشه) في واحدةٍ من أبهى تجلياته الفلسفية: لولا الموسيقى لكانت الحياة ضرباً من الخطأ..

وفي كل مراحل الإنسان التاريخية، لماذا لم تستطع البشاعة أن تنتصر على الجمال؟ ولماذا لم يستطع القبح أن يهدم محطماً كما يريد وإلى الأبد جمالية الإبداع الإنساني المولدة للفرح والبهجة والفنون المدهشة؟ هل لأن البشاعة والقبح لا يملكان أسلحةً فتاكةً؟ وهل لأنهما لا يقدران على مجابهة الجمال؟ حتماً ليس السبب في كل ذلك، فالبشاعة والقباحة والدمامة ليست ضميراً مسكوناً بالنبل والنقاء والحياء يفضّل الموت خياراً شجاعاً بدلاً من أن يبقى في مواجهة الجمال أو أنه يفضّل أن يتوارى عن رؤوس الأشهاد خجلاً من بشاعته ودمامته وقباحته ورداءته، بل السبب في أن البشاعة والقبح يسقطان مهزومين مندحرين في معركة الحياة، لأنهما يحملان في داخلهما من الضعف والهشاشة والتفاهة والوهن الشيء الكثير والقدر الذي يكفل بتقويضهما من الأساس، ويسقطان أيضاً لأنهما لا يستطيعان الانتصار في معركة التنافس مع الجمال والضوء والألق..

وحينما يستبشع الهدامون والمفسدون، الجمالَ الذي يتمثل في القيم الإنسانية الرفيعة أو في أي منجز إنساني بديع، ويحاربونه ويترصدونه بالفتاوى والتشنيع والقمع والملاحقة، هل يفعلون كل ذلك لأنهم يدافعون عن الأخلاق والفضيلة؟ أم لأنهم يدافعون عن الجمال نفسه ويبتعدون به عن التشويه والإساءة؟ بالطبع ليسَ هذا ولا ذاك، يحاربون الجمال لأنهم يخشونه ولأنه يعرّيهم على حقيقتهم الخاوية والفارغة والتافهة والقبيحة، ولأنهم أيضاً لا يقدرون على منافسته والانتصار عليه، فالجمال في حسابهم العملي وفي تقديراتهم الأدبية وفي ميزانهم الثقافي يجب أن يأتي متوافقاً مع القبح في أعماقهم ومتوافقاً مع القبح في ممارساتهم السلوكية، ويجب أن يأتي أيضاً متماهياً مع ميراثهم الثقافي المقدس، ويكون عاكساً فعلياً عن حالتهم الثقافية والنفسية والمسلكية التي تتغذى على البشاعة والقبح والرداءة، أنهم في النهاية يحاربون الجمال الإنساني، لأنهم بتلك الحرب إنما يدافعون عن أنفسهم وعن وجودهم وعن قبحهم المتمثل في صورتهم التي يخرجون بها إلى الناس والواقع، ولذلك لا يسمحون للجمال

الذي يأتي على عكس حالتهم الثقافية والتراثية والنفسية والمسلكية بأن يمر ويبقى، ولا يسمحون له بأن يشيع البهاء والفتنة والألق والفرح، ولكنهم في الوقت نفسه لا يستطيعون منعه أوالقضاء عليه، لأنه يمرُّ دائماً مستوطناً القلوبَ والعقول والأنفسَ والمساحات والزوايا وكل أشكال التعبير الإنساني الحر، ولأن

يأتي استجابةً لبحث الإنسان الدائم عن الصيغ الجمالية التي يجترح بها شروط حياته المتغيرة والمستمرة والجميلة، ولا يمكن منعه أي الجمال، لأنه معنيٌّ بشكل أساس بتطور الحياة والخروج بها إلى الأفق الأرحب، والإنسان بطبعه عاشق حقيقي للخروج إلى الجديد والمبتكر والجميل والمبدع، ولا يمكن منعه أيضاً لأنه يتخلق في أتون الرغبة التي تعكس فعل الإنسان الإرادي الحر، وعليهِ فهل يعتبر الهدامون الظلاميون بالقول المعروف (ما لا يمكن منعه يجب السماح به) مع التشديد طبعاً على أن الجمال الإنساني ليس مطلوباً منه أبداً بأن يأخذ الإذن منهم للمرور والبقاء، لأنه يمر ويبقى رغماً عنهم كما أسلفت، ولكن من باب أن ما تستطيع أن تمنعه اليوم، لن تقدر على منعه غداً أو إلى الأبد..

ومتى سيفهم الهدامون المفسدون، أن الجمال المتوثب بالروح الخلاقة وبالمعاني الإنسانية الرائعة والمفعم بالألوان الزاهية المضيئة، إنما في أساسه يسعى إلى البناء وليس الهدم أو التخريب، أنه بناء للحياة الجميلة وبناء للفكر وبناء للذوق وبناء للمتعة الحسية، لأنه يجد وجوده في الفعل والإرادة والرغبة والإبداع والتغيير وشجاعة الابتكار، بينما القبح والبشاعة والرداءة في أساسها تقوم على الهدم والإفساد والتخريب، لأنها هادمة للجمال والحياة وهادمة للرغبة الإنسانية في الإبداع والتغيير والممارسة الجمالية..

برلمان البحرين يحاكم قيس بن الملوح وعملاءه المعاصرين

حلمي سالم - مصر

كأن القلب ليلة قيل يُغدى — بليلى العامرية أو يـراح

قطـاة غرّها شرك فباتت — تجاذبه وقد علق الجنـاح

من هذه الكلمات الملتاعة - ومثيلاتها - التي أطلقها المحب المتوله قيس بن الملوح في صحراء الجزيرة العربية منذ عدة قرون، نسج الشاعر البحريني المعاصر "قاسم حداد" خيوط ديوانه "مجنون ليلى"، نسج المغني اللبناني المعاصر "مارسيل خليفة" خيوط عرضه الغنائي الشعري الموسيقي الحركي. كأن المحبين المعاصرين يقدمان تجادلهما الراهن وقراءتهما الحالة وتأويلهما الحديث للمحب العربي القديم. لكن هذا الفعل الجميل المتفاعل مع ثقافتنا العربية - في وجه من وجوهها الأصيلة المبهجة - كان كافياً لأن تقوم قيامة ملاك القيامة والنشور والبعث.

كان الفنان والشاعر مارسيل وحداد قد شاركا ضمن احتفالات "ربيع الثقافة" في البحرين بعرض غنائي شعري، أعده ولحنه وغناه مارسيل حليفة من شعر حداد البحريني، في ديوانه "مجنون ليلى". ومعروف أن استحياء قصة قيس وليلى في أدبنا العربي المعاصر مسبوقة بمحاولات كثيرة، من أشهرها محاولات أحمد شوقي، صلاح عبدالصبور، والطيب الصديقي وغيرهم. محاولة مارسيل وحداد إذن ليست بدعةً، حتى تكون كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، كما يرى محتكرو الثواب والعقاب.

هذه،إذن، "جرسة" ثقافية فكرية أخرى من "جرس" (جمع جرسة) حياتنا العربية. وهي "محاولة مقصودة ومنظمة لإرهاب جميع أشكال الفكر والثقافة و الإبداع" كما قال بيان مارسيل وحداد في الرد على هذه الريح السوداء: " جئنا لنعلن الحب".

والشاهد أن هذه الريح السوداء الأخيرة تثير في ذهن المواطن العربي أربع أفكار رئيسة:

الأولى: أن هذه الريح السوداء قديمة وليست حادثةً بتعبيرات التراثيين. فهي حلقة في سلسلة سابقة طويلة طويلة. لن نلتمس بداية هذه السلسة من عند قطع لسان الحطيئة، ولا من قتل الحلاج والسهروردي، ولا من نفي الطهطاوي والأفغاني والنديم. ولن نلتمسها حتى من مصادرة علي عبدالرازق و طه حسين أو اغتيال حسين مروة وفرج فودة وطرد نصر حامد أبوزيد وجزّ عنق نجيب محفوظ. بل سنلمسها - فقط - في السنوات السبع الماضية مع بداية القرن الحادي والعشرين، حيث نجد سلسالاً متصلاً:

مصادرة "وليمة لأعشاب البحر"، الحكم بسجن ليلى العثمان وعالية شعيب، منع كتاب "النبي" لجبران و "الخبز الحافي" لمحمد شكري، و "محمد" لمكسيم رودنسون من الجامعة الأميركية بمصر، محاكمة الشاعر الأردني موسى حوامدة (فأعطاه الغرب جائزة باسم الحرية)، تحطيم تماثيل بوذا في أفغانستان، الهجوم على عبدالعزيز المقالح وعلي المقري في اليمن، هجمة " الحجاب " على وزير الثقافة بمصر، تحطيم تماثيل متحف حسن حشمت في الزيتون.

إنها حلقات منتظمة في سلسلة منتظمة منذ بدء التاريخ العربي، وقبله. ذكرنا منها القليل وتركنا الكثير. والمقصود أن " الفعل الظلامي" ثابت وقديم، بل إن رقعته تزداد وخفافيشه توسع فضاء الطيران.

الثانية: هي المفارقة المعيبة التي يتخبط فيها مجتمعنا العربي، والتي تكمن في أن البرلمانات العربية صارت في السنوات الأخيرة تمارس مهمة هي نقيض مهمتها الأصيلة. إن مهمة البرلمانات في كل بلاد الدنيا هي الدفاع عن الحرية والديمقراطية والتعدد والتنوع، فضلاً عن تجسيد تلك القيم كلها، إلا في برلماناتنا العربية، التي انقلبت على نفسها ودروها وطبيعتها، لتغدو منابر للقمع والكبح والقهر والاستبداد:

خذ عندك: دعوة البرلمان المصري في السبعينات إلى حرق " الفتوحات المكية" لشيخ التصوف الإسلامي الأكبر محي الدين بن عربي، وحرق " ألف ليلة وليلة". واعتراض البرلمان الكويتي على قرار الأمير نفسه بمنح المرأة حقوقها السياسية. وعاصفة البرلمان المصري على "وليمة لأعشاب البحر"، تلك العاصفة التي شارفت إشعال فتنة داخلية، بعد تحريض من رئيس اللجنة الدينية بالبرلمان أحمد عمر هاشم لشباب الأزهر على التظاهر في الشوارع. ثم هجمة البرلمان المصري على وزير الثقافة نفسه، بعد تحالف التيارات الدينية مع الحزب الوطني ضد الوزير (الذي هو حزب وطني كذلك).

والحق أن وقوف البرلمان العربي عكس مهمته الأصيلة ليس جديداً تماماً على البرلمانات العربية، فقد تكرر ذلك مرات كثيرة في تاريخنا الحديث، أشهرها وقوف سعد زغلول (قائد ثورة ١٩١٩ وزعيم الليبرالية ورئيس البرلمان المصري وقتها) ضد طه حسين في أزمة كتاب (في الشعر الجاهلي) في أواخر عشرينات القرن الفائت. وهاهي هجمة البرلمان البحريني على الشعر والغناء. فهم، إذن، خير خلف لخير سلف.

والبرلمان العربي بذلك يقدم أعجوبة مرموقة من أعاجيب الدهر: إذ ينتقل البرلمان نقلة كيفية مذهلة، فبدلاً من مراقبة الحكومة ومحاسبتها، يراقب الشعب ويحاسبه، وبدلاً من مواجهة الاستبداد ومحاكمته، يواجه الحرية ويحاكمها.

الثالثة: أن هذه المقاصل المقامة والسيوف المشرعة باسم الدين – والدين منها براء – هي التي تسيء – في حقيقة الحال – إلى الدين وتزري به وتهينه، من أكثر من زاوية:

أ – إن الهلع والارتعاب من أن يضار الدين أو ينهار من قصيدة أو مسرحية أو رقصة أو رواية، يعني أن أصحاب هذا الهلع المرتعب يرون أن الدين هشّ خفيف هزيل يمكن أن يطيح به عمل فنيّ.

ب- إنهم، بهذه السيوف المشهرة والتكفيرات السابقة التجهيز، يحجبون الوجه السمح العادل المستنير للإسلام، ذلك الوجه الذي يؤكد " ذكّر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر"، والذي يؤكد " لكم دينكم ولي دين"، والذي يؤكد " وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا"، والذي يؤكد أن "اختلافهم رحمة"، والذي جعل اليهود والمسيحيين يشاركون بقسط بارز في بناء الحضارة الإسلامية الزاهرة (أيام كانت زاهرة). وهم بحجب هذا الوجه السمح المتقبل للآخر، إنما يقدمون صورة شائهة متجهمة قاسية للإسلام، تؤدي إلى النفور لا القبول، والابتعاد لا الاقتراب.

ج- إنهم، بالسيوف المشهرة والتكفيرات الجاهزة وبحجب الوجه السمح وتصدير الصورة القاسية، إنما يصنعون التصور المريع الخاطئ عن الإسلام لدى المواطن الغربي وأصحاب الديانات الأخرى. لماذا – إذن – يبحثون عن أسباب هذا التصور المريع الخاطئ عند العالم الخارجي، وهم صانعوه الاساسيون؟

د- إن الدين الذي ينتظر كل مخطئ – إن كان ثمة خطأ – بالويل والعذاب والجحيم والرعب، لا بالسماحة والعفو والسعة والغفران، هو دين منفر لا مبشر، ينحاز للترهيب لا الترغيب. وهو تصور ظالم مجحف للإسلام، لم يتسبب فيه الدين نفسه، بل تسبب فيه فقهاء الظلام وشيوخ الكبح.

الرابعة: إن مواجهة هذه الموجات الظلامية المتتالية لن تؤتي ثمارها المرجوة، إلا بثلاث طرق:

١- توضيح الوجه المضيء للإسلام وإشاعته، وكشف الغطاء، الذي وضعه السلفيون القادمون، منه، وتعميمه في المدارس والمعاهد والكليات والإعلام والتلفزيون ووزارات الأوقاف وخطب الجمعة وسائر وسائل الوعي والتربية والتعليم.

٢- فك الارتباط المتين بين السلفية الدينية المحافظة والسلطة السياسية المستبدة. فما كان لهذه السلفية المحافظة أن تنشر وتتغوّل إلا بحلف مكين مع السلطات السياسية القاهرة، التي تتغذى بهذه السلفية وتغذيها، تبقى بها وتبقيها، كما افهمنا الكواكبي في "طبائع الاستبداد".

٣- إعطاء ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. بتعبير آخر: تطبيق شعار الثورات الوطنية العربية الخلاق " الدين لله والوطن للجميع"، تطبيقاً يجسد فصل الدين عن السياسة، بحيث يكون الدين علاقة روحية بين العبد والرب، وتكون المواطنة المدنية عقد التعامل بين المواطنين والمواطنين، وبين المواطنين والدولة، من حيث الحقوق والواجبات المنصوص عليها في القانون الذي يخضع له الجميع، بصرف النظر عن الدين والجنس واللون والاعتقاد.

بهذه الطرق الثلاثة يمكن أن نعبر الهوة إلى الحداثة الحقة، ويمكن أن يزول – أو يضعف – سيف الظلام المسلط على رقاب العباد والمواطنين والمبدعين. وبغيرها سنظل ندور في هذه الحلقة الجهنمية المفرغة، التي يرفع فيها السوط على المغني إذا عزف العود (الله يرحمك يا زرياب)، وعلى الشاعر إذا أطلق مجازاً (الله يرحمك يا أبا نواس)، وعلى الروائي إذا رصد مشهداً (الله يرحمك يا ابن طفيل).

وستظل الحرب دائرة بين فريقين من المجانين:

فريق مجنون ليلى، أي مجنوني الحب والبهجة والجمال، وفريق مجنوني مكارثي والحجاج الذي رأى رؤوساً حان قطافها، أي مجنوني الكراهية والقبح والكآبة. وساعتها سنعيد مجدداً قراءة ديوان قاسم حداد " خروج رأس الحسن من المدن الخائنة" وسنعيد مجدداً الاستماع إلى صوت مارسيل خليفة وهو ينشد: " في كفي خصفة زيتون وعلى كتفي نعشي، وأنا أمشي، وأنا أمشي".

خريف الثقافة .. كلاكيت للمرة المليون!

سعدية مفرح – الكويت

المشهد ذاته يتكرر في كل عاصمة عربية، تتغير الوجوه، وعناوين الحوادث، لكنه المشهد نفسه، يستدرج الخريف ليحتل ما بقي لنا من مناخات ربيعية مبتسرة تحاول أن تحتفظ بمساحاتها التي تتقلص يوما بعد يوما.. هنا وهناك.. على امتداد الخريطة العربية الراهنة...

فخريف الثقافة، وفقا لهواة المناخات الخريفية في دلالاتها المعنوية، البعيدة عن جمالية المشهد تشكيليا ولونيا، ينبغي أن يكون هو الفصل الوحيد الذي يمكن أن نعيشه ونتعايش معه قوميا، بحجج مختلفة، منها انه الفصل الذي يلائم العادات والتقاليد العربية والإسلامية.. تحديدا (يا للمصطلح المطاط !!) لكن أخطر هذه الحجج ما عبر عنه عضو بمجلس النواب البحريني عندما سئل عن رأيه بالحملة التي شنها زملاؤه الإسلاميون ضد عرض مسرحية أخبار مجنون ليلى في المنامة مؤخرا حيث قال إن المواطن مشغول عن كل هذا بلقمة العيش، بالصحة والتعليم والسكن ووسائل المواصلات و... و... الخ، وهذا يعني أن أي حديث عن الثقافة على مستوى الربيع أو الخريف أو الشتاء أو الربيع سيكون ترفا. وللأسف فقد سادت هذه الحجة لدى كثيرين على رغم أنهم لا يخبروننا كيف يمكن للخريف أن يكون حلا لكل هذه المشكلات، وكيف يمكن أن يكون الربيع حائلا دون أن يتوافر للمواطن لقمة عيش نظيفة، أو سرير في مستشفى، أو مقعد في مدرسة، أو شقة تكفي طموحاته عندما يضع رأسه على مخدة الأحلام ليلا.

ما تعرض له الشاعر البحريني قاسم حداد والفنان اللبناني مارسيل خليفة اللذان تشاركا في رسم مشهد معاصر للحب في تجلياته التراثية عبر تقديم مسرحية عنوانها "أخبار مجنون ليلى" في افتتاح مهرجان ربيع الثقافة في البحرين مؤخرا يعيد المشهد ولا ينتجه من عدم، ففي كل عاصمة عربية هناك ما يمكن أن يكون مرجعية للحدث الجديد.. ولنتذكر بعض المشاهد العربية المزعجة على هذا الصعيد في مدى السنوات العشر الأخيرة فقط، لنرصد ما حدث لمارسيل نفسه في بيروت نفسها عندما احتج البعض على نص شعري لحنه للشاعر محمود درويش عنوانه "أنا يوسف يا أبي"، وما حدث لنجيب محفوظ ونصر حامد أبو زيد وفرج فودة في القاهرة، وما حدث للدكتور احمد البغدادي وليلى العثمان وعالية شعيب في الكويت، وما حدث لعلي المقري في صنعاء، وما حدث لكثير من المثقفين المستنيرين في الجزائر أو دمشق أو طرابلس أو... أو... أو إلخ... وما حدث أخيرا في الأراضي المحتلة التي تشاغل فيها الحزب الحاكم عن كل ما يمكن أن يشغل الناس هناك من احتلال وتقتيل وتهديد بحرب أهلية ليتفرغ

لمهمته الكبرى في مصادرة كتاب تراثي يدرس في مدارس الأطفال ليساعدهم على حفظ بعض ما تفوه به أجدادهم الأولون من حكم وأمثال شعبية، لكن سدنة الأخلاق الجدد رأوا فيها ما يمكن أن يهدد الأخلاق الجديدة للأجيال الجديدة!!.

قاسم حداد ومارسيل خليفة اللذان يواجهان الآن حملة شعواء في البحرين بسبب محاولتهما تمجيد الحب شعرا وموسيقى أشارا إلى أنهما قدما العرض لتحريض "الناس على الفرح لا الغياب، على الحياة لا العدم"، لكنهما نسيا أن البعض مؤمن أشد الإيمان بأننا مجرد أمة للغياب والعدم !.

فلا عزاء لهما... ولا عزاء لقيس ولا لليلى أيضا !.

خريف النواب .. و قمع الحريات

ريم خليفة – البحرين

اعتاد البحرينيون منذ زمن طويل على تقبل اختلافاتهم وتوجهاتهم الفكرية والسياسية والاثنية من دون خدش أو تماد في فرض رأي دون آخر، إلا أننا اليوم أصبحنا نعيش في وقت التطرف والتشدد الفكري الذي بدأ يطرح عبر وسائل شتى، لكن يبقى علينا واجب المحافظة على ثوابتنا وتقاليدنا المتوارثة.

إن الحرب التي اجتمع فيها السنة والشيعة من قبل نواب مجلسنا الأفاضل بشأن ربيع الثقافة وهي أي – الوحدة – جاءت في غير محلها، لأن الوحدة كنا نتمناها أن تكون جلية في حقب البحرين الماضية التي كانت فيها البلاد تغرق في قيود القهر السياسي، بينما الفكر والتعددية تتنامى يوماً بعد يوم، توحدها كلمة واحدة هي الوحدة الوطنية .. وحدة المطالب لا غير.

للأسف وحدة النواب في بعض الأحيان لا تمثل وحدة الوطن بمختلف فروقاته وألوانه الأيديولوجية المتعددة التي كانت ومازالت تشكل نسيج المجتمع البحريني الذي تمثله مجتمعات داخل المجتمع العام، وهو ما جعل البحرين على مر الزمن تزخر بتنوع ثقافي يميزها عن باقي دول الخليج. فبينما كان الأولاد والبنات ينخرطون في التعليم في عشرينات القرن الماضي كانت دول الجوار تجلس بناتها قابعات إما في بيوتهن أو خيامهن، والقلة من أولادهم من ترسله لتلقي العلم في البحرين أو مصر أو لبنان.

عندما تسأل نوابنا الأفاضل ومن معهم الذين دخلوا في حرب مع " الثقافة" يجيبوك بأن أياً منهم لم يحضر أية فعالية من فعاليات ربيع الثقافة، لكنهم يجادلون ويطلقون الأحكام على هذا الربيع، وكأنهم أوصياء على البحرينيين في اختياراتهم، على رغم أن ذلك يناهض مواثيق حقوق الإنسان بشتى أنواعها التي يضربون بها المثل في كل حدث ومناسبة.

الكثير من هؤلاء النواب مشغولون بالبحث عن محاكمات أعادت لنا ما سجلته كتب التاريخ والأسماء الكثيرة، ابتداء من المشرق العربي وحتى الغرب الأوروبي، بل إنهم أثاروا جزءاً من مشاعر الشارع لرفع كفتهم بحجج مختلفة أغرقت المشهد السياسي بقضايا تقمع حق الاختيار بدلاً من أن تلهث وراء تحسين ظروف المواطن الغارق في قضايا لا حل لها إلى الآن.

إن الوحدة على عدم المعرفة بالشيء مصيبة، وربما مصيبتنا هي أن نوقف حال الإبداع والتطور الإنساني، وهو أمر مرفوض لأنه وبصورة واضحة يعتبر تعدياً على الحريات العامة وعلى الانفتاح الاجتماعي الذي عرفت به البحرين منذ عقود طويلة.

تجميد الصورة .. قتل لهرمونية العمل الفني
بلقيس فخرو – البحرين

حالة من الهستيريا شهدتها الجلسة التي عقدها مجلس النواب البحريني لإقرار مقصلة الثقافة، أصابت غالبية الأعضاء. فما رأيناه في الصحف المحلية من صور لبعض النواب رافعين صورا فوتوغرافية لبعض المشاهد التي احتواها عرض المسرحية الغنائية "أخبار مجنون ليلى"، و ما شنه احد النواب من حملة على العرض مستنكرا ما جاء فيه من "رقصات" و زاعما أنها تتضمن "إيحاءات جنسية"، و داعيا وزير الإعلام إلى فتح تحقيق عاجل في القضية بما يضمن عدم تكرار تقديم هذا النوع من العروض، جاء ليشكل دليلا واضحا آخر على أن المجلس قد أدار ظهره للانتقادات الحادة التي أطلقها أقطاب المجتمع المدني البحريني.

ما يراه النواب في تلك المشاهد الموثقة (فوتوغراف) لا يمت بأي صلة إلى ما تم عرضه في الصالة الثقافية في المنامة في أوائل شهر مارس. فالعمل المسرحي الخارق الذي يتكون من كلمات الشاعر قاسم حداد مستوحى من التراث العربي تمت إعادة صياغته بلغة شعرية حديثة و بلاغة عميقة هزت وجدان كل من استمع إليها. و الشاعر هنا يؤكد خصوصية أسلوبه المتميز و الملتزم. ثم جاء دور الموسيقار اللبناني مرسيل خليفة في تحويل معاني تلك الكلمات إلى ألحان موسيقية تضاهي الكلاسيكيات العالمية الحديثة. أما المجهود الذي بذلته الفرقة الاستعراضية لنادرة عساف و تقديم العديد من اللوحات الفنية المختلفة و المتمثلة في رقص الباليه (التعبير)، فقد كون عملا فنيا موحدا لا يمكن تجزئته.

وكون بعض المشاهدين استطاعوا أن يلتقطوا بعض المشاهد بكاميرات الفيديو الرقمية، و يقوموا بإيصالها بالكومبيوتر للحصول على بعض اللقطات و تجميد منظر لبعض اللوحات الفنية و الاستعراضية للحصول في النهاية على صور فوتوغرافية تتضمن إيحاءات جنسية، فانه أمر مرفوض تماما.

إن ما شاهدناه على المسرح كان شيئا مغايرا لما شاهدناه على الأوراق التي يمسك بها النواب. لقد شاهدنا لوحات استعراضية راقية مصحوبة بموسيقى مكملة و مترجمة لكلمات الشاعر قاسم حداد، و الرقص التعبيري هو ترجمة لكلمات الشاعر و ألحان الموسيقار التي استطاعت الفرقة أن تؤديها بخفة و رشاقة و سرعة فائقة.

و هكذا فان تجميد بعض اللقطات فوتوغرافيا و طبعها على الورق و نشرها بتلك الطريقة، ما هو إلا تشويه متعمد لعمل فني جاد، القصد منه مهاجمة كل ما له صلة بالثقافة و الفن الراقي رفيع المستوى. و إذا كان المقصود من تكوين اللجنة البرلمانية المقترحة تقييم العمل الفني، فلا بد أن نترك الأمر إلى أصحاب الاختصاص في النقد الفني فحسب.

عاشق ليلى ليس مجنونا

محمد حسن الحربي – الإمارات

حينما وقع في يدي كتاب "مجنون ليلى" للصديق الشاعر البحريني قاسم حداد، قلت في نفسي "إنها السيرة الذاتية لذلك المجنون ينجح في كتابتها شاعر معاصر من المنطقة نفسها". وكنت قصدت بذلك البحرين التي لا تبعد اليوم كثيرا عن مراتع مجنون ليلى في شبه جزيرة العرب.

أذكر أنني ابتهجت كثيرا أثناء المطالعة، وبعدها رحت في تأملات عدة كان منها أن الشاعر الذي عرفناه مجنونا لم يكن كذلك، والشاعر الذي عرفناه شهقا ومات لم يكن مصرعه بهذا الشكل، والشاعر الذي عرفناه ضعيفا ورعديدا أيضا لم يكن بهذه الصورة. فقاسم حداد لم يذهب في سيرة "المجنون" مذهب التفنيد لروايات المؤرخين التي وصلتنا عبر الحقب والقرون، إنما أراد أن يغير فقط "المطل" المشرف على هذا الشاعر ليكشف الغامض والملتبس في شخصيته والمحيط الاجتماعي الضاغط والبيئة التي ترعرع فيها وأسهمت في معاناته، التي دفعته للتلظي بالجنون تخلصا منها والفوز بقرب "ليلى".

لقد كان ذلك بالأمس، منذ سنوات عدة خلت.. وما أسرع السنوات!

اليوم، وفي نهاية الأسبوع الماضي تحديدا، كنت وجها لوجه مع عمل فني بشأن الكتاب نفسه "مجنون ليلى" ضم الشعر والموسيقى والحركة في مسرح قاعة الفنون في البحرين.
هل هي الصدفة الجميلة، أم أن الأمور كتب لها أن تكون كذلك؟

وبصرف النظر، فلم يكن ليسعني قول أي شيء سوى ترديد: يا لها من صدفة جميلة ومبهجة. ربما ما كانت لتنجح حتى لو تم التخطيط لها في زمن من سماته سرعة "استهلاكنا" على غفلة.

ماذا شاهدت وسمعت في تلك القاعة المكتظة بالناس وأنا جالسٌ مثل عشرات بعضهم على الأرض لم يجدوا مكانا أو وضعا سوى ذلك؟

الشاعر قاسم حداد جالس في الجانب الأيمن من المسرح كما لو كان "عارف القبيلة" أيام زمان، وفي يده كتاب "مجنون ليلى" يقرأ منه ويتوقف، ليعطي وقتاً متفقاً عليه لمارسيل خليفة الجالس وسط صف من العازفين في عمق المسرح حانيا على عوده بصدره وكلتا يديه، محاولا ترجمة الصورة الملتقطة من صوت الشاعر موسيقيا، ثم يتوقف ليعطي وقتاً للفرقة الراقصة والصامتة طيلة العرض، لكي تترجم البعد الحركي للصورة لتتضافر مع الكلمة والموسيقى مجسدة بذلك "مجنون ليلى" في اشتعالاته وعذاباته وأشواقه، وانتشاءاته حينما كان يحظى بـ "قندة الجسد" كما وردت.

إن ثلاثي الموسيقار مارسيل والشاعر قاسم والفرقة الراقصة التي تميزت بقدرة هائلة على التجسيد الصامت/المتكلم، أعطَونا نحن الحضور الصورة الكاملة والدقيقة لواحد من أكبر الحوادث درامية في تاريخ العرب الاجتماعي والعاطفي. لقد نقلونا خلف قرون زمنية عدة، لنرى ونسمع ونشعر ونتفاعل، أو أنهم نقلوا ذلك الحدث ليضعوه أمام قرون تالية حيث نحيا نحن ونعيش ليتحقق لنا ما لم يحققه الكتاب بمفرده أو الموسيقى بمفردها أو الفرقة لوحدها.

ليس هذا الحدث منعزلا عن البرنامج الثقافي والفني الذي تعيشه هذه الأيام مدينة المنامة عاصمة مملكة البحرين، إنما هنالك أنشطة ثقافية وفنية عدة. إن الملصقات والصور على جنبات الشوارع الرئيسية في المدينة تخبر المرء أن ما يحدث ما هو إلا جزء من نشاط دوري شامل عنوانه "ربيع الثقافة" تشرف عليه دائرة الثقافة بوزارة الإعلام. هنالك فرق موسيقية عربية وأجنبية كثيرة ستكون لها مشاركتها في هذا الربيع الذي يضفي حقا شعورا بالربيع وأفقا واسعا لتجليات الحياة واستئنافها بوضع أفضل.

"قاسم حداد" ولعنة الذئاب
طارق الكرمي - فلسطين

ما سمعناه وقرأناه في الأيام الأخيرة هو عن حرب الإرهاب الفكري الدّاخلي، وهذه حربٌ معلنة ذات تخطيط وذات سوداوية فادحة. والمؤسفُ هو ما صارَ يحدث وما حدثَ للشاعر البحريني "قاسم حدّاد" من اتهامات بشأن عمله الفني الرّائع مع الرّائع "مارسيل خليفة"، هذين الثنائيين المُتفرّدين في الأسلوب كلّ على طريقته، ولكن كلّ واحدٍ منهما مع الآخر يشكلُ كونشيرتو في رائعة "مجنون ليلى".

والذي حدث أثناء عرض هذا العمل الفني لهو تجنٍّ واضح وهو بزوغ أو استمرارية بزوغ عمى العقل.. (هذا مصطلح صدر عني الآن أثناء كتابة هذا المقال).. عمى العقل.. حسنٌ، فالذي حدثَ من تهجّم وهجوم لا مبرر لهُ يشيرُ إلى أننا لا نفسر ولا نؤول حتى ولا نعطي العقل أنْ يتكلم ولا أن يمضي في وظيفته التي وضعَ لها.. إذاً هو العدمُ والعدميةُ وبينهما الفهمُ العادمُ.

ثمَّ مسألةٌ بسيطةٌ مفادها: من يحاكمُ من؟ ومن يملكُ الحكمةَ فيما يحكمُ؟ ومن يبلغُ الحكمةَ؟ ومن المؤسفِ أنْ يصبحَ المثقفُ والكاتبُ والفنانُ كرةً بينَ أقدامِ فاقدي الخطوات وفاقدي القدرةِ على السيرِ ومن لا يستطيعونَ فهمَ شيءٍ أو أيّ شيءٍ.

أقولُ لمنْ فعلَ الأفاعيلَ بالشّاعر "قاسم حدّاد": نحنُ المؤمنون، والدليلُ على ذلكَ إبداعنا.. أليسَ اللهُ مُبدعاً حينَ أتمَّ الخلقَ.. أليسَ الإبداعُ هو تفاحة الإيمان؟ ولو سألنا سؤالنا: لماذا لم يمنع رسول الله (ص) تناقلَ الشعر الجاهلي على كلّ أوجهه (أقولُ: على مافيه)؟ لماذا لم ينهَ رسولُ الله عن ترديد قصائد امرئ القيس وميمون بن قيس (الأعشى) وغيرهم ممن كتب حتى الايروتيك الأول من أسلافنا الشعراء الأولين في الماضي؟

لقد كان في الحقبة الجاهلية حسبَ ما أذكرُ ويذكر القارئ الكثير من القصائد الجاهلية التي تصل موصل التشبيب الفاضح، فما بالُ هؤلاء يتصيدون أعمالَ ناجحة كـ (مجنون ليلى) ونحنُ نعرفُ أصلاً من تكون ليلى هذه وما قيلَ فيها من قصائد جاهلية في التاريخ، فالاسم لم يأتِ من فراغ. إذاً لماذا يُجرمُ "قاسم حدّاد" ولا يُجرّم صاحبُ ليلى الأصلي؟ لماذا لم يتخذ رسول الله حكماً بقصائدِ التشبيبِ الجاهليةِ ويمنع أصحـابه والمسلمينَ من حفظها وتناقلها (بدليل أنها وصلتنا حتى يومنا)؟

هذا من ناحيةِ النص الكتابي (مجنون ليلى). أما من ناحية العرض (الذي تمَّ عرضهُ على المسرح) وهو عرضٌ غنائيٌّ يحملُ الرّقصةَ التعبيريةَ لرائعة حدّاد، فهو الحركيةُ التي تحملُ الإيحاءَ وتأتي للدلالةِ على الموضوعيةِ الفنية. هنا نقول التعبير والتعبيرية، وهما سيان في الإيحاءِ وفلسفة الإيماء.. وهما لا يُفسّران لأنهما يحملان التفسيرَ ذاته في المتن.

لقد كان حسان بن ثابت يقومُ بالعرض التعبيري حينَ يلقي قصائدهُ أمام الجمهور، إذ كان يروحُ ويجيءُ بملابسَ مزينة وكانَ يضبغُ نصفَ لحيته ونصفَ شعرهِ لإطلاقِ الجملة التعبيرية في العرض.. هذا شرحٌ بسيطٌ لما كان ابن ثابت يقومُ به، إذ هوَ الشاعرُ والممثلُ والمخرجُ في آنٍ معاً.

ومن يذكر ليالي القصور زمن أمراءِ المسلمينَ (آبائنا). ألم يأتنا الرّقصُ التعبيريُّ الإيحائيُّ من تلك الحقبةِ المزدهرةِ إبّانِ ازدهارِ الإمبراطوريةِ الإسلاميةِ (وللعلم فإنَّ رقصَ الباليه مأخوذٌ جملةً وتفصيلاً عن الرقص العربي في عهد القصور)؟ لماذا يحاكمُ "قاسم حدّاد" على عملٍ فني بالتجريم بدلاً أنْ يُصفقَ لهُ ويُمنح الاحترام؟

وما العيبُ في الغناءِ إن كانَ يحملُ قضية تاريخية أو قضية قصصية أو قضية اجتماعية أو قضايا ملتزمة؟

فالتجويدُ على سبيل الذكر هو فنٌّ قائمٌ بحدٍّ ذاته، وإن كانَ فطرياً فهو يتّسِمُ بالعلميةِ أيضاً، ومعنى أنهُ يتّسِمُ بالعلميةِ هو أنهُ يحملُ التقنينَ.. التقعيدَ .. في داخلهِ وهو قائمٌ على أصولٍ وقواعدَ كثيرة.

وحينَ يقومُ المقرئُ بالتجويدِ فإنهُ ملتزمٌ بقضيةِ القواعد والأصول..عدا ذلكَ فهو يقومُ باستخدامِ دوائرِ الغنةِ والغنّةِ والغنغنة كما أوضحنا سابقاً، وعدا ذلكَ أيضاً يقومُ باللّعبِ الموسيقيِّ بصوتهِ (وللعلم فالصوتَ البشريُّ أعظمُ آلة موسيقية على الإطلاق وهذا ما اصطلحَ عليهِ علماءُ الموسيقى في العالم).. أي أنهُ أثناءَ تلاوة القرآنِ والتجويدِ يقومُ باللّعبِ بالمقامِ الموسيقي، حيثُ يتنقلُ وينتقلُ المُقرئُ من مقام إلى مقام آخرَ من دونَ إحداثِ النشازِ أو الإخلال بالميلودي. فهو ينتقلُ من مقام الحجازِ أو الحجاز كار كورد مثلاً إلى مقام النهاوندِ المُرصَّعِ أو العجم أو مقام الرّاست.. إلى.. ألخ. بمعنى: أنهُ لا يجبُ عليهِ الإخلالَ بالمازورةِ أثناءَ تغنيهِ وان كان في دائرة التجويد.

"قاسم حدّاد".. نحنُ لا ندافعُ عنكَ كاسم وإنما ندافعُ عنكَ ونقفُ إلى جانبكَ كمشروع أصيلٍ في ثقافتنا. ونحنُ لا نكتبُ هذا لندافع عنكَ فأنتَ لستَ المتهمَ. ونحنُ إن لم ندافعْ عنكَ فنحنُ نُدينُ أنفسنا ونُدينُ مشهدنا الثقافيَّ العظيم. ونحنُ إن لم نقف في صف واحد (حذار أن يتداعى الجسمُ) فلن نسجل موقفاً إبداعياً. ونحنُ إن لمْ نكن في ذاتِ الصّفِّ فكيفَ سنشكّلُ المشروعَ والمشهد الثقافيَّ الواحد؟

الضوابط الشرعية للحفلات الربيعية!

سوسن الشاعر - البحرين

لا أدري ما هي الضوابط الشرعية للرقصات التي تريد أن تقرها كتلة الأصالة في مملكة البحرين من خلال لجنة التحقيق الأسرع والأول في الفصل التشريعي الثاني لمجلس النواب حتى نرسل نسخة منها للفرق التي سندعوها لاحقاً كي نضمن مطابقتها لأعرافنا و تقاليدنا وديننا؟!

هل نتصور الأخوة في كتلة الأصالة يجلسون مع الأخ وزير الإعلام و الأخت الشيخة مي آل خليفة الوكيل المساعد للثقافة يطلبون منهما وضع ضوابط للرقصات التعبيرية مثلا؟ وكيف سيشرحون لهما تلك الضوابط؟

هل ستضحكون على بعض أتباعكم و من صوت لكم وتبرأون الذمة منهم و تخلصون إلى تسوية مع الحكومة تنتهي كما انتهى أخوتكم في الكويت مع حكومتهم بلائحة ضوابط شرعية للحفلات التي هاجمها الإسلاميون قبل الليبراليين؟

لائحة من ١٢ بنداً، الثاني منها يحدد ملابس المغنية، و الأخير منها يفرض مفتشين لهم صلاحية الضبط القضائي لمراقبة تطبيقها! ولا أعرف تحت أي بند دستوري خرج هذا النوع من الضبط القضائي؟ أما البند الثالث منها فيمنع رقص الجنسين من المغنين و الجمهور، مما ترتب عليه منع وقوف الجمهور و البقاء في الكراسي، وإعطاء رخصه للمفتشين القضائيين بأن يسحبوا أي "مستطرب" وقف ورقص في مكانه، حتى خرجت الجماهير الكويتية من الحفلات ورقابها تؤلمها من كثرة "المجولع"، فهذا هو بديلها الذي أوجدته كمخرج للتعبير عن طربها وهي الممنوعة من الوقوف؟!

لو تقرأون ما كتبه الإسلاميون عن هذه اللائحة لتراجعتم؟ فليست هناك تسويات ترضي جماهيركم التي ترفعون سقف توقعاتها.

يا جماعة الخير، هذا ليس منتصف عصاكم حتى تقنعون أنفسكم بأنه لا خيار أمامكم إلا مسك العصا من النصف؟ لو طبقنا رؤاكم لما وجدتم حفلات أصلاً. إن الغناء محرم عندكم.. الصور محرمة عندكم .. فعن أي لقطات مخلة بالآداب تتحدثون وتمسكون بصورها وتتذمرون؟ و عن أي مخالفات تبحثون؟ إن كنت تتحرك من قناعاتك أخي النائب السلفي، فكل ما يجري هو مخالف من (ساسه لكرياسه) لقناعتك .. ليست هذه اللقطة أو تلك .. فلا حفلة ولا يحزنون، ولا فرقة من الأساس تدخل البحرين، فلا تساوم على قناعاتك حتى نبقي على احترامنا لك.

يا جماعة الخير، والله إننا ننشد الخير لكم.. وفي هذا لكم أن ندافع عن حقكم بأن تدعوا الناس وتناصحوهم، وأن تمسكوا أنفسكم عن الذهاب لتلك الحفلات، وأن تغضوا الطرف عن إعلاناتها، وأن نمنع أيا كان من الجيران والأمن ممن يحاول إجباركم وقسركم على ارتيادها، فلكم حرية معتقدكم و لكم حرية ممارسة هذه المعتقدات، ولكم كل الاحترام و التقدير، ولكم أن نمنع عنكم أي تحقير أو إهانة تمسكم بسبب معتقدكم، فهذا واجب الجميع تجاه بعضهم البعض حفاظاً على الوحدة الوطنية وحفاظاً على وطن شامل يجمعنا تحت راية واحدة.

لكنكم لستم أوصياء على الآلاف من البشر .. من العوائل والأفراد .. العرب والأجانب المسيحيين والمسلمين واليهود .. البحرينيين وغير البحرينيين .. الذين ارتادوا هذه الحفلات وهم أيضا يعرفون الله مثلما تعرفونه، فلستم في مواقع إجبار الناس على العيش مثلما تعيشون. هذه ليست مهامكم، فلا تشغلونا كما جرت العادة كلما اقترب وقت مناقشة قضايا عليها إجماع عام!

الفاحشة

بسمة الحسيني - مصر

يتهم نواب في البرلمان البحريني الفنان مارسيل خليفة والشاعر قاسم حداد بالتحريض على ارتكاب الفاحشة، وذلك عبر العمل الموسيقي الشعري الراقص "أخبار مجنون ليلى" الذي قدم أخيراً ضمن مهرجان ثقافي في البحرين.

ما هي الفاحشة؟ وكيف يمكن أن يحرض عمل فني أنجزه فنانون مثل خليفة وحداد على ارتكابها؟ هل الفاحشة هي أن يحتفي عمل فني بقدرة البشر على المحبة والتواصل، على التمسك بالحياة والإيمان بقيمتها؟ أن يصور الشاعر والموسيقي على المسرح عبقرية العاطفة الأولى في حياة الناس: الحب، وأن ينقلا للمشاهد تصورهما عن امكان السمو التي يعد بها جمال الكائن البشري، جسداً وروحاً؟ ألا يعتبر مثل هذا العمل الفني فعل مقاومة في زمن تهدر فيه الحياة ويسوده الدمار، يحرم فيه الناس من حريتهم؟

إنّ مارسيل خليفة بموسيقاه وأغانيه، وبمسيرته الشخصية مناضل وفنان، ووعي موازي ومورد للأمل لجيل عربي لم يعرف سوى الهزيمة استلاب الحرية والكرامة وشيوع اليأس. أما قاسم حداد فهو اسم البحرين في ديوان العرب، وفتح لنا جميعاً نافذة أخرى على الخليج يهب منها نسيم البحر لا عادم النفط.

فهل يأتي التحريض على ارتكاب الفواحش منهما؟ ألا تكون الفاحشة هي في تجريم العاطفة الإنسانية وتحريم التعبير عنها؟ ألا تكون الفاحشة هي اختزال الإنسان، الكائن الأسمى، في إحدى وظائفه البيولوجية، والحكم على سلواه وتفكيره ومشاعره من خلال هذه الوظيفة الواحدة؟ ألا تكون الفاحشة هي في التنكيل بنصف البشر، النساء، وإقصائهن عن قرارات الحياة، وتكبيلهن بمشاعر الذنب والخطيئة، وإنكار قدرتهن على القيادة والحكم؟ ألا تكون الفاحشة هي في غض النظر عن القمع والظلم والسرقة، والتواطؤ مع المحتلين واللصوص والجلادين، والتحالف مع من ينهبون الفقراء ويهدرون ثروات الشعوب؟

الفاحشة هي مصادرة الخيال، الطريقة الوحيدة لدى الإنسان لتصور المستقبل، وسجن العقل والعاطفة في جب الماضي.

هذه هي الفاحشة التي تنفينا جميعاً إلى صحراء التخلف، وتحرمنا من أول شروط الإنسانية: حرية العقل.

ربيع الثقافة المجنون بهواء الحرية
عبدالله سفر – السعودية

عرض تلفزيون الفضائية اللبنانية (إل. بي. سي) مساء الأحد الأول من أبريل ٢٠٠٧ برنامج " أنت والحدث " وقد خُصصت حلقة هذا الأسبوع لمناقشة الجدل الدائر حول عمل مجنون ليلى من شعر قاسم حداد وموسيقى مارسيل خليفة، والذي قدم في افتتاح ربيع الثقافة في البحرين على مدار ليلتين (الأول والثاني من مارس) حيث قامت قيامة " الإسلاميين " وطالبوا في البرلمان بلجنة تحقيق حول عرض هذا العمل الذي أثار لغطاً كبيرا بسبب التجسيد المسرحي لرؤية المجنون (الرقص من تصميم نادرة عساف)، وبسبب بعض الكلمات الواردة في النص.

إذا، البرنامج يأتي لمناقشة هذا الحدث، في إطار علاقة الشرع بالفن. فاستضاف من البحرين نائب رئيس البرلمان الشيخ عادل المعاودة، ومن القاهرة المفكر الإسلامي جمال البنا. إلى ذلك شارك عن طريق الهاتف النائب الأول لرئيس مجلس الشورى جمال فخرو و الفنان عمّار الشريعي. وكما حدث في قناة الجزيرة حين استضافت الشيخ المعاودة مع المسرحي البحريني خالد الرويعي، خرج الشيخ بالصور التي يرى أنها تزكّي رأيه وتدين ربيع الثقافة المجنون. الصور ذاتها خرجت في " أنت والحدث " وكأنها اليقين الذي يدفع أي شكٍّ إلى أن يطاول برأسه ويقول لماذا.. كيف ترى بالنظر الحديد إلى شبهة " القذى " ولا تنظر إلى " خشبة " الوالي المنتصبة بين العينين، ورائحتها تفوح كل مساء. الآراء نفسها تتكرّر وفق الآلية المعروفة .. من الجزئية الصغيرة يخرج التعميم، ثم التضخيم، يلي ذلك الادّعاء أنهم صوت المجتمع، المرفوعة عقيرته للدفاع عن الأخلاق وحمايتها، واستعداء السلطة لوجوب المساءلة والتحقيق. ولا بأس بالعقاب بعد ذلك.

جمال البنا أتى إلى البرنامج بلا خلفية تخصّ الموضوع المطروح. لديه آراء تنويرية إزاء الفن والخيار الشخصي في المشاهدة ودعوة إلى انفكاك الفن عن سلطة الوصاية. ورغم هذه الآراء، إلا أن البنا بدا بعيدا عن ربيع الثقافة وما يعنيه. ما في ذهنه هو مسرح القطاع الخاص القاهري بمنحاه الاستهلاكي الغرائزي في غالبه الآن، وليس الفن الذي يتجّه إلى الروح وإلى العقل. لذا مرّت بعض كلماته مرورا ثقيلا غريبا، عن صور العرض المجتزأة والمضخّمة، نحو الابتذال (!) وأن لكل ساقطة لاقط (!!)، وعن الحسنات التي تمحو سيئات المشاهدة (!!): بما يعزّز مقولة الطرف الآخر، وإن كان على الضد في المنطلقات، لكن الصورة المعطاة من البنا هي صورة فقه تبريري؛ تثير الابتسام أحياناً.

ما بدا صلبا وأساسيا في البرنامج هي مداخلة جمال فخرو، من البحرين، ينقض بها مقولة الإجماع على رفض العرض، وتأكيده على حرية الفكر المكفولة دستوريا. وأحسب أن هذا هو التوجّه الذي ينبغي أن ينبني إزاء الممانعة لربيع الثقافة. المسألة في إطار حرية الفكر مقابل سلطة الوصاية ورِهاب الإجماع، وليس نقل النقاش إلى ساحة ليست للفكر ولا للثقافة؛ ساحة المحاكمة بين حدَّي الحلال والحرام.

لنا أن نتحدث عن الصواب والخطأ، وعن مساحة الاختلاف، بما لا يلغي أحدٌ الآخر. لكن ليس لأحد أن يحملَ مشرطاً يختبر به الثقافة فيما إذا كانت حلالاً أو حراماً، لأن هذه الطريقة لا تلغي عملاً معينا محدودا في الزمان والمكان. إنها تجر ذيولها بأثر رجعي يمسح الذاكرة الثقافية من جذورها.

هي الوصاية التي تفترض طفولة دائمة في البشر، ولا بدّ من الرعاية والحماية والتأديب. الوصاية قيد، فيما الحرية هواء لا يمكن للثقافة أن تزدهر بغيره وأن تصنع لها ربيعا بسواه.

قيس قاسم .. و عاش المجنون

حسين حبيب - البحرين

" يا غلظة الأكباد افتحوا كي يتخلل الحب قلوبكم وتتنابكم الرعدة البهية وتثلج أوصالكم ويرف على أفئدتكم ملاك الجنة والنار، واطرحوا من أيديكم الشغل والتجارة واتركوا لأجسادكم حرية النزال والإنزال، وسموا كل شيءٍ بإسمه، وقولوا هو الحب، لعلكم تنالونه وتقعون على نعمته وتستطعمون بعض ما أنا فيه، لكي لا يكون فكاك لكم ولا أنتم تبرأون" .

لا اعرف من قال هذه الكلمات هل هو قيس أو هو (قيس) قاسم.. لكني اتذكر حين قالها على المسرح ارتعش جسمي.. وقف شعر يدي .. وأصابتني حالة غريبة لا ادري ما هي . كدت أن اصرخ وسط الجمهور: عاش المجنون. تأملوا في هذه الكلمات .. اقرأوها مرة .. مرتين .. وخصوصا كهنة العصور الوسطى منكم، وتسع وعشرون جلادا للعقل والحرية، والمئات وربما آلاف من الرعاع الذين يفضلون العيش في كهف الإمبراطوريات الطالبانية البائدة التي تقدس النصوص القديمة وتجمدها وتقصي العقل والعقلاء... التي تحاكم ثقافة الحياة وتصلب كل من يدعو إليها بحجة أن ثقافة الموت هي الأسمى.

تأملوا في هذه الكلمات .. قد تكتشفون انه انتصر عليكم بكل أنواع النصر حتى في دينكم الذي تدعون أنكم تساندونه، فهو يعرف الآلهة أكثر منكم وقد انتصر عليكم في ذلك أيضا. اقرأوا النص جيدا .. ربما تجدون لفضيحتكم مخرجا، فلا جدوى من لجانكم ولا خطاباتكم ولا حصانتكم المستمدة من محاكم التفتيش. اذكر انه عندما كنت هناك وقال بعض الكلمات التي أرعبتكم، لم يتسن له تكملة الجملة. الكل وقف .. الكل صرخ .. الكل صفق بذهول وإعجاب، وربما بدموع الأمل. ولكي يكون في علمكم إنها هي الكلمات نفسها التي لم تعجبكم والتي رفعتم راية الجهاد الزائف ضدها التي نقلها لكم عسس الجاهلية.

ولن أنسى الصور التي حملها لكم داعية من دعاة أبواب جهنم .. يصرخ فيكم كما صرخوا في التاريخ .. اصلبوا المسيح فهذا دليل كفر جماعته .. هذا دليل انحلال ثقافته. فرجمتموه بكلامكم ولجان تحقيقكم، لكن كما انتصر عليكم المجنون ستنتصر عليكم هذه الصور، واني اجزم أنها ستخلد وستنبت شجرة كبيرة جدا مليئة بالصور التي تكشف عوراتكم لكي يراها التاريخ المقبل ويضحك عليكم كما ضحك على الذين من قبلكم.

وأخيرا يا لضعف ما تقولون، ويا للمهزلة. ماذا تريدون أن تفعلوا؟ و يا ويلنا من الناشئ الذي تريدون أن تنشئوا. فانتم لا تقرأون، وان قرأتم لا تفهمون، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

العداء للثقافة عداء للوطنية

علي الحداد – البحرين

ما يشغل علماء أمريكا اليوم، وبتوجيه من الرئاسة الأمريكية، هو التوصل إلى علم النانو تكنولوجي، أي الحجم الذي يقل عن النانومتر بمائة مرة، وهذا العلم سبق التطرق له من قبل معاهد الأبحاث في اليابان وأمريكا منذ السبعينات لكن دون نتائج باهرة. وبفضل إصرار الولايات المتحدة التي تعطي الأولوية للعلوم و الاكتشافات العلمية تم رصد أكثر من ٤٠٠ مليون دولار في عام ٢٠٠٦ للإنفاق على هذا المجال.

ومتى ما تم التوصل إلى هذه التكنولوجيا ستكون هناك نقلة علمية في عالم البيئة والصحة والسلامة والأمن ومجالات أخرى في عالم الفيزياء والكيمياء، وسيساعد على اكتشافات علمية جديدة.

إن ثورة المعلومات واقع لا مفر منه، اقتحمت منازلنا وأزالت كل الممنوعات والعوائق، وفرضت علينا واقعا جديدا كنا نرفضه والآن نتعايش معه. ولا اعتقد بأن الثورات المضادة للعلوم والثقافة يمكنها فرض نفسها على البشرية. لا يمكن للحضارة أن ترجع للوراء، ولا يمكن للإنسان مثلا الرجوع إلى استخدام الحمار والحصان والجمل بدلا من السيارة و الطائرة و القطار. وإذا اعترفنا بعلوم التكنولوجيا وثورة المعلومات ومدى أهميتها لخدمة الإنسان، فلا بد أيضاً أن نقتنع بأهمية العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تهتم بشؤون الإنسان وسلوكه وتاريخه. فالفلسفة وعلم الاجتماع والجغرافيا والتاريخ والأدب من شعر ومسرح وروايات وفنون مثل الموسيقى والرسم والنحت، كلها علوم إنسانية مرتبطة بحياة الإنسان ومحيطه وتلعب دوراً في تطوره، و بالتالي لا يمكن مثلا أن نحجب عن المجتمع فلسفات و علوم هيجل وديكارت و غيرهما.

لا يمكن أن نعزل المجتمع ونفرض عليه قيوداً ضد الإبداع في الشعر والمسرح و الرواية و القصة لمجرد وجود وجهات نظر لدى البعض بأنها ذات مضمون محرض على العلوم الدينية، فيما هي في الواقع بعيدة كل البعد عن هذه الحيثيات والتفاصيل. ولا يمكن أن نحجب عن المجتمع فنوناً مثل المسرح والسينما والموسيقى بحجة عدم أسلامية هذه الفنون أو بحجة أنها علوم تساهم في انحراف الشباب والمجتمع. فشعبنا في الستينات والسبعينات كان يسهر على أغاني أم كلثوم و محمد عبدالوهاب وفريد الأطرش واسمهان وعبدالحليم حافظ دون أن يؤثر ذلك على سلوكه وعاداته وأخلاقياته وطيبته وشهامته ومواقفه الوطنية الجريئة ضد الاستعمار، إنما كان يستلهم حماسه و وطنيته من تلك الأغاني.

إن حجب الثقافة وإدانة الإبداع ظاهرة امتدت ظلالهــا على طــول الخارطــة العربيــة وتجسدها دماء فرج فوده ومهدي عامل وحسين مروة وعبارات التهديد بالقتل، وآخرها للكاتب سيد قمني والدكتورة نوال السعداوي وغيرهما من المستنيرين والعقلانيين في كتاباتهم ممن رفضوا و يرفضون التطرف ويدعون إلى تعايش المجتمعات و الأفكار والمعتقدات سلميا.

إن السلوك الديمقراطي هو في الممارسة والتطبيق وحل أشكال التناقضات اليومية بعيدا عن التطرف والتعصب والادانات غير المسؤولة، والسلوك غير الديمقراطي هو القمع و الحجر عن سابق إصرار و ترصد ضد ممارسة الشعوب لحرياتها، و هو ما يعتبر جريمة وان لم تكن منصوصة في القانون، بل عملا منافيا للأخلاق و الوطنية.

ولا أعتقد أن التضحيات التي قدمتها شعوبنا العربية من أجل الحرية والديمقراطية والاستقلال الوطني هي شعارات انتهى مفعولها بمجرد تغير الزمان والمكان، وفرض التيارات الإسلامية لأجندتها على الواقع العربي، وتحول الحريات إلى خطوط حمراء مرتبطة بشروط وأجندات هذه التيارات الجديدة على الساحة. إن من يطالب بالديمقراطية ويبخس بها عن الآخرين لا يؤمن بها.

وما دفعنا إلى هذه الصرخة هو ما أثير في الأيام القليلة الماضية من تحريض ضد "ربيع الثقافة" وضد المبدعين الشاعر الوطني قاسم حداد المعروف محليا و عربيا بقـوة قصائـده و لغته و قدراته الإبداعية، الفنان المبدع مارسيل خليفة الذي شدت موسيقاه وصوته جماهير الأرض العربية وتغنت بألحانه الطيور و عبرت أغانيه الحماسية والوطنية عن هموم أوطاننا.

لم يكتفوا بذلك، بل تم زج شباب وشابات الجامعة في الموضوع عبر تحريضهم للقيام بمسيرات مناوئة للثقافة.. تصوروا!! ولولا حكمة إدارة الجامعة لتفاقم الموضوع واشتدت الأزمة. كما تمت محاولة إدانة المبدع والأديب والكاتب عبدالله خليفة الذي يجسد بقلمه الفكر المستنير على مستوى الوطن العربي بسبب روايته الجديدة "عمر بن الخطاب شهيداً" .. والبقية تأتي.

هل يا ترى هذه أعراض و مقدمات لظاهرة جديدة مقبلة على مجتمعنا بتأثير الرياح القادمة من الدول العربية الشقيقة التي تعاني من مثل هذه الأجواء. أم هي بالونات اختبار لمعرفة قوة ردود الفعل من مؤسسات المجتمع المدني المستنيرة من اجل قياسها ، فان كانت قوية تم التخفيف من المواجهة و إن كانت ضعيفة رفع عيار المواجهة بصورة أشرس؟

إننا كمثقفين وطنيين ليس لنا مصلحة في إثارة النعرات الشبيهة بالنعرات الطائفية والمرتبطة بمصالح فئوية على حساب مصالح الكادحين والفقراء و هموم المواطن المعيشية والقضايا الوطنية الملحة المرتبطة. غير انه حري بنا أن يكون الدفاع عن الثقافة و الإبداع جزءا من اولوياتنا.

بين رجالات اليوم و الأمس

ريم خليفة – البحرين

عُرِفَ عن أهل البحرين منذ القدم شغفهم بعمل الخير، إذ بدأ عدد كبير منهم تشييد المدارس بجهود أهلية في عشرينات القرن الماضي الذي لم يكن فيه فرقٌ بين الولد والبنت؛ ما عجّل في تنمية وتطور الحراك الاجتماعي والثقافي و حتى السياسي في البحرين بشتى تلاوينه الفكرية.

لم يقتصر هذا الجانب على التعليم، بل ذهب إلى فتح أندية ثقافية مثل نادي العروبة الذي أسسه المرحوم الأستاذ محمد دويغر أحد رموز الثقافة والأدب آنذاك.

أيضا لا ننسى أسماء مثل عبدالله الزايد وناصر الخيري ومحمد علي التاجر وعبدالرسول التاجر وإبراهيم العريض التي كانت مكتباتهم تزخر بكتب الثقافة والعلم المتحررة من كل القيود الظلامية التي تقيّد حرية الرجل والمرأة على السواء.

رجالات ذلك الزمان يختلفون عن رجالات هذا اليوم، وتحديدا نوابنا من الكتل الإسلامية السنية والشيعية. ولو كان شاعر البحرين الجاهلي المعروف طرفة بن العبد موجودا في زمننا الحالي لتنكر لمثل هذه الأفعال – الأقوال عن الثقافة والإبداع، لان انطلاقة البحرين ليست وليدة الوقت الحاضر بل بدأت منذ عصور غابرة. إذ إن تاريخ هذا البلد غني بشخصيات ورموز قدموا مختلف أنواع الثقافة الإنسانية لهذا الوطن، على عكس ما نشاهده في هذه الأيام من وجود بعض القوى التي تحاول قهر ثوابت الثقافة من خلال إهانة وقمع أعمال المبدعين وتنشيط دور محاكم التفتيش بحثاً عن أساليب يراد بها إلقاء المثقفين في سجون القرون الوسطى.

المضحك المبكي هو أن الجميع – سواءً أكانوا نواباً أم غير ذلك – يحاولون إجبار الناس على الخضوع والركوع لتعليماتهم ومفاهيمهم المعنية بتقييد الحريات بحجج لا معنى لها سوى التضخيم لأمور بعيدة عن الهموم والمطالب الحياتية التي يبحث عنها المواطن في زحمة المعاناة.

إن إشغال الشارع البحريني بأمور جانبية بدلاً من العمل الجاد على حل مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية التي تمس حياة المواطن يعبّر عن حال فراغ يعانيها مجلس النواب الذي يبدو انه معوق في حل قضايا الناس الجوهرية. فبعض النواب يبحث عن شيء سطحي ليغطي به عجزه في هذه الجوانب على الرغم من انه وعد بحل القضايا المصيرية كي ينتخبه الناس.

إن أسلوب بعض النواب لا يختلف عن أساليب حقبة امن الدولة السابقة، فهم اليوم يعملون بجدية على تكميم الأفواه بعد أن كان البعض منهم يناهض ذلك و يؤلب الشارع عليه. يبقى أن المواطن أذكى من ذلك كله، كما أن المواطن لن يغفر لهم هذه البادرة التي جمعتهم على صغائر الأمور!

ربيع الثقافة أم خريفها؟
وديع سعادة
(لبنان / استراليا)

يحاول مثقفون عرب أن يجعلوا من الثقافة العربية ربيعاً، فينبري لهم ظلاميون ويعيدونها إلى خريفها، إلى وضعها في القبو المظلم، بعيدا عن الشمس والهواء الطلق، كي تذوي وتيبس تحت عباءاتهم.

هذا ليس كلاماً شعرياً، هذا واقع حدث مراراً في الدول العربية، ويتكرر حدوثها آخره،وليس أخيره، ما حدث في "ربيع الثقافة" البحرين، وكدنا نعتقد، لردود الفعل عليه، أن ما حدث هو هول حقيقي على الأمة كلها وعلى الدين كله، كدنا نعتقد أن قاسم حداد هو أسامة بن لادن متلبسا ثوب شاعر، وأن مارسيل خليفة هو أيمن الظواهري متلبساً ثوب موسيقي، كدنا نعتقد أن " مجنون ليلى" فقد كل الرقة وكل الحب وكل الجمال، وجاء على البحرين لكي يقوضها.

لا نعرف ماذا نقول لمن يعتقد الحب إلحادا، والجمال كفراً، لا نعرف بأية لغة من الضوء نكلم الجالسين في الظلام، الكلام أساساً، هو نوع من الضوء بين متكلمين، وإن قطع أحد هذا السلك فما نفع الكلام؟ وأي ضوء يبقي بينك وبينه لكي يراك أو تراه؟

وحين تنعدم الرؤية بينكما وينعدم الصوت، فما نفع أن تقول له : رأيتُ جريمتك؟

وماذا ينفع أن تصرخ به: لا تقتل؟

الجالسون في الظلام يعتقدون أن هناك عيناً واحدة في السماء تنظر فقط إليهم لا إلى سواهم، وصوتاً واحدا موجها إليهم وحدهم يخولهم فعل ما يشاؤون، الجالسون في الظلام يعتقدون أنهم الصوت الوحيد والعين الوحيدة، اللتان تشكلان الكون كله، والناس كلهم، على ما تشاءان، وما عداهما يجب أن يكون بلا صوت ولا رؤية.

ربيع الثقافة العربية، الذي بأزهار كثيرة وأشجار كثيرة وعيون كثيرة وأصوات كثيرة، يحاول ظلاميو العين الواحدة والصوت الواحد أن يجعلوه خريفاً.

وهل تبقى من هذا الربيع ورقة واحدة خضراء، إذا زُجَّ في مقبرة تحت الأرض؟

ما لا يفقهه الظلاميون أن النبت يطلع حتى من تحت الحجر، وأن الزهر أيضا يطلع من فوق المقابر.

فيا قاسم حداد، ويا مارسيل خليفة، ويا أيها الربيعيون جميعكم، سلاحكم أن الظلاميين لا يعرفون قانون الطبيعة، وبهذا السلاح الجميل المسالم الطبيعي الرقيق العنيد، سيشق الربيع طريقه ويزهر .. حتى وفق القبور.

إرهاب الشعر
أسعد الجبوري
(العراق/ الدنمارك)

لن ينفك العقل السلفي في عالمنا العربي عن محاولات إغراق خلايا الأمة بالظلام ومشتقاته من تحصر وتفتيت للأرواح المتوثبة الحرة، هذا العقل الذي يحاول استعادة قوانين الوأد الماضوية، لتطبيقها على الثقافة والفنون، سيجعل العرب مجموعة مدافن متجاورة لقبر كل مات يخرج على سيطرتهم. إنهم محاكم تفتيش العصر ضد حركات الإبداع والأجنحة. أنهم ترياق الرمل ضد الماء والحب.وإنهم مرآة الموت المكسورة التي لا تعكس إلا جهنم وأشباح التاريخ الأسود. هؤلاء لا يرون الله إلا شيخ مطاوعة. ولا يجدون فيالإسلام، إلا بحيرة تماسيح تتصارع تحت المياه الحمراء!!

ما يحدث في البحرين ضد (قيس وليلى) يعرض الشعر لإرهاب نموذجي خطير، يحاول تحطيم مصابيح البحرين الثقافية التي استطاعت بجهود كتابها وشعراءها ومبدعيها تثبيت تلك المصابيح كعناوين أدبية وفنية مميزة ضمن حركة الثقافة العربية المميزة.

لقد ناضل صديقنا الشاعر قاسم حداد ضد الحجر طويلا.

وها هم يناضلون ضده بقنابل الإرهاب لقمع صوت الحب. هؤلاء لا يريدون ليلى تتنفس بموجها أما الضوء والبشر،لأنها معتقلة في زنازينهم الجنسية الخاصة بالمثنى الثلاث الرباع وما ملكت بنوكم من منازل وسيقان وعطور وتخوت تدور بالرمونتكترول حسب طاقة المراهقة الأصولية التي نص عليها الروض العاطر وتراث الشبق العربي الذي يملأ عقولنا ومكتباتنا وغرفنا الحمراء التي يتمد وقع تأوهاتها على مدار ساعات الأسبوع النغمي التناغمي الذي يشرح صدور أهل العالم السلفي بريق القبل وخلافه.

خذوا مقاعدكم أيها السادة بعيداً عن المسرح. ليلى التي في الاستعراض لن تدخل خيمة أحكم كما تتمنون. الحب هنا غير حب ليلة الخميس.

والشعر هنا لغة ارتقاع لا لغة سقوط بين الفخذين.

اتركوا الشعر ينبض بطاقة الأحلام أيها السادة.

خذوا صراخكم بعيداً.

فالعالم مع الحب المكنون في قيس وليلى. مع موسيقى مارسيل خليفة وينابيع قاسم حداد.

وهؤلاء الذين يملكون الحب.. لن يكون وحدهم في العالم.

وكل يد تحاول وأد العاشقين، يدُ أمية لا تعرف الكتابة إلا بحبر الظلام.

الملاحق

(١)

بيان من جمعيات و مؤسسات المجتمع المدني في مملكة البحرين

باسم الحرية و المحبة و الجمال

باسم البحرين البهية بإنسانها و حضارتها و مكتسباتها

و تمسكا بحقوقنا في الإبداع الفكري و الأدبي و الثقافي و الفني، و حريتنا وحقنا في الاختيار

وانطلاقا من مواد الدستور و ميثاق العمل الوطني التي أطرت و كفلت هذه الحقوق والحريات في ظل المشروع الإصلاحي لجلالة الملك المفدى، و على رأسها المادة ٢ من الميثاق (الحريات الشخصية مكفولة) و المادة ٤ منه (لكل مواطن حق التعبير عن رأيه بالقول أو الكتابة أو بأي طريقة أخرى من طرق التعبير عن الرأي أو الإبداع الشخصي) و المادة ٣١ من الدستور (لا يكون تنظيم الحقوق و الحريات العامة المنصوص عليها في الدستور أو تحديدها إلا بقانون أو بناء عليه، و لا يجوز أن ينال التنظيم أو التحديد من جوهر الحق أو الحرية)

واستنادا إلى المعاهدات و المواثيق الدولية ذات الصلة التي وقعت عليها حكومة مملكة البحرين

فإننا، نحن أعضاء الجمعيات و المؤسسات الفكرية و الثقافية و السياسية والاجتماعية والحقوقية و المهنية و النسوية في مملكة البحرين، و قد تابعنا ببالغ القلق و الألم الهجمة المستجدة على الإبداع و المبدعين ورموز الفكر و الثقافة و الفن، و المتمثلة في ما تمخض عنه جلسة مجلس النواب في ١٣ مارس ٢٠٠٧ من قرارات حول تشكيل لجنة تحقيق في برامج "ربيع الثقافة" و خاصة العرض المسرحي للمبدعين الشاعر قاسم حداد والفنان مارسيل خليفة، لنعبر عن:

- مساندتنا و دعمنا القوي للمبدعين الكبيرين المشهود لهما بالنتاج الرفيع في الحقلين الأدبي و الفني، و الدور الريادي في مجالات النهضة و التنوير والدفاع عن حقوق الإنسان، و لكل مبدع يقف في وجه التعسف الفكري على ارض البحرين ذات التاريخ الطويل في التنوير و التسامح و التعددية الثقافية و التقاليد العريقة.
- مساندتنا و دعمنا اللامحدود لكافة الأنشطة الثقافية و الفكرية ذات الرسالة الهادفة إلى التنوير و الحداثة، و الارتقاء بالذوق الفني والأدبي، و إشاعة الفرح و الجمال و الحب و التسامح، و تأكيد حضور البحرين الحضاري على خارطة العالم الأدبية و الفكرية و الفنية.
- إدانتنا الشديدة لما يتعرض له أهل الفكر و الفن و القلم و الإبداع من اتهامات باطلة و تشهير و إقصاء تحت ذرائع زائفة.

- استنكارنا القوي لمحاولات بعض القوى السياسية الممثلة في مجلس النواب خنق مناخ الحريات و الإبداع المكفولة في الدستور و الميثاق، عن طريق فرض نفسها كوصية على خيارات المواطنين، و الهاء المجتمع بما ليس من صميم مسئوليتها، بدلا من ملامسة القضايا المجتمعية الملحة.
- خيبة أملنا لما آلت إليه الأوضاع في البحرين من هيمنة للفكر الأحادي، و التوجهات الاقصائية الرافضة للآراء الأخرى، و التشهير بأصحابها، والتشكيك فيهم.
- إصرارنا على الوقوف صفا واحدا للدفاع عن التعددية و الفكر الحر وقيم الحرية والديمقراطية، و العمل في سبيل رقي مجتمعنا و تطوره و إنمائه و تعزيز وحدته، و التصدي لمن يستهدفون ضرب مكتسباتنا الحضارية و حرياتنا العامة و الخاصة و يستبدلون الحوار و النقد البناء بالشتائم و التحريض و الإقصاء و الهيمنة و السعي لاستصدار التشريعات الجائرة.
- دعوتنا الدولة للنهوض بمسئوليتها في حماية الرأي و الإبداع والثقافة في بلادنا، و عدم الخضوع لابتزاز القوى التي تريد إعادة البحرين للوراء و تعطيل مستقبلها.

لقد خلقنا الله أحرارا ، و وهبنا أرضا حرة عزيزة يتعايش عليها الجميع دون تمييز أو حجر أو ترهيب، و ساعدنا على تحقيق مكتسبات حضارية غالية، وإننا لمتمسكون بها بالنواجذ، مدافعون عنها بشتى الوسائل، مستمرون في زرعها بسنابل الفرح و الخير و الجمال و الحب.

الجمعيات و المؤسسات الموقعة:

الاتحاد النسائي ، و يضم:

١. جمعية أوال النسائية
٢. جمعية البحرين النسائية
٣. جمعية تنمية المرأة
٤. جمعية الرعاية النسائية
٥. جمعية فتاة الريف
٦. جمعية مدينة حمد النسائية
٧. جمعية المرأة البحرينية
٨. جمعية المرأة المعاصرة
٩. جمعية النساء الدولية
١٠. جمعية نهضة فتاة البحرين النسائية
١١. جمعية الرفاع النسائية

أسرة الأدباء و الكتاب
جمعية الاجتماعيين
جمعية أصحاب الفنادق و المطاعم
جمعية أصدقاء البيئة
جمعية الأطباء البحرينية
جمعية الأكاديميين البحرينية
جمعية الاقتصاديين البحرينية
الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان
الجمعية البحرينية للبحث و التوثيق و الترجمة (تحت التأسيس)
الجمعية البحرينية للشفافية
جمعية البحرين للفن المعاصر
جمعية البحرين للفنون التشكيلية
جمعية التجمع القومي الديمقراطي
جمعية التجمع الوطني الديمقراطي
جمعية حماية العمالة الوافدة
جمعية رجال الأعمال
جمعية رجال الأعمال التنموية
جمعية سيدات الأعمال
جمعية الشبيبة البحرينية
جمعية الصحفيين البحرينية
جمعية الصيادلة البحرينية

جمعية العمل الوطني الديمقراطي (وعد)

جمعية الفكر الحر

جمعية المحاسبين البحرينية

جمعية المحامين البحرينية

جمعية المصرفيين

جمعية المهندسين البحرينية

جمعية المنبر الديمقراطي التقدمي

جمعية المنتدى

جمعية منتدى المستقبل الثقافي

جمعية الوسط العربي الإسلامي

مجموعة الراصدون (تحت التأسيس)

مركز جدحفص الثقافي

مسرح أوال

مسرح الصواري

الملتقى الثقافي الأهلي

نادي البحرين للسينما

نادي الخريجين

نادي العروبة

نقابة الصحفيين البحرينية (تحت التأسيس)

نقابة المصرفيين

(٢)

بيان من تيار "لنا حق" للدفاع عن الحقوق و الحريات الشخصية

مرة أخرى تعم البهجة بلادنا الحبيبة مع بداية مهرجان "ربيع الثقافة" الذي يشكل علامة فارقة في حياتنا الثقافية والاجتماعية، ويعكس مدى وعي شعبنا وتفاعله مع الثقافة والفن بمختلف تلاوينهما.

لقد استهل مهرجان ربيع الثقافة لهذا العام برامجه بملحمة "مجنون ليلي" التي أودع فيها شاعرنا الكبير قاسم حداد رؤية عصرية متجددة لواحدة من أعظم قصص الحب عبر التاريخ الإنساني التي ألهمت لقرون طويلة مخيلة الشعراء وكتب فيها وعنها ما فاق الخيال الإبداعي حتى أصبح اسم بطليها مرادفا للعاشقين في كل مكان. ولم يكتف حداد بروعة ما كتب، بل أضاف إليه عملاً موسيقياً رائعاً من نتاج الموسيقار العربي المحدث مارسيل خليفة الذي حول المقروء إلى لحن مسموع جميل بمصاحبة لوحات تعبيرية إنسانية راقية بلغت حد الكمال الفني، فحول هذه الأسطورة الشعرية إلى ملحمة غنائية أسرت ألباب من شاهدوها وأبقتهم في حالة إنبهار عبروا عنها بتصفيقهم المتواصل وهتافهم الطويل و اشتراكهم في الغناء.

وهكذا تمازج العملاقان قاسم ومارسيل في هذا العمل الإبداعي المتكامل مما شكل بداية قوية وناجحة لمهرجان ربيع الثقافة الذي طال إنتظاره من قبل من حضروا فعالياته في العام الماضي وأعجبوا ببرامجه الرائعة التي أدخلت البهجة والفرح والأمل إلى القلوب.

ولاشك أن نجاح "ربيع الثقافة" ملتصق بجهود صاحبته الشيخة مي آل خليفة الوكيل المساعد لشئون الثقافة و التراث، التي أدهشت الجميع بإمكانياتها الإبداعية الخلاقة في صنع هكذا مشروع ناجح، و تحريك مياه الثقافة والفن في بلادنا، وجلب حضارات وثقافات الشعوب الأخرى إلى أبوابنا، وهو ما أكد صحة تمازج الحضارات و تفاعلها وتعايشها، بل و برهن أيضا على أن بنات وأبناء البحرين قادرون على الإبداع والابتكار وخلق الفرح والأمل في نفوس الآخرين. وهي رغم كل الحروب التي يشنها عليها البعض من غلاة التعصب و أعداء الفرح لإحباطها وتخريب مشاريعها تقف شامخة و تثبت للجميع أن هذا المشروع الإنساني النبيل هو لرفعة شأن البحرين وإعلاء إسمها. فتحية لها ولكل المبدعين الذين لا يألون جهداً في إضفاء الإبتسامة والمعرفة والفرح على حياتنا.

إن اللجنة التنسيقية للجمعيات المنضوية تحت تيار "لنا الحق" لترفع بهذه المناسبة تحية إجلال وإكبار إلى كل القائمين على مهرجان "ربيع الثقافة" و في مقدمتهم الشيخة مي آل خليفة، متمنية لهم التوفيق الدائم و النجاح المستمر، و مؤكدة دعمها المتواصل و اللامحدود لكل أفكارهم ومشاريعهم الثقافية الهادفة إلى ريادة البحرين ثقافيا. و هي في الوقت نفسه تستنكر و تشجب محاولات البعض خنق الحركتين الثقافية و الفنية في بلادنا عبر إطلاق الأوصاف المهينة والاتهامات الجائرة والتهديدات المتشنجة بحق رموزهما.

دامت البحرين وطنا للأفراح و المهرجانات و مركزا للإشعاع و التنوير و الإبداع، كما كان حالها على مر العصور والأجيال.

بيان من مجلس الشورى

أعرب مجلس الشورى في مملكة البحرين في نهاية جلسة عقده برئاسة رئيسه السيد علي صالح الصالح عن دعمه و تأييده لمهرجان " ربيع الثقافة" و ما تخلله من عروض فنية و موسيقية، و ذلك في بيان أصدره المجلس بغالبية أعضائه الحاضرين (٢٦ عضوا من اصل ٣٣ حضروا الجلسة)، فيما رفض إصدار البيان ٣ أعضاء وامتنع عن التصويت ٤ آخرون.

وجاء البيان استجابة لطلب تقدم به ٢٥ عضوا هم كل من النائبين الأول و الثاني لرئيس المجلس جمال محمد فخرو و ألس سمعان، و الأعضاء الشيخ د. علي آل خليفة، فؤاد الحاجي، راشد مال الله، صادق الشهابي ، د. فوزية الصالح، فيصل فولاذ، عبدالله العالي، رباب العريض، د. حمد السليطي، وداد الفاضل، السيد حبيب مكي هاشم، خالد المسقطي، احمد بهزاد، محمد حسن رضي، هدى النونو، سميرة رجب، د. بهية الجشي، الشيخ د. خالد آل خليفة، عبدالرحمن الجواهري، سيد ضياء الموسوي، دلال الزايد، جميل المتروك، إبراهيم بشمي، فيما طلب العضو علي عبدالرضا العصفور سحب توقيعه لاحقا، في حين طالب العضو سعود كانو إضافة اسمه.

وجاء في بيان المجلس بهذا الشأن: " لقد تابع أعضاء مجلس الشورى بقدر كبير من الاهتمام الفعاليات الثقافية والفنية في مهرجان " ربيع الثقافة" و ما تضمنه برنامج هذا العام من عروض و نشاطات بالغة التنوع و الجدية، بمشاركة فرق محلية و عربية و عالمية، الأمر الذي أشعرنا بالحيوية التي حققها " ربيع الثقافة" في المجتمع، بما يطرحه من إبداعات فكرية و فنية، ساهمت و تساهم في اغناء الحراك الإنساني و الحوار الحضاري بين أفراد المجتمع البحريني و الإقليمي و بين ثقافات العالم، مما يمنحنا فرصا أفضل لتطوير تجربتنا الاجتماعية و الثقافية".

واعتبر المجلس هذه البرامج " خطوة كبيرة لرفد مشروعنا الإصلاحي الذي يؤكد على تكريس انفتاح البحرين على العالم" لافتا إلى " أهمية الدور الذي يقوم به " ربيع الثقافة" و يتمنى على القائمين على تنظيمه بلورة هذه التجربة المتميزة و تطوير آلياتها و برامجها في سبيل التقدم عاما بعد عام، و السعي إلى وضع مواهبنا في خضم هذه التجارب العربية و العالمية لبلورتها و تكريس إسهاماتها".

كما طالب المجلس الحكومة " النظر الفوري في بذل المزيد من الدعم لمهرجان ربيع الثقافة و توفير أقصى ما يمكن من الوسائل لتحقيق نجاحاته في الأعوام المقبلة".

(٤)

بيان من المنتدى الثقافي اللبناني – فرنسا دفاعا عن ربيع الثقافة دفاعا عن ثقافة الحب و الحياة

بمبادرة من المنتدى الثقافي اللبناني في فرنسا وقع المثقفون العرب من شعراء وكتاب وفنانين وباحثين وأكاديميين وإعلاميين البيان التالي:

مرة أخرى يظهر وجه العدوان بكل ظلاميته في حرب ماضوية تستهدف اليوم "ربيع الثقافة" في البحرين ومفاهيم الحب وحرية التعبير ومسارات الثقافة والفن التي يمثلها هنا مارسيل خليفة وقاسم حداد.

هذا الهجوم الظلامي على ربيع الثقافة في البحرين ليس إلا امتداداً لمحاكمة مارسيل خليفة قبل سنوات في بيروت ولكل عمليات القمع والاعتداءات التي تعرض لها الكتاب والمثقفون العرب في أكثر من عاصمة عربية.

هذه التيارات الأصولوية الظلامية لا تبني مستقبلاً أو ثقافة ولا تحرر أرضاً أو إنساناً ولا تنبئ بربيع أو حب. وحدها الحرية، وتحديداً حرية التعبير والإبداع بتنوعها واختلافاتها وثرائها هي الرافعة لبناء المستقبل وضمان ثقافة الحياة وتحرير المرأة ولمكافحة الفقر والجهل والمرض والأمية والتخلف والفساد والتسلط والعدوان وقمع الأنظمة واغتصاب الأرض.

التحية لمؤسسات المجتمع المدني البحرينية التي وقفت تدافع عن الحرية والحب، التحية لربيع الثقافة في البحرين ولكل ربيع في العالم العربي.

التحية لمارسيل خليفة وقاسم حداد.

الموقعون

نبيل أبو شقرا ، أدونيس ، يوسف عبدلكي ، ميرا برانس ، نظير حمد ، نبيل بيهم ، مرام المصري ، منير الشعراني ، عبد اللطيف اللعبي ، أتيل عدنان ، عيسى مخلوف ، هيلين جرجس ، وليد شميط ، صبحي حديدي ، رفيف فتوح ، عبدالله نعمان ، خالدة سعيد ، جيرار خوري ، ظافر نور الدين ، نايلة عبد الخالق ، نبيل الأظن ، أحمد القديدي ، ريمون حولي ، جان بيير دحداح ، محمد مخلوف ، برهان غليون ، بشرى استنبولي ، بشارة طربية ، علي ناصر الدين ، عائشة أرناؤوط ، فينوس خوري غطا ، خليل النعيمي ، سيمون فتال ، العفيف الأخضر ، أسامة أبو ذياب ، عصام سعد ، غسان حلبي ، ندى عبود ، شوقي أمين ، فادي عبدالله ، كاظم جهاد

أحمد أبو دهمان ، باتريك لاما ، جولي القرى ، سمير عطية ، ندى أبي زيد ، هالة الأمين ، المعطي قبّال ، هنا الصمدي ، هاجر فرتيس .

بيان من جمعية المنبر الديمقراطي التقدمي

- يعبر المنبر التقدمي عن الاستهجان من قيام النواب بالتصويت في جلسة الثلاثاء الموافق ٢٠٠٧/٣/٢٠ ، وبإجماع الكتل في المجلس ، على تشكيل لجنة تحقيق في أنشطة مهرجان ربيع الثقافة ، ويرى في ذلك مؤشرا خطرا على انحراف الغرفة المنتخبة من المجلس الوطني عن المهام المناطة بها في صيانة الحريات العامة والشخصية واستيفاء مقومات البناء الديمقراطي ، والرقابة على الأداء الحكومي المتردي في الكثير من الأوجه ، بما في ذلك تشكيل لجان التحقيق في أوجه الفساد الصارخة في ميادين عدة ، يتطلع المواطن لأن يرى النواب الذين انتخبهم يتصدون لها ، بدل أن يوجهوا المجلس وجهة التحريض على الثقافة والإبداع والفنون ، ودفع المجتمع نحو المزيد من التراجع .

- يرى المنبر التقدمي أن توجهات النواب الراهنة تؤكد صواب ما كنا قد حذرنا منه أثناء سير العملية الانتخابية وبعد ظهور نتائجها ، من أن التركيبة المحافظة للمجلس وقيامه على الاستقطاب الطائفي ، لن تجعل منه مجلسا مؤهلا لأن يضطلع بالمهام التشريعية والرقابية التي تخدم مصلحة الوطن والمواطن ، وان الكتل الرئيسية فيه ستجيره لأغراض ومهام تخدم أجندتها السياسية والثقافية التي هي ليست محل توافق في المجتمع .

- يرى المنبر التقدمي أن هذه التوجهات تبرز مجددا الحاجة إلى وحدة جهود القوى الديمقراطية والليبرالية في الحفاظ على الطابع التعددي والمتنوع للمجتمع البحريني ، والذي كان على الدوام مصدر اغناء وإثراء للحياة الاجتماعية والثقافية في البلد ، وفي تكريس تقاليد الانفتاح والتسامح والتنوير والتفاعل مع الثقافات والحضارات الأخرى دون عقد. وفي هذا المجال يحيي المنبر مبادرة البيان المشترك الذي تداعى إليها ممثلو هذه القوى ، ووقعت عليها أكثر من خمسين جمعية ومؤسسة سياسية ونسائية وثقافية ومهنية وحقوقية ونقابية ، تظهر الثقل النوعي للقوى الحديثة في البحرين ، والتي يشكل التنسيق فيما بينها ضمانة من ضمانات التصدي للحملة التي تستهدف مصادرة الحيز المتاح للثقافة والأفكار الديمقراطية والليبرالية في المجتمع ، وإخضاعه لنمط واحد من المعيشة والتفكير لا يتلاءم وتقاليد البحرين المعهودة في الانفتاح والتسامح .

- يدين المنبر التقدمي الحملة التي تشن على الصحافة الحرة في البحرين ، وعلى كتاب الرأي فيها من قبل بعض النواب ، ويدعو لتعزيز الحريات الصحافية من أي تطاول عليها ، والسعي لتعزيزها وتطويرها واستنهاض دور الكتاب والمبدعين والفنانين والمثقفين في التصدي للحملة الرجعية التي تستهدف إسكات أصواتهم ومحاربة إبداعهم .

- يعبر المنبر التقدمي عن استغرابه من الموقف السلبي للدولة تجاه ما يجري ، ويرى فيه استمرارا لسياسة ممالئة القوى المحافظة في المجتمع ، وتقوية نفوذها وفق حسابات سياسية ضيقة ، لا تأخذ بعين الاعتبار المصلحة الوطنية العليا للوطن وآفاق تطوره باتجاهات الحداثة والتقدم والمشاركة السياسية الحقة ، ويطالب المنبر الدولة بأن تكون عند مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقها في أن تكون ممثلة للتكوينات الثقافية والاجتماعية للمجتمع البحريني ، وان تكون ضامنا لاحترام ما في المجتمع من تنوع وتعدد في الآراء وأشكال الوعي الثقافي وأنماط المعيشة الاجتماعية . إن مسايرة الحملة الرجعية على الثقافة أو السكوت عنها سيحمل مخاطر لا على ما رسخ من تقاليد ومكتسبات في المجتمع ، وانما على الدولة ذاتها التي ستجد نفسها أسيرة لابتزاز القوى المحافظة.

بيان من مؤسسة "المورد الثقافي" – القاهرة

تعرب مؤسسة " المورد الثقافي" عن قلقها البالغ بشأن ما لمسته من تراجع في هامش الحريات المتاحة في عدد من البلدان العربية، إذ لم تعد هذه الضغوط التي تواجه المبدعين العرب قاصرة على الأنظمة الحاكمة التي تعمل على تشديد قبضتها عبر آليات العمل التشريعي أو التنفيذي، و إنما امتدت تلك الضغوط لتشمل قوى اجتماعية وسياسية محافظة وجدت في تدخلها في الشأن الثقافي مجالا لممارسة نفوذها و استعراض هيمنتها.

تعلن مؤسسة " المورد الثقافي" رفضها للإجراءات التي اتخذها البرلمان البحريني مؤخرا بشأن تشكيل لجنة تحقيق برلمانية في العرض المسرحي " أخبار مجنون ليلى" الذي قدمه كل من الشاعر قاسم حداد و الموسيقار اللبناني مرسيل خليفة في افتتاح مهرجان " ربيع الثقافة" أوائل مارس / آذار الماضي، كما تعرب عن دهشتها من التصريحات التي أطلقها " رئيس لجنة التحقيق" النائب إبراهيم بوصندل و كشف نواياه و رغباته في التفتيش في النص الشعري و العرض الفني و تأويلهما بما يسيء لمقاصد مبدعيه المعروفين بتاريخهما الإبداعي و النضالي.

و تنتهز مؤسسة " المورد الثقافي" هذه الفرصة لتؤكد تضامنها مع مرسيل خليفة و قاسم حداد، كوجهين بارزين من وجوه الثقافة العربية في سعيهما لتأكيد طابعها الإنساني، و كشريكين أساسيين في كل عمل إبداعي خلاق يستهدف تأكيد الطابع المستنير لهذه الثقافة و يعمل على مواجهة القوى الظلامية في كل مكان.

و تحيي المؤسسة في هذا الصدد جهود مؤسسات المجتمع المدني البحرينية و الهيئات الثقافية التي أعلنت رفضها لهذه الإجراءات التي تزيد القيود المفروضة على حرية التعبير في هذا البلد. كما تعرب عن بالغ أسفها إزاء تزايد و تنامي فكر المصادرة و تقييد حرية الإبداع تحت زعم مخالفة الأعمال الإبداعية للقيم الأخلاقية، كون تلك المزاعم مجرد ستار للدوافع السياسية التي تقف وراء تلك الإجراءات.

تدعو مؤسسة " المورد الثقافي" المثقفين في العالم ، أفرادا و مؤسسات، إلى إعلان رفضهم لهذا التوجه الذي يتخفى وراء أقنعة الممارسة الديمقراطية، فيما يستهدف في العمق ممارسة أدوارا تسلطية تحد من حرية الرأي و التعبير و يضع قيودا على حرية الإبداع، الأمر الذي يفرغ أي ممارسة ديمقراطية من جوهرها.

بيان من منظمة "فري ميوز" العالمية
FREEMUSE'S DECLARATION

A nation that opens its windows to the world is able to develop because it is self confident. Such a nation can absorb and enjoy new visions, ideas and artistic presentations. A nation that closes its mind, on the other hand, is bound to isolation and rooms of darkness. A society that is dedicated to the UN declarations on Human Rights, considers itself a respected member of the international community, and is aware of its own cultural richness should support and promote diversity of artistic expression. In this spirit, civil society in Bahrain has sought a "Spring of Culture" festival that can bridge the gap between the traditional and the modern, between the local and the global.

While it is fit of a society and its politicians to discuss culture, the recent attacks by Bahraini politicians at the Lebanese composer Marcel Khalife and Bahraini poet Qassim Haddad for their interpretation of 'Laila Wal Majnoon' has taken this discussion into a seriously unhealthy direction.

Freemuse – an international organisation advocating freedom of expression for musicians and composers – is concerned about the recent attacks in Bahrain on the "Spring of Culture." While many in the world would like to hold on to the stereotype of a backward Arab nation, conservative political forces in Arab countries are not helping in this regard, given their apparent hostility toward artists and the arts. This is especially the case with artists contributing in new and innovative ways.

When a political discussion focuses on censorship - rather than dialogue and constructive criticism - the situation easily develops into confrontation. It is, therefore, the responsibility of the politicians and other influential communities of Bahrain to seek dialogue, create space for innovation and to protect the artists. Political responsibility is to provide fuel to a nation, not cut off the fuel its artists provide, and certainly not set arson to it. The new interpretation of 'Laila Wal Majnoon' provides an opportunity for Bahraini society to examine its role in the modern world and to engage in democratic discussion.

Freemuse - representing artists, media, researchers and human rights workers in countries around the world - supports the "spring of culture" and asks the leaders of Bahrain to take responsibility for culture, support civil society and protect freedom of the arts.

(٨)

بيان من الكتاب العرب الأمريكيين
RAWI Statement on Marcel Khalife

RAWI, The Radius of Arab American Writers, is distressed by the assault on the right of artistic expression examplified in the the attack on one of our National Advisory Board members, the renowned composer and musician Marcel Khalife, and the leading Bahraini poet, Qassim Haddad. As we express our support of these two accomplished and deeply engaged and responsible artists, we are apprehensive about the potential negative consequences the Bahraini Parliament's investigation will have on freedom of expression in Bahrain and in the rest of the Arab World.

International conventions secure musicians, composers and writers the right to create, perform and act without interference from governments or religious groups. The attack by the Bahraini parliamentarians is a violation of freedom of speech as it applies to musicians.

We urge the Bahraini Parliament to scrap its investigation of the two artists and their work and instead to stand on the side of freedom, intellectual independence and creativity.

We urge the Bahraini Parliament to ensure that the UN Declaration on Human Rights are preserved in the country, and to avoid all measures that will in any way muffle artistic and intellectual expression.

(٩)

كلمة الموسيقار مرسيل خليفة في مهرجان "يوم الحرية"

١٨ ابريل ٢٠٠٧

مجنـون ليلى ، ذلك العبـق بالحب و العشـق و نفح الصحـراء الشاسعــة، و تاريخ الشعر و الأمل و الحياة و اللذة الغامرة، و حرارة الشمس الساطعة.

كانت أخبار المجنون في غاية الإدهاش، بدءا من قراءتي الأولى لشعر قيس بن الملوح وصولا إلى نص قاسم حداد الذي عبر إلى آفاق النفس البشرية الممتلئة بالنشوة، في زمن أبيحت فيه المذلة و انتشر البؤس في كل مكان.

"قل هو الحب"! طريق ملك نبكي له .. نبكي عليه.

جئت إليكم هذه المرة لأتعلم العشق من جديد ..عدت إلى الصحراء لأتعلم العشق من أجدادي.

جئت لأقف بخشوع و تأمل و نبل و انعتاق في حضرتكم، فأنا مدين لكم و لليلى و للمجنونين قيس و قاسم بهذا العشق الجميل و العميق في دلالته و توغله مع الروح الإنسانية حتى الثمالة.

عشق على حافة الجنون، أو هو الجنون الخلاق بذاته، حيث يتماهى الجسد و الروح في بوتقة واحدة.

مجنون ليلى مجبول بعظمة الحب، و لهذا أصيب بسهام هؤلاء المتربصين بالحياة. و أين؟ في بلد أحببناه و أحببنا شعبه المنفتح و المتطلع دوما نحو الحرية.

أصدقائي أبناء و بنات البحرين الأحباء:

قسوة هؤلاء لن تبعدنا عنكم. قد يقطعون الوردة، و لكنهم لا يستطيعون أن يمنعوا الربيع من القدوم إلى أرجاء هذه الجزيرة الصغيرة .. جزيرة الحب الصغيرة في قلب صحراء العرب بكل تناقضاتها .. جزيرة مثل وردة التنوع الخلاق.

بصدق أقول لكم: لقد ذرفت عسل النحل المخبيء و امتصه ذلك النغم المتعطش لهستيريا اللذة حتى آخر قطرة. وكان لتلك النحلة أن تصمد مع هيجان عناق و صراخ الشعر. كان الليل أمام المجنون، يقضمه قطعة قطعة كالحلو الناعم، كالشعاع قبلا قبلا تتهاوى على الجسد المغمس بلهفة الحب المفتوح على احتمالات الشهوة الدائمة. و كانت عيون ليلى بخضرتها الصافية تؤجج تلك الرغبة التي لا تنتهي، و عطش لا ينام، و ملح الجسد و رائحته الزكية تشتعل في صراخ عار من أية فضيحة.

كل رجل في داخله قيس. وكل امــرأة تشبــه ليلى.

فلنتعمد جميعا بمياه الحب اللذيذ، و لتكن تلك القربانة الأولى زادنا نحو السمو الإنساني.

أصدقائي:

لنحرص أن نظل عشاقا نتمرغ في تراب الجسد.

لنقاوم السهام التي تحاول نزع ريش طيورنا المحلقة نحو ذلك النور البعيد.

(١٠)

كلمة جمعية الصحفيين البحرينية في مهرجان "يوم الحرية"

لقد كافحت الإنسانية وساهمت في إقرار بناء الدولة لا وفق التماثل بين أفراده عقلاً واحداً أو تأويلاً أوحدَ بل بصفتهم أفراداً مختلفين تجمعهم حقوق عامة لا يمكن السماح لأحد ما بأن يمسها. ولم تصل بنا عجلة التاريخ إلى هذا اليوم الذي يزخر بالمبدعين إلا بعد نضالات إنسانية سقتها تضحيات جمة، نقف عندها على حافة الذكرى وقفة إكبار وإعتزاز. إن بقاء فضاءات حرية التعبير هو بقاء لدولة الجميع، وإن أي إختراق لهذا الحق هو إنذار بدولة العقل الواحد والفهم الواحد التي لابد وأن تكون دولة منازعة الفرد في إنسانيته التي يستحقها.

من هنا، نؤكد في جمعية الصحفيين البحرينية أن استهداف قاسم حداد ومارسيل خليفة لا يقف عند حدودهما كمبدعين عربيين لهما إسهاماتهما التي نجلها، بل نعتبر المستهدف من تلك الهجمة هو الإنسان البحريني منذ بدأ وتشكل، إنساناً وشاعراً وفناناً وصحافياً وسياسياً، طفلاً ورجلاً وإمراة. وليست الهجمة الشرسة على أصدقائنا الذين نحتفي بهم اليوم إلا لقطة من لقطات الإستهداف الأشمل لشتى مضامين الحرية والتعددية في البحرين.

إننا في جمعية الصحفيين البحرينية نؤكد ضرورة أن يكون خيار مؤسساتنا الإعلامية هو خيار الرفض لجميع دعاوى العصبية الدينية والتأويل الأوحد والتعصب بجميع أشكاله. ونؤكد أن الإعلاميين البحرينيين ملتزمون بالصدق والأمانة في تأديتهم لرسالتهم الإعلامية ممتنعين عن إتباع الأساليب التي تتعرض بالطعن لكرامة الإنسان أو سلبه أي حقٍ من حقوقه التي كفلتها له إنسانيته.

ومن خلال هذا المنبر الداعم للحرية في التعبير نتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع رؤساء التحرير بصحفنا المحلية على توجه صحفهم لدعم الخيار التعددي في البحرين والذي كان معبراً بوضوح عن رفض أي تعرض للحريات الثقافية في هذا الوطن الصغير في مساحته الكبير فيما قدمه للإنسان في الخليج.

أخيراً، بالنيابة عن مجلس إدارة جمعية الصحفيين البحرينية والأعضاء المنتمين لها وبإسم جميع الصحفيين في مملكة البحرين أتقدم بالشكر الجزيل لشاعر البحرين قاسم حداد ولضيفنا من لبنان الفنان مارسيل خليفة على ما قدماه من معاني الحب السامي في البحرين، وعلى ما وهباه من إنسانيتهما لإنسانيتنا التي تحتفي بهما اليوم في هذا الحفل لتصحح بوصلة الرؤية في البحرين تجاه الإنسان ليكون البحريني بمثابة الفضاء المفتوح للحرية وبوصفه خيار الأمس واليوم والمستقبل.

(١١)

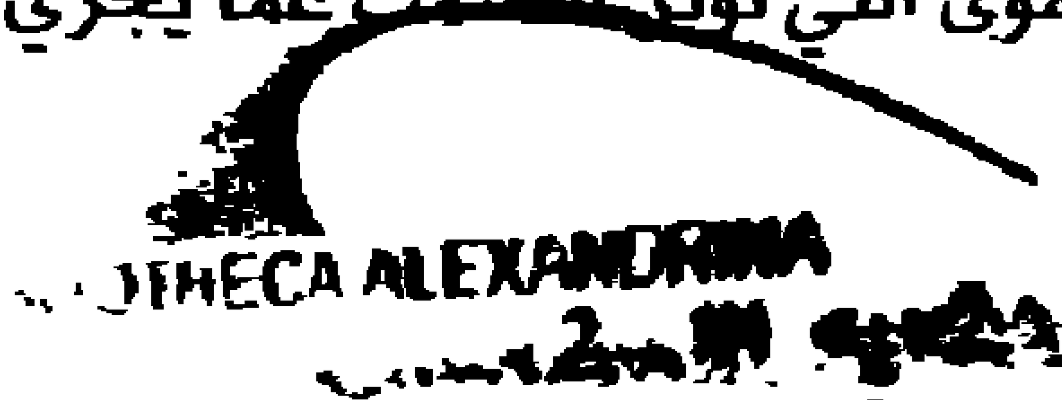
كلمة جمعية المنبر الديمقراطي التقدمي في مهرجان "يوم الحرية"

هذا المهرجان وسواه من الفعاليات الاحتجاجية على الحملة المعادية لحرية الثقافة والإبداع يمثل التيارات الحية في هذا البلد ، وعمر بعضها ، من تيارات سياسية وجمعيات نسائية ومهنية وسواها ، يبلغ عقودا من الزمن ، واكتوى أصحابها بسياط قانون أمن الدولة يوم كانت الغالبية الساحقة من نواب اليوم نسيا منسيا ، وهو يقول إن هناك قوى وشرائح اجتماعية من الأهمية والتأثير في المجتمع ، لها صوتها الشجاع والمدوي ، وهي لن تسكت ولن تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما يراد فرضه بالقسر على المجتمع من قبل مجلس النواب والقوى التي تشكل كتله التي انفردت بمقاعد المجلس ، مستفيدة من التسهيلات التي لا تحصى التي قدمت لها من قبل بعض أجهزة الدولة، لنرى أول الغيث في الأداء النيابي الذي بدل أن يأتينا بلجنة تحقيق في واحدة على الأقل من قضايا الفساد الكفيلة بتدوير الرأس، فإذا به يختار المهمة السهلة .

تشكيل لجنة التحقيق في ربيع الثقافة ، والهجوم الذي نال القائمين عليها كما نال الصحافة من قبل النواب ليس نهاية المطاف ، إنما بدايته . نحن بصدد نهج متكامل يراد دفع المجتمع نحوه قسرا عبر الترهيب الفكري المتقن الذي بموجبه سيرمى كل من يرفض هذا المنحدر الذي ينحدر نحوه مجلس النواب بالإباحية وربما الكفر والزندقة أيضا ، وبالتالي تهيئة الأرضية الملائمة لأن تظل الملفات الخطرة في البلد مغلقة ، في ظل الانشغال بعرض موسيقي أو غنائي في مجتمع لم يعرف يوما بالانغلاق والتزمت قبل أن تهب علينا هذه الموجة الغريبة على مزاج البحرين وأهلها المجبولين على التسامح والمرونة والتفتح . في كلمات موجزة : ستنهال السياط المدمية على جسد الثقافة ، فيما سينام الفاسدون وسارقي المال العام قريري الأعين .

إن لجنة التحقيق الأولى التي تفتق عنها ذهن الكتل الرئيسية في المجلس شكلت لمحاكمة الثقافة ، كما لو أن أصحابها نصبوا أنفسهم حراسا لضمائر الناس ، لأنه مازال من غير الواضح حتى الساعة في ماذا سيحقق أعضاء اللجنة ، الذين اختلقوا لأنفسهم مهمة ، يهربون من خلال الانشغال بها عن المهام الكبيرة التي ينتظر الناخبون منهم أن يتصدوا لها .

يجب ألا نغض الأبصار عن حقيقة أن مثل هذه الحملات لا تأتي خبط عشواء ، وإنما هي تندرج في سياق أجندة اجتماعية – سياسية كاملة للاستيلاء على فضاءات المجتمع المختلفة ، ومصادرة ما تبقى من هوامش أو حيز خارج سيطرة القوى المحافظة من أجل فرض نهج شمولي من لون واحد على المجتمع برمته ، وان التهاون في اتخاذ موقف من مثل هذا النهج سيعود بأسوأ العواقب على الجميع ، بما في ذلك على القوى التي تؤثر الصمت عما يجري.



إن ظواهر من نوع الجمهور الواسع الذي يتدفق على فعاليات ربيع الثقافة ، وكذلك الثقل النوعي للجمعيات والمؤسسات التي وقعت على مذكرة الانتصار للثقافة والإبداع ، ومهرجاننا الحاشد هذا المساء تقدم مؤشرات مهمة عن مزاج شريحة واسعة من المجتمع البحريني ، تتعطش لهذا النوع من الفنون الراقية والأنشطة الفكرية التي تتوجه نحو الرقي بالذوق وبالوعي الثقافي والاجتماعي ، وهي أنشطة تتسم مع نمط الحياة ومستوى الثقافة التي تتميز بها هذه الشرائح ، التي نصنفها على أنها فئات مجتمعية حديثة . وهذه الشريحة بأعدادها الواسعة تعاني من تغييب متعمد ، وجاءت نتائج الانتخابات البلدية والنيابية الأخيرة ، وحتى السابقة لها أيضا ، لتعطي انطباعا غير دقيق عن قلة عدد هذه الشرائح ومحدودية تأثيرها ، ولم يجر التمعن في الأسباب العديدة المركبة التي أدت وتؤدي إلى تغييب هذه الشرائح في أن يكون لها من يمثلها في المجالس المنتخبة ، وهذا الإقبال يعكس حاجة موضوعية في البلد إلى تنظيم مثل هذا النوع من المهرجانات الثقافية والفنية التي تسهم في كسر رتابة الحياة وتجهمها وركودها الاجتماعي والثقافي ، لأن الثقافة ، والفنون ضمنها ، تقدم الوجه الآخر الأكثر رهافة للوعي الإنساني والذي نحتاجه ، في مسعانا لأن نجد بلدنا تتقدم في اتجاه ثقافة الحداثة والنهضة والذوق الرفيع ، بديلا لثقافة الاستهلاك والتفاهة .

وقد قلنا إننا لا نريد من الدولة أكثر من موقف متوازن تنتصر فيه ليس فقط للمجتمع وإنما لنفسها أيضا ، فمن غير اللائق أن تصمت الحكومة صمت القبور عن حملة شعواء على نشاط كانت هي من نظمته ، كأنها تريد إخلاء ساحتها من المسؤولية وإعلان البراءة من هذا النشاط الذي يجابه بكل الشراسة التي رأيناها وما زالت فصولها متوالية من خلال لجنة التحقيق البرلمانية ، ولولا التصريح الشجاع لسمو ولي العهد باستهجان ما تعرض له مهرجان ربيع الثقافة من هجوم ، لكدنا فقدنا الأمل كلية في موقف رسمي واضح تجاه ما يدور.

من حقنا على الدولة بوصفنا مواطنيها وبوصفنا نمثل رأيا عاما مهما ومؤثرا في هذا البلد بأن نطالبها لأن تقف موقفا مسؤولا متوازنا ، تظهر فيها حرصها على الحفاظ على ما في مجتمعنا من تعددية وتنوع ثقافي واجتماعي ، بدل من أن تحني رأسها للعاصفة ممالئة لبعض القوى وفق حسابات سياسية معينة .

أما النواب ولجنة تحقيقهم فعليهم أن يفهموا إنهم لن يفلحوا في أن يفرضوا أجندتهم على هذا البلد مهما حاولوا . إن حملتهم لن تمر ، لأن البحرين المتفتحة ، المتعددة ، بحرين التسامح والحرية والتقدم والحضارة وقواها الحية لن تمكنهم من ذلك .

كلمة تيار "لنا حق" في مهرجان "يوم الحرية"

حين دعت اللجنة التنسيقية لتيار "لنا حق" جمعيات المجتمع المدني للتحرك والإجتماع لمناقشة ما تتعرض له الثقافة والفن في بلادنا من هجوم شرس من قبل تيارات دينية متطرفة تهدف إلى وأد السعادة والفرحة من قلوب أبناء البحرين ومقيميها، كان الهاجسُ الأكبر لدينا هو لمّ صفوف المجتمع للوقوف في وجه هذه الهجمة الشنيعة التي تدثّرت بعباءة الدين، وكأن مجتمعنا البحرين المسالم قد إنقسم إلى فرقتين متناحرتين: مسلمين وغير مسلمين بل مسلمين وكفرة ملحدين، فكان أن نصبوا من أنفسهم أولياء على الناس والمجتمع، مُطلقين شتى النعوت والألقاب على كل من لم يتفق معهم في أجندتهم ومواقفهم.

غير أن التحرك الإيجابي والسريع لكل أطياف المجتمع للإعراب عن تضامنهم ووقوفهم في وجه هذه الهجمة، قد أكد مرة أخرى، وبدون أدنى شك، أن هذا المجتمع الحي والناضج يرفض وبشدة محاولات البعض العودة به إلى الوراء، وتكميم الأفواه وإستعمال الدين كسلاح وأداة لقمع الآخرين، فكان أن صدر البيان الشجاع الذي وقعته العشرات من جمعيات المجتمعَ المدنيّ بكل تلاوينها وأطيافها، والذي مثل في وقفة حاسمةً وحاشدة، أكبرَ تجمُع شهدته بلادُنا من أجل الدفاع عن الحريات الثقافية والفنية. إنّ أكثر المواقف المثيرة للدهشةً، أن من تعدّوا على الثقافة والفن هم ممثلو الشعب المنتخبون، وكأن شعبناَ كلّهُ قد أصبح من أتباع الجمعيات السياسية الدينية التي يمثلها هؤلاء النواب، الذين نسوا أو تناسوا أنهم يمثلون شعب البحرين برمته وليس إتجاها عقائدياً سياسياً ضيقاً، لا يسع الآخرين ولا يتقبل وجودَ غيره، بل ويحاربَهُم بشتىّ الطرقِ والأساليب حتى الغير مشروعة منها مثل إستخدام التسميات النابيّة والمستهجنة.

لقد أوضحت هذه الحملة غير المسبوقة أن أعداء الثقافة والفن ليسوا إلا في بداية مشوارهم، وهم ماضون في التخطيط لمصادرة الإبداع والحريات الثقافية، لذلك فإن اللجنة التنسيقية لتيار "لنا حق" وبدعم من جمعية المنتدى تدعو من هذا المنبر كل الأدباء والشعراء والفنانين وأهل الفكر والإبداع من كل التيارات السياسية والأدبية والفنية وغيرها بالمبادرة إلى تشكيل لجنة وطنية للدفاع عن الثقافة والفن والإبداع، على أن تضم بين صفوفها حقوقيين وقانونين وإعلاميين وكل من يمكن أن يساهم بدور في نشاط هذه اللجنة، كي تستطيع التصدي لكل محاولات مصادرة الحريات الثقافية والفنية في بلادنا، وأيضاً لكي تظهر كل من تسوّل له نفسه التعدي على هذه الحريات، جهوزيتها وقدرتها على العمل والتعبئة ولمّ الصفوف للوقوف في وجه هذه المحاولات وإحباطها.

إننا في تيار "لنا حق" وبدعم تام من جمعية المنتدى سنتابع دون كلل تشكيل مثل هذه اللجنة وسنقدم كل الدعم الممكن كي تستمر وتنشط في عملها.

(١٣)

كلمة المؤسسات الأدبية و الثقافية و الفنية في مهرجان "يوم الحرية"

منذ أن جاء المبدع بثمار الحب للحياة وللإنسانية، وهو يدافع بدمه من أجل أن يؤسس لوعي معرفي وروحي عبر اندماج فكري يجادل الواقع بكل إشكالياته بشكل يومي في أن يقول في تواصله الثقافي والإبداعي أن الحياة ليست إلا ثمرة الروح مطرزة بعبير الفن والإبداع، وعليه أن يصونها بهذا الدم وحيدا.

هكذا كان، وهكذا يظل.

يفتح الأفق على واجهات الحب، ويذهب نحو بلورة المشروع الثقافي الإنساني في تواصله، يشرع احتمالات المستقبل ويؤسس الأمل في مواجهة الجحيم.

لقد كان الإبداع عبر جميع حقوله نافذة تبتكر حريتها الخاصة في مواجهة جميع أشكال السلطات التي كانت تدمر روح البشرية، بالحروب والسجون، بالمنافي وبالتكفير. رغم كل ذلك ظل الإبداع أكثر الوسائل إلهاما في معنى وجدوى الحياة، في عالم يدمر كل ما هو جميل ويستحق العيش من أجله.

إن ما يجري من كلام كثير عن الثقافة والنتاج الثقافي، نراه كمؤسسات ثقافية وإبداعية بكثير من القلق لأنه ينطوي على تواطئ وقصور ينبغي له ألا يخرج عن خطاب السلطة بكل أشكالها، و ألا ينفتح على أفق الحياة كمشروع يمكن الوثوق به وبطموحاته.

وأمام هذه الهيمنة التي تصادر حرية الإبداع على المبدع والفنان الحر أن يتمسك بجمرة الفعل الإبداعي، لأنها الاجتياز الوحيد من الجحيم، وعليهِ – علينا – أن نضع قلوبنا متضامنين معه على لغة الإبداع ، بلورة الكون. عليه أن يضع أدواته التعبيرية للقيام بمهماتها في نتاجاته الإبداعية، واثقا في طبيعته الإنسانية في التعبير عن رأيه بحرية الفنان، فالخلل يكمن في تفاصيل المشهد العربي وفي زينة تعلق باسم الديمقراطيات المخلخلة البناء والتكوين.

في ظل مشهد مرتبك مثل هذا – الذي نعيشه اليوم – لم يعد ممكنا للدولة وسلطتها وتيارات القمع، أن تتهم الحديث عن الثقافة بكل تجلياتها الإبداعية، فالقادم قد يكون مظلماً وقاتماً وليس على المبدع إلا أن يعلن عن حريته بكل ما يملك من وسائل للتعبير، وان يدافع عنها، لأن هذا قدره الأبدي.

لذا فأننا اليوم، نعلن كمؤسسات أدبية وثقافية وفنية، أننا مع كل مجنون يعبر عن جنونه الإبداعي بحرية مطلقة، دون وصايا من الآخر، وان هذا الوطن يستحق منا أن ندافع بشراسة عن حضارته وتاريخه الثقافي العريق.

كلمة الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان في مهرجان "يوم الحرية" نعـم لحريـة الثقافـة نعم لحرية الإنسان

تابعت الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان باهتمام بالغ التفاعلات المختلفة التي ترتبت على بعض فعاليات برنامج ربيع الثقافة المقام خلال شهري مارس وابريل، وما أثارته بعض الأطراف من حساسية تجاه بعض تلك الفعاليات وبالأخص العمل المشترك للشاعر قاسم حداد والفنان مارسيل خليفة، وما تلى ذلك من تصعيد مبالغ فيه من قبل تكتلات وأفراد كان يفترض فيهم أن يكونوا سندا للثقافة والحيلولة دون مصادرة الحق في حرية التعبير وإطلاق العنان للإبداع وتنمية الحس الفني والفكري لدى الجماهير...

إن السلوك الذي نهجته بعض الأطراف والذي بلغ ذروته في تشكيل لجنة نيابية للتحقيق في بعض عروض برنامج ربيع الثقافة يعكس مدى ضيق الأفق، وفهم الحرية بشكل انتقائي وتجزيئي مما اسخط شريحة عريضة من المجتمع، نظرا لما يمثله ذلك من افتئات على الحق في حرية التعبير والإبداع، وهو ما يتعارض مع منطوق المادة (٢٣) من دستور مملكة البحرين والتي تنص على كفالة حرية الرأي والبحث العلمي، والحق في التعبير سواء بالنشر أو القول أو الكتابة أو غيرها.

إضافة إلى ذلك فإن السلوك السلبي الذي شاب ردة فعل بعض الفئات ومن بينهم نواب على بعض تلك العروض يتعارض مع الفقرة الثانية من المادة (١٩) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذي انضمت إليه مملكة البحرين، والتي تنص على إن (لكل فرد الحق في حرية التعبير وهذا الحق يشمل حرية البحث عن المعلومات أو الأفكار من أي نوع واستلامها ونقلها بغض النظر عن الحدود، وذلك إما شفاهة أو كتابة أو طباعة وسواء كان ذلك في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها).

بل إن ذلك يمس صميم الدور المرجو من الدولة وهو ما تعكسه بجلاء الفقرة الثالثة من المادة (١٥) من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي تنص على أن (تتعهد الدول الأطراف في العهد باحترام الحرية التي لا يستغنى عنها من اجل البحث العلمي والنشاط الخلاق).

إن الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان إذ تستنكر السلوك السلبي لبعض الفئات والأفراد، والموقف المتهاون من قبل الدولة إزاء انتهاك احد المبادئ الهامة من مبادئ حقوق الإنسان ألا وهو حرية الرأي والتعبير، فإنها تتطلع إلى المساندة الشاملة للثقافة وتمكينها من أن تجد سبيلها بين الناس، وإزالة العوائق والهواجس والأوهام من أمام كل عمل إبداعي .

إن الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان وهي ترى ما تتعرض له حرية التعبير من إنتهاكات بدءاً بحرية التجمع والمسيرات وانتهاء بما يتعرض له الصحفيون والكتاب من دعاوى قضائية ومضايقات ، وما يتعرض له القائمون على مواقع النشر الإلكتروني ، لتدعو المجتمع المدني وهيئاته ومنظماته إلى المزيد من رص الصفوف للحيلولة دون المزيد من قهر الفكر وقمع الكلمة

كلمة جمعية المحامين البحرينية في مهرجان "يوم الحرية"

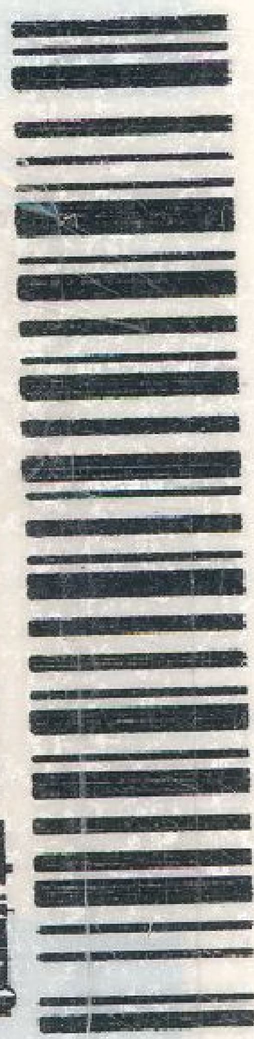
باسم جمعية المحامين، نهديكم أطيب التحيات والتمنيات، ويسرنا مشاركتكم في هذا المهرجان التضامني مع ربيع الثقافة، ربيع الفكر والإبداع. هكذا تكلم الربيع، هكذا أتى ربيع الثقافة، في إبداع فكري وأدبي تتويجاً لمسيرة الحياة الثقافية والفكرية، وتواصلاً واستكمالاً لحراك فكري وحضاري وثقافي. منذ حضارة دلمون وتايلوس مروراً بالحركة الأدبية والفكرية على مر العصور الإسلامية وحتى الدولة الحديثة، لم تخلو البحرين من كل ذلك. ومنذ دخولها في الإسلام طواعية ومن شاعرها طرفه أبن العبد في العصر الجاهلي مروراً بالمعتزله والمتكلمين وفي مقدمتهم الشيخ ميثم إلى يومنا هذا كانت البحرين إحدى منارات الفكر والإبداع ولازالت حتى اليوم. لذلك حري بنا تكريم رواد الأدب والفكر والثقافة والشعر كالشاعر الكبير، قاسم حداد، أبن البحرين الذي تم تكريمه والاحتفاء به في كل المحافل العربية والدولية .. جدير بنا تكريمه وتكريم كافة المبدعين في بلدنا، والمبدع مارسيل خليفة .. مارسيل الوطنية والالتزام .. مارسيل المناصرة .. وسميح قاسم ومحمود درويش وحداد.

أجمع فقهاء وأساتذة القانون العام والدستوري على أن الحريات العامة أهم مقومات النظام الديمقراطي، بأكبر ما يكون و أوسع ما يكون كحرية الفكر والتعبير والحريات السياسية والحريات النقابية وحرية التعبير حرية النقد الموضوعي. هكذا حال الحريات في كافة المواثيق والعهود والدساتير المحلية والدولية .. حرية أحكام ومبادئ حقوق الإنسان.

نحن نطالب بحماية وتشجيع حرية الفكر والإبداع، حماية وتشجيع ودعم العلوم والفنون والآداب، لا أحد فوق النقد وليس أحد ضد النقد من خلال الممارسة الديمقراطية في الحوار والإقناع. نحن مع الحوار بديلاً للاتهام، نحن مع الحوار أساساً للتقدم، نحن مع الحوار طريقاً للأمام، نحن مع الحوار نقيضاً للمصادرة، نحن مع الحوار بديلاً للإقصاء، نحن مع الحوار نموذجاً للتعايش .. كم عانت المجتمعات الإنسانية من سطوة الاتهام والتحقيق في الفكر والإبداع.

نقول لشاعرنا قاسم المكان والزمان: إن نور موسيقاك يضئ الدنيا، ولهاث موسيقاك المفعم بالحياة ينداح من سماء إلى سماء، يعبر الحواجز، في باقة إبداعك زهرات ناضرات تفوح عطراً وجمالاً في مملكتنا الزاهرة.

في الختام تحيه لتضامنكم وتحيه لكافة المبدعين.



Shaik Ebrahim Bin Mohammed Al Khalifa
Center for Culture and Research
P.O. Box 13725 Muharraq, Kingdom of Bahrain
Tel: + 973 17322549 Fax: +973 17320955
e-mail: info@shaikhebrahimcenter.com

سلمان الجشي



مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة
للثقافة والبحوث